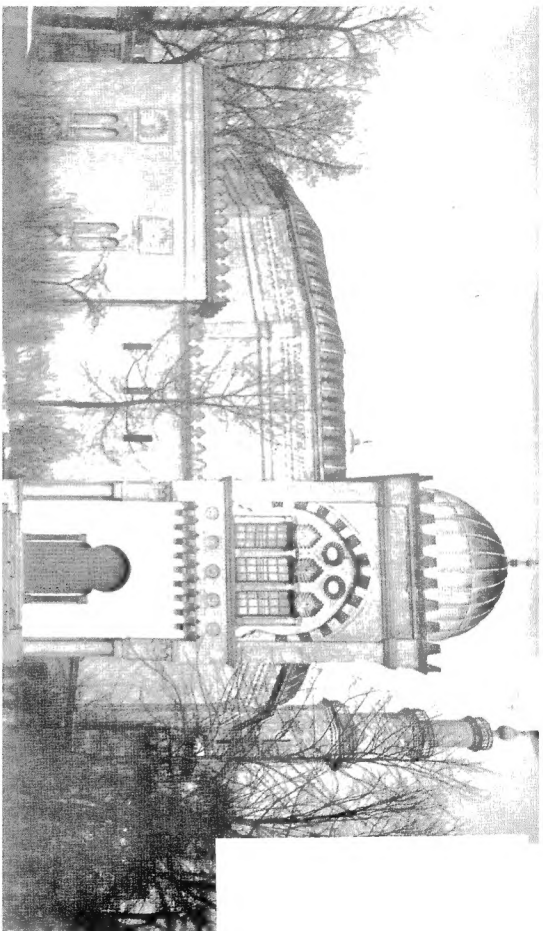


الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة السادسة — العدد ٦٦ — جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ — ٢ أغسطس (أب) ١٩٧٠ م





*Centre Islamique
et Culturel*

17, avenue Jose Darnier

1150 Brussels

المسجد والمركز الإسلامي والثقافي
بروكسل في الحديقة القوسية



مسجد الشيخ بالذوحة عاصمة
قطر يطل بمنارته المشاهقة وقبته
العالية على إحدى الساحات
الفسحة في أكبر الأحياء التجارية ،
ويبدو في الصورة برج الساعة
الضخم بفنه العربي الرفيع .

التمن

فلسا ٥٠	الكويت
ريال ١	السعودية
فلسا ٧٥	العراق
فلسا ٥٠	الأردن
قروش ١٠	ليبيا
مليما ١٢٥	تونس
دينار وربع	الجزائر
درهم وربع	المغرب
روبية ١	الخليج العربي
فلسا ٧٥	اليمن وعدن
قرشا ٥٠	لبنان وسوريا
مليما ٤٠	مصر والسودان

الاشتراك السنوي للهيئات فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلها بالاسترليني)
اما الافراد فيشترون راسا
مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ - كويت

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B 13

الطبعة السادسة

العدد السادس والستون

جمادى الثانية ١٣٩٠ هـ

٣ أغسطس (آب) ١٩٧٠ م

نصدها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

بالكويت في فترة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ
الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
والسياسية



سمو ولي العهد يلقي البيان

- لا يمّين ، ولا يسار ، ولا انحياز لأيّ معسكر دولي
- إننا نكثف سياستنا الخارجية على ضوء قضايانا المصيرية
- شعب الكويت مرتبط بالشعوب العربية ارتباطاً مصيرياً
- الكفاح المسلح الفلسطيني المنطلق الطبيعي لاستعادة جزء عجز به من وطننا .
- نرفض أية حلول للقضية الفلسطينية ما لم يوافق عليها الشعب العربي الفلسطيني .
- شريعتنا الإسلامية الغراء تنظم حياة المسلمين وسلوكهم ونحن حريصون على العمل بها في شتى نواحي ديننا ودنيانا .
- حان الوقت لاتخاذ خطوات إيجابية نحو تفهيم الأخدنة العسكرية

بيان سياسي خطير

لسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء

سمو الشيخ جابر الاحمد ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء من رجال السياسة والحكم المرموقين ، وهو يتمتع بثقة صاحب السمو امير البلاد المعظم ، وحب ولاء الشعب الكويتي ، واحترام وتقدير بالعين في المحيط الدولي لما يمتاز به من سداد الرأي وبعد النظر ، واحاطة بمجريات الاحداث العالمية .

وقد ادلى - حفظه الله - ببيان سياسي خطير تناول فيه سياسة الكويت الخارجية وشؤونها الداخلية بما اثر عنه من صراحة وحزم ، واخلاص لدينه وشعبه وامته .. وكان لهذا البيان صدى البعيد في شتى الاوساط والمحافل ، فردته وكالات الانباء ، وعلقت عليه الصحف والاذاعات المحلية والعالمية وعكفت الهيئة التشريعية في البلاد على دراسته ، ومدت دورة انعقادها الحالية حتى تفرغ من اتخاذ الخطوات الايجابية لتنفيذ ما تضمنته من اصلاحات في مختلف المجالات .

ويسر مجلة الوعي الاسلامي ان تدع القراء يعيشون مع بعض فقرات البيان التالية : **في السياسة الخارجية** لقد أصبح من الضروري علينا ان نعمل سريعا على تحديد موقف عربي جماعي ازاء مصالح الدول التي ما زالت تدعم اسرائيل وتشجعها على مواصلة عدوانها واحتلالها لارضينا العربية . **في الاممة التشريعية** : ان دين الدولة الاسلام ، والشريعة الاسلامية مصدر رئيسي لتشريعاتها هكذا كنا ، وعلى هذا نص الدستور ، وبهذا سنظل متمسكين في رسم اطارنا الاجتماعي الذي نعيش فيه .

في السياسة الاقتصادية :

ان العدالة الاجتماعية التي ينادى بها ديننا ، وما اشتملت عليه من مساواة وتكافل بين الناس وضمان لمستوى افضل لمعيشة الفرد هي كبرى دعايات مجتمعنا ومناطق نظرنا الى اي مبدا من المبادئ الاقتصادية .

وانها خطوة مباركة ان يأخذ سمو ولي العهد زمام المبادرة بالدعوة الى الالتزام بالشريعة الاسلامية دستور حياة ووثيقة عمل بهذا وحده تحقق الامة شخصيتها وتسترد عزتها ، ويعيش المسلمون في كنف الله وكلايته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَدِينَةُ النَهْرِ

ميزان القوى

القوتين لصالح العدو الاسرائيلي فاذا ما رأت ان طائراته تنهأوى ، وان اسلحته تتحطم ، وان فنييه يتساقطون امدته بكل ما يحتاج اليه حتى ترجع كفته ، ويتمادى في اجرامه ، هذه هي الصورة الحقيقية كما يراها المراقبون النصفون للتدخل الاستعماري السافر في هذا النزاع .. وهذا الوضع لا يستسيغه منطق ولا تفره عدالة ، ولا يستقر به امن ولا سلام .

العقل ان كان في الرؤوس عقل ، والمنطق ان كان للالسنسة منطق ، والعدالة ان كان لا يزال للعدالة ظل في الارض ، والعقيدة — اى عقيدة — ان كان في القلوب مكان للايمان — كل ذلك يتطلب ممن يولييه جاهه وسلطانه منزلة الوساطة او الحكم

هذا الميزان من مبتكرات السياسة الاستعمارية الموالية لاسرائيل كما ان طائرات الفانتوم الهجومية البعيدة المدى من مبتكراتها ، وقد اخترعته اختراعا لتبرير سياستها الجائرة في النزاع المحتدم في الشرق الأوسط بين العرب واسرائيل ، والصورة الجسمة المجردة لهذا الميزان (كفتان وعائق) والموزون في الكفة الاولى الاسلحة الهجومية التي مع اسرائيل لباداة العرب واغتصاب اراضيهم ، والموزون في الكفة الثانية المعدات الدفاعية التي مع العرب يدافعون بها عن وجودهم وحقوقهم والسياسة الاستعمارية من وراء البحار تمسك بعائق الميزان وتراقب كفتيه ، ومهبتها كما تدعى — المحافظة على التوازن بين هاتين

عنه العقول ، فلم تستطع عدالة
الارض المثلة في هيئة الامم ومجلس
الامن ان تتعرف عليه او تصل اليه ،
ولا تزال تتسائل اين العرب واين
حقهم ؟

ان حق العرب في وطنهم اظهر من
ان يخدع فيه ، او يضل عنه ، ولن
تخفى معاملته بنسف الدور وتخطيط
المدن ، وتشبيد المستعمرات واقامة
المشآت وتوطين حمر وصفر وبيض
وسود الوجوه والبشرة من مختلف
اليهود المجلوبين من فجاج الارض .
لن تخفى معالم هذا الحق باختلاف
الالسنه انجليزي وفرنساوي والماني
وعبري لسان المحولين الى الارض
العربية . لن تخفى معالم الحق بهدم
المساجد واقامة البيع ، وحرق الاقصى
وبناء المبكى ، وانقطاع الاصوات التي
تجهر بالآذان وترتل القرآن وارتفاع
الاصوات التي تنغم المزامير وتردد
التراتيل .. ان هذا التغيير الضخم
والمسخ الشامل في الارض والبشر
لن يستطيع مهما تطاول الزمن ان
يحجب حق العرب او يسدل الستار
عليه .. ان جريمة العدوان على الحق
الاسلامي اكبر واظهر من ان تحتال
الدنيا كلها على سترها واضاعه
معالمها بل نقذف بالحق على الباطل
فيدمغه فاذا هو زاهق) .

ان الانسان ليعجب اشد العجب
حين يكون الحق واضحا بينا ، فنفضل
عنه العقول ، وحين يكون الباطل
مكتشوفاً مفصوحاً فتصمي عنه الابصار
... واي حق اشد وضوحا وبيانا من
حق العرب واي باطل اشد تكشفا
وعريا من باطل اسرائيل .

والفصل بين المتنازعين ان يلتزم امرا
واحدا لا بديل عنه ، وهو ان يرد
الحق المتنازع عليه الى صاحبه ،
ويقنع الطرف الآخر بقبول هذا
الحل ، فان لم يقنع اكرهه على
قبوله ان كان يملك قوة الاكراه ، او
تخلي عنه وكف يده عن مساعدته
اما ان يعطى للمغتصب سلاحا
يجوز به على صاحب الحق حتى يموت
ويموت حقه ، او يهد المعتدى بالزيد
من السلاح كلما رأى صاحب الحق
متشبها بحقه مصرا عليه مقاتلا دونه
ويبرر هذا الدعم بانه محافظة على
توازن القوى بين الطرفين فهذا
ما لا سند له في قانون ولا شريعة
المسلم الا اذا كانت شريعة الغاب
والثاب والمظفر .

مسكين هذا الحق العربي الضائع
الذي لم يستطع ساسة الدنيا وقادة
الارض ان يتبينوه او يعثروا عليه بعد
ان اعيابهم المبحث عنه منذ سنة {٧٠}
حتى الآن .. فلسطين الدولة كلها
من اقصاها الى اقصاها بمرتفعاتها
ومنخفضاتها بسهولها ووديانها
وما عليها من مدن وما احتوته من
دور وقصور ومتاجر ومرافق ،
وما نبت فيها من بساتين وكروم ،
وما ضم اليها من الاراضي السورية
والاردنية والمصرية . والشعب
الفلسطيني كله برجالة ونسائه
واطفاله احياء وامواتا .. عشرات
الالوف من الكيلومترات المربعة
عشرات الالوف من المباني عشرات
الالوف من المتاجر عشرات الالوف من
الملايين والمهجرين . عشرات الالوف
التي نبحت وقتلت كل اولاء واولئك
عميت عنه الابصار ، فلم تره وضلت

وان هذا المعجب ليتزايد ويتعاقم
عندما يكون أبطال الحق ، واحقاق
الباطل من عقول جبارة وصلت
بعلها الى غزو القضاء والتجول في
المقبر ... هذه هي العقول التي
انكرت عدل الله ، واقرت باطل
الشيطان . هذه هي القلوب التي
تفتحت لمساء النشاب وفصح
الافاعي .

واذا بلغت العقول هذا الحد من
الضلال والعمى ، واستبد بها الهوى
والطمع تبدد الأمل في عونها
وانصافها ووجب الرجوع الى الله
والاعتماد عليه « افرأيت من اتخذ
اله هواه وأضله الله على علم
وختم على سمعه وقابه وجعل على
بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله
أفلا نذكرون » .

* * *

ان العدو الاسرائيلي يعرف نفسه
تماما .. يعرف ان اسود ما في حياته
ماضيه الملىء بالآلام والاضيع ، وان
اسعد ما في حياته حاضره الملتهب
المتشحون بالخطر والقلق ، وان أخوف
ما يخافه ويحاذره هو مستقبله .

.. ومن اجل هذا ينالت الى
ماضيه الاسود فيفر منه ، ويتطلع
الى مستقبله الفامض فيهربه وينظر
الى حاضره — على ما فيه فيتشبت
به ، ويستقيت فيه ، ويتحمل مخاطره
ومقارمه .

وعلى أساس من هذه المعرفة
والدراسة يخطط لنفسه في خبث
ودهاء .

.. بعد حرب حزيران وانتصاراته
الحربية الموقته ، ملأت أجهزة دعائيه
الدنيا بأسطورة الجيش الاسرائيلي
الذي لا يقهر وسلاح طيرانه الذي
لا يهزم ولما تكشفت حقيقة هذه
الاسطورة وظهر زيفها للعالم .
في معركة الكرامة حيث وجد جنوده
مقرنين في الأصفاد مشدودين
بالسلاسل الى الدبابات ، وفي
المعارك الجوية على المرتفعات
السرورية وجبهة القناة حيث تهاوت
طائراته الجبارة — لما تحطمت هذه
الاسطورة أخذ اليوم يقيم الدنيا
ويقعدها من اجل مساندته ودعمه
بالسلاح .

والضلالة الحديدية التي يحاول
العدو ان يروجها اليوم ، ويضائل
بها العالم هي محاولته اقتناع المحيط
الدولي ان بقاء الدنيا في بقائه وان
فناء العالم في فثائه وأنه لكي يحافظ
العالم على وجوده يجب ان يحافظ
على وجود اسرائيل ، ولكي يامن
العالم شرور ويلاذ حرب عالمية
ثالثة لا تبقى ولا تذر يجب ان تعمل
الدول كبراها وصغراها على حمايتها
وتأمين وجودها وهذا يعني ان
تساندها القوى العالمية في تثبيت
اقدامها فيما احتكته من الاراضي
العربية ، وفي اقرارها على ما في
يدها من ممتلكات العرب ،
وما اغتصبته من حقوقهم .

هذا هو ما يكرس العدو له جهوده
اليوم ، وهذا هو ما تنشط له أجهزة
الدعاية الصهيونية في العالم ..

ستتشق السماء ، وتتناثر الكواكب
وتسجر البحار ، وترج الارض رجا ،

الناس ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم . فزادهم ايمانا وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل لم يمسسهم سوء
واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل
عظيم .

ان في هذه المعادة للعدل مع
وضوحه ، والمؤالة للظلم مع غداخته
والمقواطوء على مصير شعب بتمامة
من جانب اعداء الاسلام ما يفتح عيون
الماخوذين ببريق الحضارة الغربية
المتراامين في احضانها على زيفها
وتجردها من اقدس المثل والقيم
الانسانية وان ما تنادى به من الحرص
على الحقوق الانسانية كسراب بقية
يحسبه الظهان ماء حتى اذا جاءه
لم يجده شيئا .

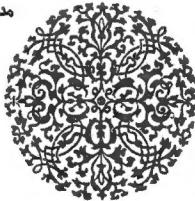
الا ان الاحداث الجارية تشد
العرب خاصة والمسلمين عامة الى
دينهم شدا وتجذبهم الى كتاب ربهم
وهدي نبيهم جذبا ، « ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب اولقى السمع
وهو شهيد » .

وتتسف الجبال نسفا ، ويصعق من
في السماء ومن في الارض ، ويحين
خراب العالم اذا اصاب اسرائيل سوء
او مسها ضر .

ومما ينير الدهشة والعجب ان
تجد هذه الضلالة طريقها الى اولى
الباس والقوة في الارض ، فيعود
فريق منهم الى ترديد نغمة الاطس
المترايد من تصعيد الحزب في الشرق
الاوسط والى المسارعة لعمل على
حفظ توازن القوى في المنطقة وعلى
وجه التحديد المحافظة على التفوق
العسكري للعدو بمده بالأسلحة
الهجومية سرا وعانا تبرعا وقرضا ،
ويردد فريق آخر ضرورة الاتفاق على
حدود آمنة للقاصب المعتدى كشرط
اساسي لاقرار السلام ، والا وقعت
الواقعة وازفت الازفة ليس لها
من دون حلولهم ومبادراتهم كاشفة .
وهذه الضلالة سيفتضح امرها
فان تقع الواقعة ، ولن تقوم القيامة
من اجل عيون الصهيونية . وهذا
الميزان الاجائر سيتحطم ، وترجع كفة
المؤمنين الذين اختاروا طريق
آبائهم المجاهدين « الذين قال لهم

نور السيل

مدير ادارة الدعوة والارشاد



الجهاد الإسلامي

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي مَجَالِ النُّضْحَةِ بِالذَّاتِ

١ - القتال ضرورة في الحياة :

« طالما أن الحياة فيها الحق والباطل ، وفيها الاستقامة والانحراف ، وفيها العدل والنظم ، وفيها الخير والشر .. طالما فيها الشيء ونقيضه ، وفيها الإنسان ذو العقل والحكمة وذو الهوى والشهوة ، وصاحب الإيمان بالله وبالقيم الإنسانية العليا وصاحب الكفر بها .. طالما أن الحياة الإنسانية على هذا الوضع فللقتال ضرورة من ضروراتها لمنع الفساد وطفيان الشر والهوى والكفر بالله وبالقيم العليا ، وللإبقاء على الإيمان والعدل والخير ، يقول تعالى :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض : ولكن الله ذو فضل على العالمين » (١) . ويقول كذلك « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع ، وبيع ، وصلوات ، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا . ولينصرن الله من ينصره » ان الله لقوى عزيز » (٢) .

.. ففي الآية الأولى يبرر ضرورة القتال بالحفاظ على الأرض من الفساد ، ويشير الى أن ضرورته تعتبر نعمة وفضل من الله على العالمين .

.. وفي الآية الثانية يوضح ما اجله من فساد العالم اذا لم يكن القتال مبدءا ضروريا في حياة الانسان - من أن الفساد يتمثل في شياع الايمان بالله الذي يعد بيت الله له رمزا : « لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » .

واذن هدف القتال هو الحرص على بقاء الايمان بالله على هذه الأرض . واذن القتال من اجل هذا الهدف غريزة وواجب على كل من يستطيعه : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم « وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » والله يعلم « وأنتم لا تعلمون » (٣) « أي والله يعلم ما هو في مصالح البشرية عامة ولذا أوجب القتال ، وأنتم لا تعلمون حقيقة هذه المصلحة العامة ولذا قد تكرهون القتال » .

« والقتال كذلك قد يكون منكروها ويغيبها للنفس التي تجهل على مباشرته . لانه قد يعرضها للموت والفناء ، او على الأقل يعرضها لغوات الاستمتاع بالسكنى والاستقرار في هذه الحياة ، كما يعرضها لمواجهة المشقة النفسية والجسدية فيها .

القتال ضرورة في الحياة - القتال من جانب المؤمنين .
 الماديون الموحدون ، أو المشركون .
 ليس في القتال معجزة - النصر النهائي للإيمان بالله .
 أحرر المقاتل عند الله - أجهاد اليوم في سبيل الله .

للمكتوب : محمد البهي

وإذا كان هناك احتمال - وهو احتمال كبير في الواقع - أن يشق القتال على النفس وأن تتضرر به ، ولذا تتركه وتيفسه ، فلا بد أن تكون هناك فريضة في الدين تدرب المؤمن على القتال ، وتجعل منه عبادة تقترب بها إلى الله . وكانت هذه الفريضة هي « الجهاد في سبيل الله » . وهي فريضة ليست موقوفة بوقت معين - كما حرفت القديانية لصلحة المسياسة الأجنبية في المهند في القرن التاسع عشر - بل هي فريضة دائمة ما دام الإنسان على هذه الأرض ، وما دام يتربد بين الإيمان بالله والكفر به ، وبين الحق والضلال :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله

والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت »

« فقاتلوا أولياد الشيطان أن يكد الشيطان كان ضعيفا » (٤) .

.. والذين آمنوا لا ينعم وجودهم ، والذين كفروا لا ينعم وجودهم كذلك إلا إذا انتهت الحياة الدنيا وانتقل أمر الوجود كله إلى الدار الآخرة . ولذا فالجهاد في سبيل الله باق ، والمؤمن بالله يجب أن يتخذ منه مجالا للتدريب على التضحية بالذات في سبيل الله ، طالما هو يعيش على هذه الأرض ، وطالما هو مكلف بمقاتلة أولياد الشيطان ، وهم الكافرون المحدثون . وهو إذ يملأ نفسه بالرغبة في التقرب من طريقه إلى الله سيؤديه وهو غير كاره له . بل على العكس سيؤديه وهو متطلع إلى يوم لقائه مع الله عز وجل . وإذا يؤديه وهو على هذا الوضع لا يخشى على فوات دنيا من مال وولد وزينة ، كما لا يهرب الموت ، لأنه سيجد في البديل من ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة وهم لا يقلون » (٥) . فليسوا عليه قلب عدوه وانصر عليه ، أم قتل في لقائه معه ، فإن الله قد وعد به باجر عظيم على ما أقره من آخرة على الدنيا في جهاده في سبيل الله .

« والحفاظ على الإيمان بالله هو سبيل الله . وهو الغاية من القتال والجهاد . والقتال أو الجهاد بالنفس قربة إلى الله إذا تخضت غايته للإيمان بالله ، ولتكن المؤمنين بالله من ممارسة مبادئهم لله وهذه . ووعد الله بنصره للمقاتلين والمجاهدين هو بسبب حرصهم على بقائه الإيمان بالله ، ورغبته في استمرار عبادتهم لله ، طالما هم يعيشون على هذه الأرض :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يهب كل خوان كفور ،
 « اذن للذين يقاتلون ، بانهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ،
 « الذين اخرجوا من ديارهم يغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله .. الى ان يقول :
 « الذين ان يقاتلهم في الارض اقاتلوا الصلابة واتوا الزكاة ، وامدوا بالمعروف ونهوا عن
 المنكر ، والله عاقبة الامور »(٦) .

.. فهو في وصفه للمؤمنين الذين وعدوا من قبله بنصرهم يصفهم : بانهم اذا مكن لهم في
 الارض وكانت لهم السيادة عليها حققوا ايمانهم بالله في مظاهرة من : اقامة الصلاة ، وايتاء
 الزكاة ، والامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

وهذا يعطى : ان المسلمين اذا ظلوا على الانتساب الى الاسلام ، دون ان يحققوا الايمان
 به في حياتهم المقبلة ليس وعد الله لهم بالتصبر مكفولا ، وليس الجهاد عندئذ فريضة يتقرب بها
 الى الله . لانه قد يكون جهادا في سبيل الشيطان ولاوليائه .

٢ - القتال من جانب المؤمنين :

« واذا كان القتال مبنا ضروريا في حياة الانسان ، واذا كان الجهاد به في سبيل الله
 فريضة على المؤمن المستطيع للمحافظة على بقاء الايمان وممارسته في حياته ، فبئى تكون مباشرته
 من جانب المؤمنين حقا وواجبا .

ان المؤمن يقوم بمباشرته للجهاد عن طريق القتال اذا اعتدى عليه من عدوه . وعدوه :

١ - الكافرون من اهل الكتاب .

٢ - والكافرون المحدثون من الماديين او المشركين .

واهل الكتاب ان آمنوا بالله واليوم الآخر على نحو يغير الاسلام ، فان المحدثين الماديين
 لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . بل ويسدون عن سبيل الله ويحاولون بقدر امكانهم ان يردوا
 المؤمنين عن دينهم .

ومشروعية الجهاد عن طريق القتال تبنا من الاعتداء على المؤمنين : « اذن للذين يقاتلون
 بانهم ظالموا ، وان الله على نصرهم لقدير »(٧) . فيؤذن للمؤمنين بالقتال ضد يرتفع العدوان
 عليهم ، وذلك بسبب ما يلحقهم من ظلم واعتداء . وهنا يمان الله جلت قدرته : انه على نصرهم
 لقدير . لانه يقف بجانب المظلوم ضد الظالم والمعتدى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ،
 ولا تصدوا ، ان الله لا يحب المعتدين »(٨) . فالقرآن يدعو المسلمين الى ان يتمسكوا دائما
 بما هو انساني في معاملة انفسهم وغيرهم . فهو اذ يشرع القتال يشرعه في حدود ، ولهذه
 معين لا ينبغي ان يتجاوزها .

« ولذا اذ يشرعه في حدود معينة ولهذه معين ، يطلب انهاءه عندما يمان الطرف المعتدى
 قربه للسلام ، كما جاء في قول الله تعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ،
 انه هو السميع العليم . وان يريدوا ان يخذلوك فان حسبك الله ، هو الذي ابيك بنصره
 وبالمؤمنين »(٩) . فهو يأمر بـ«وله عليه الصلاة يقول السلام عندما يعرض عليه لا عن
 ضعف او خوف ، ولكن محافظة على عدم الاعتداء على العدو ، بعد ان يعرض السلام من جانبه .
 وفي الوقت نفسه يطمئه عليه الصلاة والسلام بوقوف الله بجانبه وباعتماده عليه ، لو كان باطن
 عرضي الاعداء من سلام هو الخدمة والمكر النسيء . وذلك لكي لا يتردد عليه السلام كإشرى في
 قبوله للسلام عندما يعرض عليه .

كما يطلب أيضا انهاءه عندما ينهيه العدو من جانبه ، على نحو ما يذكره الله سبحانه وتعالى
 في قوله : « فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين . فان انتهوا فان الله غفور رحيم »(١٠) .
 واذن لا حاجة للمؤمن في استمرار القتال من جانبه . فالقتال ضرورة تقدر بقدرها . وقدرها
 هو : رد الاعتداء وانهاه العدوان والعودة الى مجرى الحياة المعادي .

٣ - الماديون المحدثون او المشركون :

« واذا كان هذا هو موقف القرآن بصفة عامة ازاء العدوان والاعتداء فان له موقفا يزيد

عن هذا التحديد ازاء المائتين الموحدين . ولكني تعددهم اولا يرجع الى القرآن الكريم في اوصانهم
التي هم عليها ، فهو يقول في شانهم :

١ - « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ،

٢ - « ولا يهدون بها حرم الله ورسوله » (١١) .

.. فهم : لا يؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر ، ولا يعرفون منكرا ولا فاحشة يحرمونها على
انفسهم . بل يبيحون فعل ما يرونه لصالح انفسهم ، ولو كان ضارا لمفهومهم .. يبيحون انفسك
الاعراض ، والاموال ، والانس . يبيحون الارهاب والاذلال والتحكم في الآخرين ، طالما فيه
صيانة لصلحتهم الشخصية . هم « وجوديون » او « انانيون » و « منفعيون » . هم ماديون
ينكرون « الروحية » بل وينكرون المقتل لحساب الدين ومثمه ومذاقته .

ونفي مقابل هذا النوع من الماديين الموحدين الوجوديين تصف الآية نصفا في بقيتها الضرب
الاخر من الكافرين من اهل الكتاب فنقول :

« ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم
صاغرون » .

.. فنظر اهل الكتاب لم يبلغ الى انكارهم لله واليوم الآخر . وانما بيلفه : انهم لا يدينون
دين الحق .. انهم يختلفون فيما يدينون عن كتاب الله ورسالته . واهل الكتاب الباقون على عهد
الرسالة الاسلامية هم :

١ - اليهود ،

٢ - النصارى .

وهذه الآية تعطي : ان الذين يواجهون الاسلام ويتحدونه بحدوثهم هم : اهل الكتاب من
اليهود والنصارى ، والماديون الموحدون ، او المشركون . وهؤلاء هؤلاء لن يذوا ، كما لم يذ
المسلمون . واذن تعددهم باقى ، وعداوتهم باقية ، وانتظار عداوتهم واعتدائهم باق . والجهاد عن
طريق القتال باق ويستمر ، ونرفضه لذلك باقية ومستمرة .

.. هؤلاء الماديون الموحدون - او المشركون - يقولون من المؤمنين بالاسلام موقفا فيه تحرش
وتحد . يقول القرآن الكريم في شان موقفهم :

١ - « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ، ومن يردكم عن دينه
فبئس وهو كافر فاولئك حببنا اعدائهم في الدنيا والاخرة ، واولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون » (١٢) .

كما يقول :

٢ - « كيف وان يظهروا عليكم لا يربطوا فيكم الا ولا لمة »

٣ - « يرضونكم بانواهم ، وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون .

٤ - « اتشركوا بايلاء الله ثمنا قليلا ،

٥ - « فصدوا عن سبيله ، انهم ساء ما كانوا يعملون .

٦ - « لا يرتبون في مؤمن الا ولا لمة . واولئك هم المعتدون . فان تابوا ، واقبلوا الصلاة ،
واتوا الزكاة فاولئك في الدين ، وتفصل الآيات لقوم يعلمون .

٧ - « وان تكونوا ايمانهم من بعد عهدهم ، وطمعوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر ، انهم
لا ايمان لهم ، لعلهم ينهضون . الا تقتاتلون قوما نكثوا ايمانهم ، وهموا باخراج الرسول ، وهم
يدعوك اول مرة ، اخذت منهم ؟ فلهذا الحق ان تخشوه ان تكتم مؤمنين .

« قاتلوهم يعطيهم الله بايديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين .
ويذهب غيظ قلوبهم ، ويغيب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم .

« ام حسبكم ان تتركوا ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخلوا من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وفيية والله خير بما تعملون » (١٣) .

.. فهذه الآيات تعدد موقف الماديين الموحدين - وهم من تعبر عنهم بالمشركين - بانهم :

فى حال القتال مع المؤمنين :

(أ) يواصلون القتال ضدّهم حتى يردّوهم عن الإيمان ، أن استسلموا : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم أن استسلموا » .

(ب) ولا يرفعون علاقة ما ، من قرابة ، أو جوار ، أو لمة ، أو عهد ، أن ظهروا على المؤمنين وخطروا بهم : « كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولاة » .

وفى حال السلم معهم :

(أ) تصرّ قلوبهم على العداوة ، وإن عبرت أفواههم بما يرضى المؤمنين ، رياء ونفاقا : « يرضونكم بأفواههم ، وتابى قلوبهم ، وأكثرهم فاسقون » .

(ب) ويصدون عن سبيل الله ، ويضعون بكل وسيلة أن يؤمن به أحد ، تحصيلا لنفع الحياة المادية : « اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، فصدوا عن سبيله ، أنهم ساء ما كانوا يعملون » .

(ج) ويبينون النية على الاعتداء ضدّ المؤمنين ، ويصادرّون إلى مباشرته : « وأولئك هم المعتدون » .

﴿ وأزاء هذا الموقف العدائى .. موقف المفسر للعدوان ، والمترص به ، والحصر عليه يرى الإسلام أن يعطوا فرصة فإن هم عدلوا عن العدوان وباشروا ما يدل على عدولهم عنه باتباعهم سبيل الله من : إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، فهم أخوان للمؤمنين فى الدين : لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم : « فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين » . وجعل القرآن أقامتهم للصلاة وإيتاءهم للزكاة تعبيرا لعدولهم عن اتجاههم فى المادية ورجوعهم إلى سبيل الله ، لأن فى الصلاة مناجاة لله وهذه ، وفى الزكاة إخراجا للمال ، وليس تحصيلا له . وفى مناجاة الله وهذه عدولا عن « الشرك بالله » وفى إخراج المال عدم الوقوع تحت تأثير الاتجاه المادى .

﴿ وإن هم استغلوا هذه الفرصة للعداء ضدّ الدين وضدّ المؤمنين فالأمر يقتضاهم أمر لازم لا مفر منه ، حتى ينتهى خطرهم بمودتهم إلى الإسلام ، إذ المادية والشرك طارىء على دين الله : « وإن تكفوا أيمانهم من بعد عهدهم (بعدم توبتهم وعودتهم إلى سبيل الله) وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر ، أنهم لا إيمان لهم لمعلهم ينتهون .. إلى أن يقول : قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصرم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ، ويؤوب الله على من يشاء ، والله عليم حكيم » .

.. والقرآن هنا إذ يأمر بتوجيه القتال أولا إلى أئمة الكفر فيهم فلكى يأخذ المؤمنون بالروس للعدوة للعدوان فيهم وعندئذ يضمف لسان الباقين منهم ، مهما كثر عددهم . وهذا « تكفيك » فحسب ليسر القضاء عليهم . وليس المقصود منه ترك عداهم يدون قتال . فاية أخرى فى سورة التوبة أيضا توضح مثل هذا الإجمال ، إذ تقول : « قاتلوا المشركين كافة ، كما يقتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين » (١٤) .

وقتلهم القروس على المؤمنين حتى ينتهى خطرهم (بإعلان إسلامهم) ينص عليه قوله تعالى : « واقتلوهم حيث تقبضوهم ، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفئة أشد من القتل (والفئة هى خطر المادية -- أو خطر الشرك) ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلونكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم ، كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا (بالإسلام) فإن الله غفور رحيم » .

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى حتى لا يكون خطر لماديتهم بالإسلام (ويكون الدين لله هذه الجملة تأكيد لما سبقها) فإن انتهوا (يكون الدين لله) فلا عدوان إلا على الظالمين (أى فلا قتال من جانب المسلمين إلا على من يرتكبون الظلم) (١٥) .

﴿ ثم من جهة أخرى ليس قتال الماديين الملحدين -- من جانب المسلمين -- موقوتا بأمر أولئك المبكين منهم ، كما قد يفهم قصر القتال عليهم من مثل هذه الآية : « لا تقاتلون قوما نكروا أيمانهم وهبوا باخراج الرسول (أى من مكة) ، وهم يمدوكم أول مرة ، اتخشونهم (لقرابة بينكم وبينهم

أو لكثرة مددكم) قاله الحق أن تفضوه أن كنتم مؤمنين . « اذ هذه الآية تشير إلى حوادث الماديين الملحدين الكافرين وقد جاءت بين آيات القتال للمشركين أو الماديين . فربما يقن أن مطاردة الماديين إلى أن ينتهوا ويعودوا إلى الاسلام مرتبطة بوقت الرسول عليه الصلاة والسلام فقط . واذن لا قتال ضدهم بعد فتح مكة ونصر المؤمنين عليهم بهذا المفتح الجين . واذن كذلك يجب أن يظن أن الأمر على هذا النحو مع أهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية . فهو موقوت كذلك بالنصر التام للمؤمنين عندما تم فتح مكة . فقد جاء أمر قتال الكافرين في نوعهم في آية واحدة هي :

١ - « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله (وهم الماديين الملحدون - أو المشركون) » .

٢ - « ولا يدينون دين الحق من الذين آتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (١٦) .

واذن أيضا الجهاد في سبيل الله غريضة موقوتة انتهت بانتهاء فتح مكة وبعودة الاسلام إلى مقر رسالته الأولى فيها . وقد كانت مكة مقر الرسالة الإلهية على عهد إبراهيم عليه السلام . وقد أشاع هذا الظن بعض الفرق الإسلامية المستندة في ظل الحكم الأجنبي للمسلمين في القرن التاسع عشر - وهي فرقة المقيانية - رغبة في توطيد الأمن والاستقرار للأجنبي في حكمه وفي استغلاله لموارد البلاد الاقتصادية والبشرية .

ولكن ماذا يصنع المؤمنون بالله عندما يتحرك ماديون جدد ضد مجتمعهم وهدد إيمانهم بالله في مستقبل قريب أو بعيد ، وقد شرح القرآن موقف الماديين الملحدين وجعل خطرهم وفتنتهم على الإيمان بالله أكبر من قتالهم ضد المؤمنين به : « والفتنة أكبر من القتل » ؟

١ - هناك ما يمنع وجود ماديين من جديد يلحدون بالله ويحدون الله ورسوله ، يفرضون من بين الذين أتبعوا كتاب الله من قبل ؟

٢ - وليس الماديون الملحدون - أو المشركون - هم الذين وقعوا تحت تأثير الإتياء المادي في الحياة ، واثروا الدنيا على الآخرة فانكروا وجود الله ، كما انكروا اليوم الآخر ، كي يتمكنوا من أن يستمتعوا بالمتع المادية في غيبة رقابة الضمير الإنساني ، والخشية من الله ، والسلوك الأخلاقي والقوانين الإنسانية عامة ؟

٣ - وما معنى قول الله تعالى في شأن هؤلاء الماديين : « ولا يزالون يقاتلوكم حتى يردكم عن دينكم ، أن استضعفوا » ، فيحكم القرآن - بصيغة المستقبل - على « الطبيعة المادية المردة » وعلى شأنها : متى وأين وجدت ؟

ان فتح مكة كان نصرا مبينا للإيمان بالله في ظل رسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكنه لم يكن نهاية التحديات للإيمان بالله . اذ طالما الايمان بالله موجود كان معه التحدي من الكافرين به - في قوة أو ضعف ، وفي قلة أو كثرة - وهنا القتال كصورة من صور الجهاد في سبيل الله ضرورة دائمة ، وغريضة مستمرة وغير موقوتة .

ان الاسلام اذا كان دين الحياة الإنسانية فإنه لا يضمن في ذات الوقت أن يؤمن به جميع البشر في أي جيل وفي أي عهد . واذا لم يضمن الاسلام ايمان الجميع به في أي جيل وفي أي وقت فإن عدم تحديه بهم لا يؤمنون به غير مضمون كذلك في مستقبل الإنسانية .

واذا كان تحدي الماديين الملحدين لله ورسوله في مكة كان حلقة في سلسلة تحديات مادية سبقته للرسالات الماضية على عهد الرسل السابقين كما تذكر الآية الكريمة : « ان الذين يعادون الله ورسوله أولئك في الأنكبين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ، ان الله قوي عزيز » (١٧) . فمسللة التحديات للإيمان بالله مستمرة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبعد فتح مكة - وفتح مكة ما هو إلا نصر واحد على المادية - وليس أخيرا وان كان نصرا مبينا - في سلسلة انتصارات عديدة وعد بها الله المؤمنين . والمؤمنون لا ينتهون الا بانتهاء الحياة الإنسانية في هذه الدنيا .

ثم ان تعبير الآية فيما تقول : « ان الذين يحادون الله ورسوله » بصيغة المستقبل نفيد : ان التحدي لله ورسوله لم ينته بعد . وانما هو مع الايمان في اى وقت . ولهذا فالقول بتوقيت فريضة الجهاد بعيد عن الروح الاسلامية والايمان بالاسلام ..

وبلغ المادية اللاحادية - أو لعنف الشرك بالله - على الايمان والمؤمن بالله ولخطورتها على ما يقصّل بالاسلام لا يستقيم في تصور الاسلام : ان يوجد مؤمن بالله على صلة مودة بملحد مادي : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم ، أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الآثان وأيدهم بروح منه » (١٨) . ومعنى ذلك أنه : انما يجد من يتهدد من بين المؤمنين الى الماديين الملحدين فهو ليس بمؤمن على الحقيقة وخارج عن الايمان كلية .

ووضع المؤمنين مع هؤلاء الماديين الملحدين - أو المشركين - هو إذن اما : القتال .. الى الاسلام ، واما على الاقل عدم التردد والركون اليهم في ولاه أو شبه ولاه ، ان كانوا هم معهم على عهد :

وإذن من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر :

١ - « ان الله براء من المشركين ورسوله ،

٢ - « فان تبتم (اى ورجعتم الى الاسلام) فهو خير لكم ،

٣ - « وان توليت اى اعرضتم واستمررت في غيكم) فاعلموا : انكم غير معجزى الله (اى ستلاكم الهزيمة حتماً) وبشر الذين كفروا بعذاب اليم (اى وبالاضافة الى الهزيمة في الدنيا سيكون العذاب لهم في الآخرة) .

٤ - « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ، ولم يظاهروا عليكم احداً ، فانهاؤا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين » (١٩) .

.. فهذا النداء من الله ورسوله يوم الحج الأكبر - يوم الموقف بعرفات وتجمع المسلمين في وقت واحد ، وعلى مكان واحد ، وفي دعاء واحد الى المولى جل شسائنه - بالبراء من المشركين ، وهم الماديون الملحدون ، يعتبر وثيقة ايمانية يلتزم بها المؤمنون في كل وقت في غير شبهة وغير شك . وما جاء فيها يحدد الموقف النهائي للمؤمنين . فالاسلام مطلوب منهم أولا : « فان تبتم فهو خير لكم » . فان كان منهم ابناء فالقتال حتى النصر عليهم : « وان توليت فاعلموا انكم غير معجزى الله » . فقط يؤمن منهم من كان له عهد عند المؤمنين فترة العهد ، على شرط انهم لا ينقضونه من جانبهم ولا يستمدون عليهم احداً .. « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احداً فانهاؤا اليهم عهدهم الى مدتهم » . إذ ان الوفاء بالعهد مظهر من المظاهر الانسانية الكريمة التي تتطلب ضبط النفس وعدم الانسياق وراء الانفعالات الهوجاء : « ان الله يحب المتقين » . والمتقون هم اولياء الله الذين تحرر سلوكهم من الهوى والشهوة .

٥ - ليس في القتال معجزة :

ومع أن المؤمنين اصحاب ايمان بالله ، ومع أنهم ان قاتلوا أعداءهم من الكافرين انما يقاتلونهم في سبيل الله ، ومع أن الكافرين غير معجزين لله في النصر عليهم .. الا ان الله سبحانه وتعالى جعل للكون وللحياة سناً لا تخلف عنها . والقتال صورة من صور الاحياء . فهو خاضع لسننه الخاص . وسميته الخاص : أن الذي يرتفع في قتاله مع عدوه عن مقام الدنيا ويخلص لله ولاعلاء كلمته هو الذي ينتصر أخيراً . فهو مجال اختبار للايمان بالله ، كما هو مجال تدريب على التضحية بالنفس . وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بقدر ما يهون عليه ان يفسح بذاته في سبيله : « ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بمضكم ببعض ، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (٢٠) . فالآية تدبر عن ثلاثة بملدي :

١ - الجدة الأولى : أن الله قادر على أن ينتصر من أعداء الايمان فور أن يشتبكوا في قتال مع المؤمنين .

٢ - الجدا الثاني : ان الله لا يريد ان ينصر عليهم يادى ذى بدء ، حتى يتضح عيانا ما عليه المؤمنون من ايمان فى قوته وفى ضعفه ، فى قتالهم مع الإعداء .
 ٣ - والجدا الثالث : ان من يقتل من المؤمنين فى ميدان القتال له اجره ، ولن يفوته أبدا .
 وإذا كان القتال مجال اختبار للإيمان بالله فى قوته وفى ضعفه فالنصر أو الهزيمة احدى نتائجه . وكما يوصل الى النصر اذا كان الايمان قويا ، فانه يوصل الى الهزيمة ان كان الايمان ضعيفا .

وقرة الإيمان فى السيطرة على هوى النفس والترفع عن المتع والاسلاب والفنائم .
 وضعف الايمان فى النظر الى تلك المتع والاسلاب والفنائم واستهدافها فى القتال ، اما خلاصة واما مع الاسهام فى اعلاء كلمة الله .
 وهنا ليست فى القتال معجزة . وانما النصر فيه - كالهزيمة فيه - مرتبط بمستوى الايمان . وتوضح الآيات التالية قانون القتال ، وهو قانون لا يتغير لانه يصور ارادة الله ، فيها يقول القرآن الكريم :

- ١ - « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارضى فانظروا : كيف كان عاقبة المكابرين . هذا بيان للناس ، وهدى وموعظة للمتقين . »
- ٢ - « ولا تقنوا ولا تعزوا ، واتمم الاعلون . ان كنتم مؤمنين . »
- ٣ - « ان يمسك قرع فقد مس القوم قرع مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، . »
- ٤ - « ولتعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين . »
- ٥ - « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويحق الكافرين ، »
- ٦ - « ام حسبكم ان تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون . »
- ٧ - « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين . »
- ٨ - « وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا فؤده منها ، ومن يرد ثواب الآخرة فؤده منها ، وسيجزى الشاكرين . »
- ٩ - « وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله يهب الصابرين . وما كان قولهم ، الا ان قالوا : ربنا افر لنا لنوبنا ، واسرافنا فى امرنا ، وثبت اقدامنا ، وانصرنا على القوم السافرين . فاتاهم الله فرب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، والله يهب المحسنين » (٢١) .

.. غارادة الله فى واقعة « احد » قد تجلت فى هزيمة المؤمنين . لانهم لم يثبتوا فى امكانهم الذى وضعوا فيها فى مواجهة الإعداء ، واختلت صفوفهم عندما لاحت لهم بارقة نصر على اعدائهم من الماديين المدحجين الكمين ، قبل ان يتم لهم هذا النصر نهائيا . وكان انصرافهم للضعف فى الحصول على الفنائم المادية ، وتركوا الرسول عليه الصلاة والسلام مع قلة من المؤمنين معه ، وكانت الضربة الأخيرة لهؤلاء الماديين السبب فى نصرهم على المؤمنين .

وقد جاءت هزيمة المؤمنين فى « احد » بعد نصرهم فى « بدر » . وبذا بدأ السبب واضحا لهم فى النصر والهزيمة . ولولا هزيمة « احد » لربما اعتقد بعض المؤمنين انه يكفى للنصر على عدو الايمان - وبالأخص ذلك العدو الشرس ، وهو المشرك او المادى - ان ينتسب المؤمنون الى الله ، دون ان يحققوا ما يطلبه الايمان من الاخلاص لله ، والصدق فى سبيله ، والصبر على ما يلحق المؤمن من مشقة واذا . او لربما اعتقد بعضهم كذلك ان الايمان بمصدر رزق دنيوى وانه « سحر » يستتبع نتائجه حتما ، ولو كان ضعيفا ، ولو كان وسيلة لوقاية او وسيلة اخرى لتحصيل الفنائم والمتع .

وهنا جاءت الآيات التى ذكرت قبل ، توضح ما يجب ان يستخلص من الهزيمة ، طالما « القتال » من طبيعته ان يوصل : اما الى نصر ، واما الى هزيمة . وما يجب ان يستخلص من الهزيمة ليس هو :

الضعف والفتك ،

ولا هو الحزن واليأس ،

وانما يجب أن تقود الهزيمة الى « القوة » والى « النصر » في قتال لاحق اذا ما ابعدت عناصر الضعف فيه . وهى عناصر الرغبة فى الجمع المادية والاسباب الشخصية . فالقتال فى نظر المؤمن يجب أن ينحصر لله . فليس هو لشخص ، ولا وسيلة لنفيا تحصل . وما يستخلص من الهزيمة حسبا تذكر هذه الآيات هو :

« أن اشارة المؤمن أن لا يضعف ولا يحزن » « ولا نهوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم

مؤمنين » .

ب) وأن الهزيمة اذا تلحق بالمؤمنين اليوم فقد لحقت اعدائهم بالامس . ومبدأ الحياة : تبادل النصر والهزيمة ، والانهاء بالنصر للمؤمنين الصادقين ، « ان يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس » .

ج) وعن طريق الهزيمة يميز الله المؤمنين حقا وصدقا ، من اولئك الذين يتسترون وراء اعلان الايمان ، وهم المنافقون « وليحص الله الذين آمنوا .. »

د) ولكن يشهد المؤمنون الصادقون — بما لذلك — المتأقين بينهم شهود رؤية وبيان .

هـ) وهى الجانب فى تجربة القتال ، يخرج منه المؤمن مصقولا وثابتا على ايمانه ، وفى صقله وثباته على الايمان حتى لاعدائه قطعا .

و) ولولاها لما انتزع المجاهد صدقا ، والصابر حقا فى القتال ، « ام حسبت ان تدخلوا الجنة ولا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ؟ » .

ز) والهزيمة لا ينبغي أن يكون سببها شغفى ، ولو كان شخص الرسول عليه الصلاة والسلام . اذ القتال فى سبيل الله هو للبداية التى فوق الاشخاص . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ » .

ح) كما لا ينبغي أن تكون — أى الهزيمة — مصدر أسف على قتل من يقتل ، أو على فوات مخرج . فالحوت مرهون بان الله وقضائه وحده ، والدنيا لا يحرم منها من يطلبها مباشرة ، ولكن جزاء الآخرة — وهو الأهم — للمجاهد الصادق الصابر : « وما كان لنفسى أن نبوء الا بالأن الله كتابا موجلا ، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » .

ط) ولم يكن الرسول — عليه الصلاة والسلام — ولا المؤمنون معه يدعوا فى هزيمة لحقتهم . بل وقع لك مع الرسل السابقين . وكانت الهزيمة مصدر اخلاص ومناجاة لله ، ومصدر قوة فى تثبيت الاقدام وتحقيق النصر ضد الاعداء : « وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ؟ والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا ان قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرائنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

ي) واصلتهم الهزيمة الى نصر فيها بعد : « فانهم الله ثواب الدنيا (وهو النصر على الاعداء) ، وهسن ثواب الآخرة ، والله يحب المحسنين » .

والذين من شأن الهزيمة ان : توقف على الاخطاء التى ارتكبت فى القتال ، فى الوقت الذى ترشد فيه الى قانون الحياة ، وهو : ان النصر ليس وقتا على فريق بالذات . وانما هو تداول بين الفرقاء الذين يشتركون فى القتال . وهو من حق القوى فى ايمانه أولا ، بينهم . والذين قانون الحياة بين الناس لا يعرف المحجزة .

والهزيمة ان فى ذاتها تنطوى على « قوة » اذا عرف استخلاصها ثم استخدامها .

هـ — النصر النهائى للايمان بالله :

« ومع ان القتال ابتلاء واختبار ، ومع ان النصر يخضع — كما نخضع الهزيمة فيه — الى قانون لا يتخلف بمثل ارادة الله ، فان هناك أيضا قانون آخر للحياة يمثل ارادة الله كذلك . وهو قانون النصر النهائى . وتصوره الآية القرآنية فيما يقول الله جل شأنه : « ذلك بان الله هو

الحق ، وأن ما يدعوون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو المولى الكبير » (٢٢) . غلظه هو المولى الكبير ، وأنه الحق فلا بد أن ينتصر . وما هذا الله هو الباطل ، والباطل ضعيف فلا بد أن يهزم . والنتيجة الضرورية لهذا القانون هو أن الذين يقتلون مخلصين وصالحين في سبيل الله لا بد أن نصبروا على الآخرين في قتالهم معهم ، وهم الذين يقتلون في سبيل الباطل أو الطافوت . وتصرح آية أخرى بهذه النتيجة الثلاثة فيما تذكره : « الذين آمنوا يقتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقتلون في سبيل الطافوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان (وهم أولياء الطافوت والباطل ، أو هم الماديون المحدثون أو المشركون) أن كيد الشيطان كان ضعيفا » (٢٣) .

وضمف الشيطان ، أو ضمف أوليائه — وهم المشركون أو الماديون المحدثون — هو في اتباع الهوى والشهوة . ومن يتبع هواء وشهوته يصور خط سيره في الحياة ترجعات تنبئ عن تقليه في سبيل اتباع الهوى وتحقيق الشهوة . والقلب ليس له جدا يتمسك به . وهو إذن لا يقاتل إلا مكروها . والذي يقاتل مكروها يمر من ميدان القتال فور أن يجد مخلصا لنفسه . وهو من أجل ذلك سمى لا يثبت . ومن لا يثبت تلحقه الهزيمة حتما .

أما « الحق » جل جلاله فهو ثابت لا يتغير . وأما الذين يقتلون في سبيله فهم يقتلون من الضعفاء ، ويرون في القتال قرى إلى الله . لا يصرفهم عنه متاع الدنيا ولا شهوة النفس . ولا يسيطر عليهم أثناء القتال هوى الذات . فقد ارتضوا الآخرة بدل الدنيا وباعوا أنفسهم لله بهذه : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن قاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب بسوء قوته أجرا عظيما » (٢٤) . « أن الله الشارى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وهذا عليه حقا في التوراة ، والإنجيل ، والقرآن ، ومن أولى بمهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعتكم الذى بئتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (٢٥) .

فهم اقترابوا بليمانهم ، ولبنون في القتال من أجل هذا الإيمان . ولذا يكون النصر النهائي لهم . وان هزموا في موقعة لم يتخذوا من الهزيمة خيما قوة في موقعة أخرى ، ولبيعدوا عن أنفسهم عناصر الضعف إلى إصرار التي اكتشفوها في هزيمتهم .

والقانون الذي يربط النصر النهائي في القتال بالإيمان بـ « الحق » وأبائهم ، ويربط الهزيمة النهائية باتباع الباطل وماديات الحياة وحدها هو قانون طبيعي تتجلى فيه الإرادة الإلهية كما تتجلى في خصائص الطبيعة البشرية التي تحكم الإنسان والمجتمعات الإنسانية .

« ففتح مكة على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان نصرا نهائيا له — ونصرا مبينا — على أعدائه . وبالأخص على أولئك الماديين المحدثين ، وهم المشركون المتكبرين . . كان نصرا له أخيرا بعد تردد له بين نصر مرة وهزيمة مرة أخرى في اشتباكاته مع أعداء الإيمان . ولم تقده الهزيمة في « نهاية أهد » وفي البداية في « حين » إلا إلى القوة الفائقة . وفي هذا النصر النهائي كفتون للحياة يقول الله تعالى :

« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأبيار ، ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا .
« سنة الله التي قد خلت من قبل ، وإن تجد لسنة الله تبديلا .
« وهو الذي كف أيديهم عنكم ، وأيديكم عنهم بطن مكة ، من بعد أن أغفرهم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيرا » (٢٦) .

.. ومنطوق هذا القانون — كما تصوره الآية القرية — هو :
أولا : أن أعداء الإيمان بالله ، وبالأخص الماديون المحدثون منهم ، إذا ياشروا القتال مع المؤمنين لا بد أن يفروا ويوفروا الأجداد ، وليس لهم معين ونصير بعد ذلك ،
ثانيا : أن ذلك يتجلى في أحداث التاريخ الماضية كلها ، وتغلب أياها في فتح مكة . وأن

لا شبهة في القائل في الوقوع بين تضاياه :
يوجد الإيمان فيوجد النصر .
ويوجد الاتحاد فيوجد الهزيمة .

ومعلوم هذا القول انه اذا وجد المشركون للايمان ، دون ان يوجد الايمان حقا وصدا في قلوبهم ، فلا يوجد النصر لهم فيما لايتصلبهم الى الايمان وهذه . فالضرورة التي انتهت بها « اهد » وابدت بها « حين » تبعت انصساب بعض المؤمنين الى الايمان ، من غير ان يتمكن الايمان بالله في نفوسهم . وهذا القوم صادقون كقانون في المكلف وفي حلفهم المؤمنين ومستقبلهم . ومثلهم قانون آخر يجر منه قول الله تعالى :

« والذين كفروا بعضهم أولياء بعضي »

« الا نعلموه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » (٢٧) .

.. فالحالين كفروا بالله هم سواء في حدائهم للمؤمنين ، وهم أولياء بعضهم بعضا ، مهما بدا بينهم من خلاف . فاعل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق هم أولياء لأولئك الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ولا يقيمون الاخر ، ولا يعرفون ما حرم الله ورسوله ، وهم جميعا اعداء المؤمنين .

ومن يفرق بين المؤمنين بين المؤمنين ، ويميلن الولاء لتزويج بعد ان يظن الخير به ، ويبقى على الحيطة والحذر في مواجهة الفريق الآخر ملتزما موقف الاسلام من اعداء الايمان ، فانه بولائه يجلب الخطر على المؤمنين جميعا وعلى الايمان بقله ويكون سببا في الفساد والتمبث الذي يلحق مجتمعات المؤمنين : « ان لا نعلموه (اي ان لم تمتدوا في ولاه الكافرين بعضهم لبعض وتقاومهم فيما بينهم واتفاقهم جميعا ضد المؤمنين ، وان لم تتخلوا منهم موقفا موحدا ، هو موقف المحبة والعذر ، مهما بدا من بعضهم من تودد - فهم « يربسونكم بالقواهم ونابى قلوبهم ، واكثرهم فاسقون » - الا نعلموه تكن فتنة في الارض وفساد كبير » .

والمؤمنون الذين هم في ولاه مع اي من التوعين لا يبق لهم ان يولوا الاسلام وانصباهم اليه اذا ما تلقهم الاذى والفرس بسبب هذا الولاء . وانما يجب ان يعودوا باللائمة على انفسهم بمخالفتهم ارادة الله التي تجلي في ذلك القول الذي يحكم مجتمع المؤمنين في مواجهة العداة الذين لايمان بالله والمؤمنين به .

٦ - اجر القتال عند الله :

اما اجر القتال في سبيل الله عند الله فهو اجر متبل . والمجاهد في سبيل الله عليه بنفسه او ماله ، له مستوى يرتفع به من مستوى المؤمنين الآخرين الذين تمعدوا عن الجهاد ، ومن مستوى ثورتكم الذين يباشرون من اعمال الخير ما لا يرقى الى الجهاد بانفس . يقول الله تعالى :

« لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر ، والمجاهدون في سبيل الله ، ياولاهم وانفسهم » .

« غسل الله المجاهدين باولاهم وانفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى »

« وغسل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما » (٢٨) .

ويقول ايضا :

« اجعلتم سفينة الحاج ، وعبادة المسجد الحرام ، كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ؟

« لا يستوي عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين .

« الذين آمنوا ، وجاهدوا في سبيل الله باولاهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واؤلفك هم الفائزون .

« يشرهم ربهم برخصة منه ، ورضوان ، وجنات لهم فيها نعيم سقيم . فالحالين فيها ابدا ، ان الله عنده اجر عظيم » (٢٩) .

.. وتفضل الله للمقاتلين في سبيل الله تفصيلا واضح ، ودرجتهم عنده هي درجة المجرئين برحمته ، ورضوانه ، وجناته ، وبالحكيم الخالد الذي لا ينهى . والقتال في سبيل الله ان تمل او مات في الجهاد لا يعد من الموات الذين انهي ابرهم . بل من الاحياء الذين توفرو

لهم صفات الحياة المسخرة : « ولا تقولوا ان يقل في سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون » (٢٠) . « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا ، بل احياء عند ربهم يعملون » (٢١) .

ولا شك ان الذي يضحي بنفسه — قبل الذي يضحي بماله — في سبيل الايمان بالله يبلغ مستواه في قوة الايمان أعلى درجة ، بحيث اصبح لا يرى ذاته في الحياة شيئا مستقلا في الوجود يستقل ان يحفظ عليه من أجل وجوده الخاص . انه بالانفصالية بذاته قد ألغى انانيته وتجرد من خصائصها . فهو لا يؤثر الايمان بالله على نفسه فقط . وانما « باع » نفسه عملا لله كلية . والموجود اياه الآن : الله جل شانه والايمان به ، لا غير .

٧ — الجهاد اليوم في سبيل الله :

١ — من هم اليوم لعداء الايمان بالله الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يهتدون بما هدى الله ورسوله ؟

٢ — ومن هم هؤلاء الذين لا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب ؟

وكيف ان هؤلاء اولئك بمضهم اولياء بعضي ؟

كان المشركون باليس على عهد نزول القرآن هم الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ولا يهتدون بما هدى الله ورسوله . وكان بعض اهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يدينون دين الحق . وقد طُلب القرآن الكريم من المؤمنين — الجهاد في سبيل الله — ان يقاتلوا الطريق الاول حتى يسلم امله ، وان يقاتلوا الطريق الثاني حتى يفسخ :

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يهتدون بما هدى الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب ، حتى يملأوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (٢٢) . وقد تجلت صفة المشركين بالكتابين الذين لا يدينون الحق ، وتجلي ولا بمضهم لبعضي في المآمرات الصعبة وانكشف وفسحها في : واقعة « الاحزاب » ضد المؤمنين . ومن هنا جاء التحذير ، بعد التقرير ، في قول الله تعالى : « والذين كفروا بمضهم اولياء بعضي ، الا تعلموه ان فئة في الارض ونفسك كغير » (٢٣) .

٣ — ان الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر هو مادي . لا يؤمن بالله لانه لا يراه ولا يهتد به ، ولا يؤمن بالآخرة لانها في عالم الغيب وليست في عالم الشهادة . والمادي هو الذي يؤمن بالمادة فقط . والمادة تتشكل في صور محسوسة وملبوسة . فغيرتها البصر أو السمع أو اللمس أو أية حاسة أخرى من الحواس الخمس .

والمشرك انما مضى هو مادي . ولانه مادي كان لا يهتد بما هدى الله ورسوله . يحل نفسه كل ما هو في وجوده المادي الملتزم . لا يعرف حقا لغيره انما هو موجود مادي متشكك ، وبالتالي لا يعرف له همة خاصة ، لا ينبغي ان تنتهك . وانما كل ما يقع عليه حسه — ولو كان لغيره — فهو بجاح له : لخد ، والاستمتاع به ، ولو على حساب لشقاء الآخرين أو هزيمتهم .

لا يعرف القواش والمفكرات ، ولا الائم ولا البنى والنظم .

ولا يعرف العدوان والاعتداء .

ولذا لا يهتد على نفسه ما هدى الله ورسوله ، حفاظا على حقوق الآخرين في الوجود المشترك معه .

والمشرك الذي هو مادي ، اناني . ان الاتاني هو من يتسمر بالذات دون ان يعترف بالآخرين معه . هو الذي ينسى حقوق الآخرين في سبيل متعة نفسه . هو الذي يجعل الذات مركز الوجود ، يدور هذا الوجود حولها ولصالح الذات وحدها . وهو — اي الاتاني — يدور حول نفسه ليقتضي منافع الوجود المادي انما يحيط به . فهو يتجه حسبما توجد منفعة مادية ، وتقبلته في البساطة ليست قبله واحدة . هو كمبدأ الشمس يتجه الى جميع الاتجاهات بطريق الجاذبية .

ومشرك الئيس — كما جاء في تمييز القرآن — هو اليوم صاحب الاتجاه الوجودي ، أو

التميز ، أو المادي ، أو المصنوع ، أو الثاني في حرك التفكير الفلسفي المعاصر . وجميع هذه الأوصاف كلها « ملحدة المادية » . وبالإخص : المادية القاريبية .

والملحدة القاريبية أن تنكر وجود الله ، وتنكر اليوم الآخر ، ولا تحرم ما حرم الله ورسوله . تنعدي بوجود الله ، لأن الله لا يرى ولا يشاهد . وتنعدي اليوم الآخر وتعلمه خداعا وتغديرا ، وتضع بدلا منه ما يبقى به الفرد على هذه الأرض من نعم مادية لا تحصي .. وتنكر صراط الدين في السلوك والمصلحة ، كما تنكر مقاييس الأخلاق في تحديد الملائكة بين الناس ، وترى الانطلاق في سلوك الجنس . لأنه المجال الحر الوحيد الباقى ، من بين مجالات الحياة الأخرى .

ونفسه المادية القاريبية وجدت لتمتد في الدين . والذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يسانطون المؤمنين حتى يردوهم عن دين الله أن استسلموا . وما قاله القرآن في شركى عبده : في تعدد صسائهم ، وفي موطنهم من المؤمنين بالله — كما ذكر من قبل — ينطبق تماما على أولئك الذين يبنون الفلسفة المادية القاريبية في توجيه شعوبهم ومجتمعاتهم .

• أما الذين لا يميزون دين الحق من الذين أولوا السكتاب فهم في الدرجة الأولى الذين يعمدون الدين عن التوجيه والقريبة . هم الذين يخلطون أسسم « الملمتين » منهم ، هم الذين يتكلمون ثبة الدين ، وأن لم يعلوا انكار الله واليوم الآخر . هم الذين يهددون للدين منطلقه وقسمة الحياة منطلقها .

وهؤلاء الملمتين أولياء لأولئك أصحاب الفلسفة المادية القاريبية . لانهم جميعا ينتمون الى فئة واحدة ، وهى أصحاب الدين أو إيماده عن مجال التفكير على حياة الإنسان .. هى أصحاب الإيمان بالله ، أو الفلذ من الوجود التسانى .

ولاء هؤلاء لأولئك ، بعضهم لبطى ، تدفع اليه روح واحدة ، وتطط له عقلية موحدة في العصر الذى تعيش فيه الإنسانية اليوم . وهى روح « المادية » والعقلية اليهودية المادية التى تنطل مرة في الفلسفة المادية القاريبية ، أو الراديكالية الماركسية ، وأخرى في الرأسمالية الليبرالية ، وثالثة في الماسونية أو في « المائتين الأحرار » .

وتستهدف هذه المادية :

تحقيق « التماشي السلى » للثقافات اليهودية في شعوب العالم .

كما تستهدف إعادة ملكة الله على أرض المكاد ، أو اقلية إسرائيل على « صهيون » كرمز لعودة القاريبية للشعب اليهودى وفي الوقت نفسه كرمز يلجأ اليه من يشعر بالمللة أو الاستطهاد في اقلية من اقليتهم المعيدة .

ولا يمكن أن يتحقق التماشي السلى للثقافات اليهودية في شعوب العالم اليوم ، كما لا يمكن أن يتوطد أمن إسرائيل على صهيون — فضلا عن ازدهارها — ألا في غفلة من الايمان المسيحي في الشعوب المسيحية ، والايمان بالاسلام في الشعوب الإسلامية ، وبالإخص في الشعوب التى تعيش بصهيون . ومن هنا جاء محور « المادية » اليهودية : — أن في الراديكالية ، أو في النظام العلماني ، أو في الحركة الماسونية — ضد الايمان بالله في كل طبقة من طبقات الشعب :

١ — فالماسونية تنهج بعمولها للبرؤوس والرؤساء الذين يوجهون السياسة والاقتصاد في الشعوب .

٢ — والملمانية تستمد ما تحلل من محور ضد تقويض القيم الدينية بين المثقين والشباب في دور التطعيم المخففة وفي وسائل الاعلام المتدوعة .

٣ — والراديكالية تستمد وسائلها القاريبية المختلفة لحر الدين أساسا وعلى الإخص بين العمال والفلاحين في المجتمعات .

• وجهاد اليوم في سبيل الله أن اتجه ضد المذنبين الممدين في الصور المعيدة لإتجاه المادية — وبالإخص ضد الماركسية الألمانية — فقه يشعبه ما اتجه اليه بالإخص ضد من كانوا يسمون بالشركيين .

وان اتجه الى المقلبين من أهل الكتاب - والمسلمين هم من المسيحيين وهدم كل
كتاب - فانه كذلك يشبه ما اتجه اليه بالامس ضد : « الذين لا يدينون دين تلحق من الذين قوتوا
الكتاب » .

واذا اتجه الى الروح المأينة او الى المقلبة المأينة اليهودية - والصهيونية جانب منها
... فانه يكون قد اتجه الى تلك المصدر اذى يمتد الولا والصداقة والترابط بين المدنيين المحدثين ،
والمؤمنين من أهل الكتاب لتعتيق الهدف المشترك ، وهو : اضماع الايمان بالله ، ومحاولة رد
المؤمنين عن دينهم ان استطاع .

والذا لم يبتغ الايمان بالله .. الا لم يبتغ المسلمون اليوم الى هذا المصدر اذى يمتد
الولا بين الاتجاهين في عدا الايمان بالله لتحقيق الهدف المشترك بينهما ، فاقول لهم انك من
خطر الداهم وفساده الكبير : « والذين كفروا بعضهم اولياء بعضى ، الا نضلوه تكن فئة في
الارض وفساد كبير » .

و جهاد المسلمين اليوم ضد الروح المأينة او ضد المقلبة المأينة اليهودية يكفى - مع
ضعف المسلمين في حاضرهم - ان يكون في المرحلة الاولى جهاد ببقطة العقل والقلب ، وبالهدوء
والنفس ، حتى لا يقع بعضهم في صداقة او جود لا يصحاب احد هذين الاتجاهين تفعل الخطوة في
ارضى المسلمين ويعظم الفساد فيها .

ان الصهيونية المأينة هي جانب عقد من المقلبة المأينة اليهودية . هي الجانب الذى
ينتهى عقائد دولة اسرائيل في اقامتها وبقائها واازدهارها .

ولكن الذى لا يعمل من نفسه من المقلبة المأينة اليهودية الحركة في الواقع - وهو الاطر
والامم - هو :

الجانب الفكرى منها وراء دفع الراديكالية الماركسية .

والجانب الاخر الاقتصادي وراء دفع المأينة في النظم الرأسمالية .

وبعد الولا لاي ين « الجانبين الراديكالى ، والرأسمالى هو الصورة التى يجب ان يبرز فيها
الجهاد اليوم في سبيل الله .

- | | |
|---------------------------|-----------------------------|
| (١) البقرة ٢٥١ . | (١٨) المجادلة ٢٢ . |
| (٢) الحج ٤٠ . | (١٩) الطه ٣ ، ٤ . |
| (٣) البقرة ٢١٦ . | (٢٠) محمد ٤ . |
| (٤) النساء ٧٦ . | (٢١) آل عمران ١٣٧ - ١٤٨ . |
| (٥) النساء ٧٤ . | (٢٢) الحج ٦٢ . |
| (٦) الحج ٣٨ - ٤١ . | (٢٣) النساء ٧٦ . |
| (٧) النحل ٣٩ . | (٢٤) النساء ٧٤ . |
| (٨) البقرة ١٩٠ . | (٢٥) الطه ١١١ . |
| (٩) الانفال ٦١ ، ٦٢ . | (٢٦) النحل ٢٢ - ٢٤ . |
| (١٠) البقرة ١٩٣ . | (٢٧) الانفال ٧٣ . |
| (١١) الطه ٢٩ . | (٢٨) النساء ٩٥ . |
| (١٢) البقرة ٢١٧ . | (٢٩) الطه ١٩ - ٢٢ . |
| (١٣) الطه ٨ - ١٦ . | (٣٠) البقرة ١٥٤ . |
| (١٤) الطه ٣٦ . | (٣١) آل عمران ١٦٩ . |
| (١٥) البقرة ١٩٠ - ١٩٣ . | (٣٢) الطه ٢٩ . |
| (١٦) الطه ٢٩ . | (٣٣) الانفال ٧٣ . |
| (١٧) المجادلة ٢٠ - ٢١ . | |

هذا بصائر من ربكم

للدكتور: علي عبد النعم عبد الحميد

المستشار الثقافي بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

روى البخاري بسنده المتصل عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعاف الجبال ، ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن » .

حار الناس (١) فيما هو واقع في المجتمعات المعاصرة على اختلاف وجودها ، لقد انتشر بين الناشئة مجاناة الأديان ، والافتقار في المادية البهيمية ، ووصل البعض إلى أطراح فكرة (الألوهية) وأنبرى كثيرون من قادة الفكر يبينون خطأ هذا الاتجاه ، ويبرهنون على أنه مجاف للإنسانية الفاضلة ، واتخذ الراغبون في السلامة العزلة مسلكا ، وتلمسوا لمسلكتهم تعليلا لهموه من بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .
والإسلام الصراح وإن حذر من الفتن والافتقار فيها ، فقد دعا بقوة إلى الإيمان بالله الواحد وأوضح بالبراهين القاطعة وجوده وحدانيته ، وأنه لن يستقيم أمر الحياة بغير هذا الأيمان ، فالمعقودة الإسلامية قوة دافعة للأجادة والافتنان في كل شيء ، حافة على الإبداع والاختراع والمضي قدما بالإنسانية إلى ما يمكن لها في الوجود المثالي الكامل ، لارتكازها على الاعتصام بالله القوى العليم الخبير ، ولتستعرض الركن الأول في أسسها القويمية وهو الإيمان بالله تعالى :

١ - مفهوم الآله في الإسلام :

الله - هو الخالق المعبود بحق ، المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل نقص ، وعلى هذا مفهوم الآله في الإسلام - أنه هو القوة المبدعة للأشياء والأسباب ، المنشئة دون مثال سبق للسنن والقوانين الثابتة البادية في مظاهر العالم .

« والعالم هو الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك ، ولا يجمع فاعل بالواو والنون غيره ، وتعاليمه الجميع علموه » (٢) « ومن أطرف أشرار اللغة العربية أن المكون الذي تشاهده هو وجلة نظام الخلق ، ما نراه وما لا نراه يسمى (عالم) التي معناها العلامة الكبيرة » (٣) ولا يطلق على الإله في الإسلام أنه سبب أو علة ، وإنما هو خالق الأسباب والعسل المتصف بالقدرة والعلم ، فله سبحانه وجود خاص متكامل ، فلا تدرك ذاته حسيا بحال من الأحوال ، وإنما تعرف بآثارها ، وبمظاهر القدرة ، فله المثل الأعلى (ليس كمثله شيء) .. « الله لا اله الا هو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

٢ - ائلة وجوده تعالى :

منذ أقدم العصور بحث الإنسان عن القوة المؤثرة في الكون إيجادا واعداء ، وجما وتفريقا والتي يستند اليها وجوده وتديبه ، ويصدر منها ما يخرج عن طوقه وقدرته ، وما يوقفه حائرا مههور الأنفاس أمام العظيمة البادية في هذا التنسيق البديع لحركة الأملاك علويها وسفليها وتنوع الموجودات من سماء وأرض ، وبحار وأنهار ، وصحارى وجبال وجهاد وحيوان ونبات وما أحدث به من حرارة وبرودة ، وما منحت من ليل ونهار ومصول مختلفة وغير ذلك مما يحل من العصر ، وكل شيء بمقدار وميزان لو أخفل قليلا لهلك العالم ويباد .

واتخذ البحث طريقا وأشكالا مختلفة ، وجاء في كل عصر فلاسفة وعلما سلخوا طريقا مماثلا أو مغايرا لن سبقوهم وقديما حاور شيخ فلاسفة اليونان (سقراط) منذ أربعة وعشرين قرنا منكرا للاله محاوره لا نرى بأسا من إيرادها ، انتهت بايمان محاوره (٤) .

سقراط أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟
أريستوديم نعم ، أعجب في الشعر القصصى بهوميير ، وفي التصوير بزوكرسيس ، وفي صناعة النحاسيل ببوليكيت .
سقراط أي الصناع أولى بالأعجاب الذي يخلق صورا بسلا عقل ولا هراك أم الذي يبدع كائنات ذات عقل وحياة .
أريستوديم طبعا الذي يبدع الكائنات المنبئة بالعقل والحياة إذا لم تكن تلك من نتائج الاتفاق .

سقراط وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعطى الاعضاء لمقاصد وغايات خاصة ؟ عين ترى ، وأذن تسمع وأنف يشم ولسان يتذوق ، والعين تصاط بحراسة لحساسيتها وضمتها لتقتل عند النوم أو عند الحاجة ، وتجرس بالرموش والحواجب ، ويجمل للأذن جهاز خارجي يجمع لها الصوت ، هل يمكن أن يكون ذلك من نتائج الاتفاق ؟ والميل المودع في النفوس للتناسل ، والحنان في قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد مع ندره أن ينزع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذي يلهم الرضاعة بمجرد ولادته هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟ .

أريستوديم لا أن ذلك يسدل على الإبداع ، وعلى أن الخالق عظيم يجب الكائن الحي .. ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

سقراط و انت أيضا لا ترى روحك التي تتسلط على اعضائك ، فهل معنى هذا ان تقول ان اعمالك صادرة عن اتفاق وبدون ادراك ؟ وانتهت المحادثة بايمان ارستوتيم بالاله ..

ومن بعد سقراط برهن تلميذه (افلاطون) على وجود اله .
« وكان يرى كما يدل كلامه في محاوره طيمائوس ان الاله واحد بدليل ان العالم واحد وانه منظم » (٥) .

ثم تقابعت الدراسات الفلسفية (٦) واختلفت طرائقها في تصوير فكرة الالهية كما تشعبت ادلة كسل طائفة على ما ذهبت اليه وتنوعت حتى جاء عصرنا المبذى وجد فيه من يحاول انكار وجود اله ، وأن لم يتم لهم برهان ولم يستقيم دليل (٧) ولهؤلاء يقال : ما رأيكم في قول الله تعالى (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور) فهل باستطاعتكم منع مقدر له الوجود ان يوجد حيوانا كان او انسانا او نباتا او جبادا او كوكبا علويا او سفليا ، وهل في مقدوركم ايقاف الفناء والتخلص من عوايله ودفعه عن انفسكم فضلا عن غيركم ، وما موقفكم حيال قوله تعالى « كل نفس ذائقة الموت » ؟ وسنترك لكم المجال لتحاولوا تبرير انحرافكم عن الجادة ان كنتم صادقين وما نظنكم لماعلين (٨) .

وقد نجحت في الاسلام طوائف المتكلمين الذين خلطوا البحوث العقائدية بما عرفوا في فلسفة اليونان التي ذاعت وانتشرت في بدء ظهور الدولة العباسية ، واتت اكلها في عصر الخليفة المأمون ومن بعده ، واتخذوا المنطق الارسطي وسيلة البرهان ، واشهر مدارسهم الاشعرية والماتريدية والمعتزلة وبرز ادلتهم العقلية على وجود الله هو اثبات حدوث العالم لانه جواهر واغراض متى ثبت ان العالم حادث ثبت ان له محدثا موجودا عالما قادرا مريدا ، وذلك هو الله تعالى ، وقد نبغ من المتكلمين من دافع عن العقيدة بحرارة وقوة وجدد وثبات افعال النظام ومدرسته واضرابه ، والاشعري واتباعه ، والماتريدي وانصاره ، ثم ابن رشد (٩) الذي نقد طرائق المتكلمين ودعا الى طريقة خاصة اسمها الطريقة الشرعية للبرهنة على وجود الاله .

« ... فان قيل : اذا تبين ان هذه الطرق كلها (يعنى طرق اهل السنة والمعتزلة والصوفية) ليست واحدة منها هي الطريقة الشرعية التي دعا الشرع فيها جميع الناس على اختلاف فطرتهم الى الاترار بوجود الباري سبحانه ، فما هي الطريقة الشرعية التي نبه عليها الكتاب العزيز واعتمدها الصحابة رضوان الله عليهم ؟ قلنا — الطريق التي نبه عليها الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها ، اذا استقرى الكتاب العزيز وجدت ننحصر في جنسين : أحدهما — طريق النجوم على المنايا بالانسان وخلق جميع الموجدات من اجلها وننسم هذه (دليل الناية) .

والطريقة الثانية — ما يظهر من اختراع جواهر الاشياء الموجودات مثل اختراع الحياة في الجباد والادراكات الحسية والعقل ونسب هذه (دليل الاختراع » (١٠) .

(وبعد) فلنتجاوز المتكلمين محيلين الباحث الالهي على ما تركوا من تراث ونخرج على ادلة السراة المريم فيها احتوى عيسى من براهين واساليب للوصول الى القناعة العقلية بحقيقة الالهية ما يصلح زادا لكل المستويات

العقلية المستقيمة لا المسقيمة ، مبتدئا بالاعرابى ذى الفطرة السليمة ، ومنهجيا بالفيلاسوفى للنظريات العميقة ،

فالمستعرض لآيات الذكر الحكيم الخاصة بآيات وجود فاعل مختار عالم قادر حكيم ينفها داعية الى النظر الى التكون المحيط بنا ، والذي تقع عليه حواسنا مشيرة الى ان وجوده بهذا الاحكام والانتان ، والتدبير ، وتسخير كل ما فيه للانسان الذى هو قمة الموجودات وسيدها المطلق — يخلص من كل نللك الى ان كل ما نرى وما لا نرى لا يمكن أن يكون مصدره الصدفة بحال ، فهذا الليل والنهار والشمس والقمر وتعاور الفصول الاربعة والسموات والارض وما بث فيها من دابة وجماد ، ونبات ، وما يلزم لتلك المخلوقات لتميش وتحيا من ماء وهواء وغذاء ، وما يستلزمه تنوعها وتبعاها من مواسم بينها ، وثوامة على حفظها ورعايتها لتستمر فى اداء مهمتها الى الايمان العميق بوجود الصانع المختار العليم الحكيم .

« ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى الالباب » (الآية ١٩٠ من سورة آل عمران) ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والنك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون (١٦٤ من سورة البقرة) .

« يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون » . (٢١ و ٢٢ من البقرة) .

« الم نجعل الارض مهادا . والبال اوتادا . وخلقناكم ازواجا . وجعلنا نومكم سباتا . وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا . وبينا فوسفكم سبيبا شادا وجعلنا سراجا وهاجا . وانزلنا من المصرات ماء ثجاجا . فخرج به جبا ونباتا . وجنت الفاها » . (الآيات ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ من سورة النبا .

« وآية لهم الارض الحية احييناها واخرجنا منها حيا فمنه ياتون . وجعلنا فيها جنت من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ، فياكلوا من ثمره وما حملته ايديهم فلا يشكرون سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون . وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم ظلمون . والشمس تجري مسرورا لها نكح تقدير العزيز العظيم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » . (الآيات من ٢٢ — الى ٤١ من سورة يس) .

وبعض الآيات الكريمة تنمى الى الانسان عجزه وتبدي له ضعفه وتصور باعه ايم " ضعف المخلوقات وتتحداه ان يحاول ايجادها أو ملتها — وبهيات — أو يستخلص حقه منه اذا اغتالته .

(ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقوه منه ضعف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ان الله قوى عزيز) .

« (٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج) .

وآيات تبين عن دخيلة النفس الإنسانية وحيرتها أمام الكوارث والتوازن
وشحها وبخلها إذا انعم الله عليها .

« أن الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير
منوعا . إلا المصلين » (٢١ ، ٢٢ من المعارج) .

وإذا انعمنا على الإنسان اعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كسان
يلوسا .

وآيات تأمر بحمد الله وشكره على نعمه التي لا تحصى ، وتقرر الأدلة
على قدره بالخلق والتقدير ، وتوجب عبادته وحده ، وأنه لا ينبغي عبادة شيء
سواه من الأصنام والأوثان .

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير إما يشركون .
امن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء غافقنا به حدائق ذات
بهيحة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله بل هم قوم خصمون . امن
جعل لكم الأرض قرارا وجعل خلائها أنهارا . وجعل لها رواسي وجعل بين
البحرين حاجزا إلا مع الله بل أكثرهم لا يعلمون . ام من يجيب المظطر إذا دعاه
ويتكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إلا مع الله قليلا ما تذكرون . امن يهديكم
في ظلمات النور وأخرج من يرسل الرياح يبرأ بين يدي رحمته إلا مع الله
تعالى الله عما يشركون . امن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء
والأرض إلا مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

(الآيات من ٥٩ - ٦٤ من سورة النمل) .

وهكذا تحفي آيات القرآن الكريم شارحة المظاهر الكونية وأصولها وأن
مردها إلى الله ، لتبرهن على وجوده وتوحيده (الله لا اله الا هو إلى القيم)
ويستطيع كل حسب ادراكه أن يعرف خالقه ويهتدى إليه ، فالمسلم يؤمن
بظاهر القول ، والمتعمق الفاحص يصل إلى أسرار الخلق والاياد .

وقبل أن تنتقل إلى أقوال العلماء المعاصرين وشهاداتهم بوجود اله مدبر
للكون نورد حجاج ابراهيم عليه السلام لقومه كما ورد في سورة الانعام ،
وكيف انتهى إلى اثبات موجد بالطف وجه وأحسن طريق متبرئا من تلك المصوبات
التي اتخذوها أربابا من دون الله ، فقد كان قومه يعبدون الكواكب لما لها من
التأثير السببي في الأرض (كانوا يعتقدون أن الشمس رب الناس ، والقمر
يدبر الملوك ويفيض عليهم روح الشجاعة والاقدام وينصر جندهم ويخسذ
عدوهم ، ويعتقدون أن (مرداخ) وهو المشفري شيخ الأرباب ورب المسدل
والاحكام وحافظ الأبواب التي يدخل منها الخصوم لغض خصوماتهم وأن (رنكال)
وهو المريح رب الصيد وسلطان الحرب ، وأن (عشار) وهي الزهرة ربة المغطة
والسرور والسعادة ، وتبث بصورة امرأة عارية ، وأن (نيو) وهو عطارد رب
العلم والحكمة وجاء ابراهيم بحجته البالغة فحصر العبادة في قاطر السموات
والأرض وحده دون غيره . (بل ربيكم رب السموات والأرض الذي لم يرهنا
على ذلكم من الشاهدين) (١٧) : واستمع إلى ما يورده القرآن الكريم بصدد هذا
النقاش الإبراهيمي العظيم .

✽ وإذا قلل ابراهيم لأبيه آزر (١٧) اتخذ أصناما آلهة أتى آراك وقومك
في ضلال مبين . وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض ويكون
من المؤمنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال
لا أحب الأنولين . فلما رأى القمر بازغ قال هذا ربي فلما أفل قال لن
لم يهتدى ربي لأكونن من القسوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال

هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني برىء مما تشركون . اني وجهت وجهي
للذي خلق السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين . وهاجبه قومه قال
اتعجبوني في الله وقد هددان ولا اخلاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي
شيئا وسع ربي كل شيء علما انلا تتذكرون . وكيف اخلاف ما تشركتم
ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاذى الفريقين اهمل
بالامن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اوتيتك لهم
الامن وهم مهتدون . وذلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات
من نشاء ان ربك حكيم عليم (الآيات من ٧٤ الى ٨٢ من سورة الانعام)

(١) هار يفر .. نظر الى الخلد فلم يجد فيه شيئا .

(٢) القديس الميخائيل ج ٤ ص ١٩٤ .

(٣) الاستاذ الدكتور ابو ريدة ... في مجلة عالم الفكر ج ١ ص ١٩٠ .

(٤) دائرة معارف القرن العشرين - الاستاذ فريد وجدى ج ١ ص ٢٨٦

(٥) الاستاذ الدكتور ابو ريدة في مجلة عالم الفكر ص ١٢٦ هـ ١

(٦) تابع دراسة تلك المدارس واجاد عرضها تاريخيا ونقشها الاستاذ الدكتور « ابو ريدة » .

(٧) وان كانت الظهور الصريحة لهذه المذاهب - ان استبقت هذه التسمية - ضاربة
في الحوار الماضي وقد حكي القرآن كثيرا عن المتكبرين مناديا لو كنا لو نقيدا للقاء ، والفريقين
بالعلمية والطبقية ، وقد حكي بقرود على تلك الفرق علماء الاسلام في الاسلام ، وما قاله
بعض أهل السنة نقلا :

ومن يسل بالبيع او بالماله فذلك كفسر عند اهل الله
ومن يسل بالقبولة المرددة فذلك يمدى فبالا قلقت

(٨) كما سنجد غلام هذا البحث الاشارة الى شهادات العلماء المسلمين الذين
بلغوا الدرجة القصوى في فهم ودراسة واكتشاف العلوم - على وجود الله - وقد يكون وصول
كلية العلم المعاصر الى أدنى وجوده تحقيقا لقوله تعالى (انما يظن الله من عباده العلماء)
- ونذكر المتكبرين يتصلق فيهم قوله تعالى :

واذا منى الانسان شر دعانا لجنبه او قاعدا او قلما نلصا كشفنا عنه شره من كان لم يدعنا
الى شر منه .

(٩) ابن رشد يعد من الفلاسفة المسلمين الذين اشتغلوا بعلم الكلام ونقدوا المتكلمين على
الاستدلال .

ويرجع في دراسة هؤلاء الافراد وسيرة مذاهبهم الى كتب المتكلمين وما اكثروا وفي حينها
مقالات المسلمين للتصريح ، وسوانق الأيجي ، ومناهج الأدلة لابن رشد ، والمقائد المصنفة ،
والمقائد النفسية وكتب الخزالي وامام الحرمين الجويني .

(١٠) ابن رشد : (مناهج الأدلة في عقائد الملة) ص ١٥١ مكتبة الانجلو المصرية .

(١١) تفسير الخازني ج ٧ ص ١٧٣ - طبع مصطفى الطائي - القاهرة ١٩٢٦ م

(١٢) ابراهيم - هو ابو اليتيم الاكبر بعد نوح عليهما السلام ، وهو العاشر من اولاد
(سام كما في سفر التكوين ولد في بلدة اور) من بلاد الكلدان ، وفي سفر التكوين (ان الله
تعالى طهر له ابي من الفسقة والتسعين من صبره وكلية وجدده له بان يفر نسله وابوه سياء
الله (ازر) وفي سفر التكوين اسمه (تارح) ونقل البغاري في تاريخه ابراهيم بن ازر وهو
في القرواة (تارح) وجزم الفسحة وابن جرير ان اسمه (ازر)

فِي مَنَى الْحَضَارَةِ

السلسلة : الجزء الأول

هذه سلسلة من الكتابات قد تطول الى اشهر ، وأريد لذلك أن نستأنس
لذلك السلسلة بما يهد لها من الذهن والضمير .. فهي ليست من احاديث
الواقع التي نردها في صور مختلفة من التقرير .. والشكوى .. والتبني ..
نعم ليست من احاديث التقرير التي نجيد بها عرض موضوعات تقليدية
من تراثنا المجيد لا نبغى فيها ولا جديد الا اناعة الصيغة أو استبدال أسلوب
بأسلوب ..

وليست من احاديث الشكوى أو الألم لما نعاني من هوان وضعيمه ، فإن ما
نزل بنا قد برم مناسا ، ولم مقامه فينا ، وكأننا قدت الشكوى ضربا من
« الروتين » لا يمثل ألما ولا ينزع عن عرق جياش بالضيق ..

وليست من قبيل تمنى الإصلاح أو ترجيه ، غانا لم نتفق بعد على معنى
الإصلاح .. هل نأخذ له من الغرب .. أو نأخذ من كلمة الشرق .. أو نرجع فيه
الى تراثنا ومروفتنا الجياشة بأجداد الماضي ؟

والاختلاف على مفهوم الإصلاح آية الاختلاف على فهم الحاضر الذي يراد
إصلاحه .. وهو مع ذلك خلاف تمثل وجهات نظره لونا من التطير وعداء كل

منها لغيره اعداء لا يقبل التقارب أو المعايشة في صدق .. فالتراث في نظر بعضهم عوامل تخلف ورجمية يجب أن تبعد كشرط حتم للبناء والإصلاح .. أو هو في أحسن ما يقال « مناهيم » أتت دورها في عصر ما ولم تعد قابلة للحياة في غيره .. وأصحاب التراث ينظرون إلى اليمين وإلى اليسار فلا يجدون إلا مادية قاتية ، وجوداً لشأن خالق الكون ، بين منكر له بهرة ، ومعترف به اعترافاً هو والوجود سيان ..

وأختلافنا في فهم الواقع ولهم ما يصلحه يدعون أن نطرح للبحث قضية ذلك الواقع نفسه .. هل هو واقع صالح للبقاء ولا ينقصه إلا علاج وتدارك ما به من نقص وعلة ، أو أن هذا الواقع لا يصلح أن يكون واقعاً بة ، وبناؤنا عليه يقوم على غير أسس ؟ وأن علينا أن نلتبس في جد وصدق « مواصفات » أخرى لتفطيط جديد نستهدي فيه العقل والفطرة ، ونتحرى الموازنة مع كل حقيقة في الكون ظاهرة وباطنة ؟

وفي تلك « المواصفات » هل نأخذ من الغرب علومه ، وأوضاعه فسي الحضارة ؟ .. أن الغرب كله يتسم « بالإنانية » وهي عماد حضارته ، وهي التي دمه أن يأخذ ما بأيدينا بالعدوان والبغى ، دون أن يكله أو يزرجه عن ذلك ماله من علم بالطبيعة ومخالفاتها ، بل أن ذلك العلم هو الذي أمده بالعدد التي مكنت له في انفسنا وثرواتها ، فإذا طلبنا ما لهم من صناعة وعلم ، مانينا نطلبه لنندرا البغى عنا محسب ، ومن قصر الرأي أن يرجو راج أو يسمى لأن يكون واقعنا مثل واقعهم في النظر إلى معنى الحياة والغاية منها .. وبعبارة أخرى : النظر إلى معنى الإنسان ، ومفهوم فضائله ، ومكانه في الكون ومهمته فيه فإن الغرب نفسه شجر من المفهوم الحي لتلك الحقائق ، بل شجر وشقي لممارسة المفهوم الإنساني لتلك الحقائق في استباحة كل لذة حسية ممكنة ، وليس للغرب فضل أو فضيلة في ذلك الشجر ، فإنما هو أثر عميق يثور في فطرة كسل آدمي حين لا يتسقى في نظريته للكون مع أصول فطرته .. والمعجب أنهم — مع شجرهم أو سامهم هذا — يمالجونه بمزيد من الإغراق في الشهوات والتبجح بالتحلل والإباحة ، يغرثونه ويمهدون له بمزيد من البغى والسلب وجرائم التفرد التي لا يقررون فيها للكون بحق من حقوق الحياة .

لماذا كان الواقع كله عندنا وعند غيرنا على ما قدمنا ، بمحاولة علاجه بترقيع بعضه من بعض ليست سوى توطين أو تزيين للسوء ليستشري في مواطن أخرى .. وإذا ، فلا معدى من تغيير الواقع كله ، على « مواصفات — كما قلنا — جديدة ، على نطاق العالم كافة ، أو على نطاق الإنسانية بأسرها » . ومن المعروف أن هذا الواقع هو علم ، وفن ، وصناعة ، وفلسفة ، وتشريع واقتصاد وسياسة ، وآداب عامة ، وعرف في معننى الفضيلة ، والحياء ، واللغة ، والعرض ، والشرف ، والسلوك الخاص ، فإذا دعت الضرورة لتغييره فليس كما نغير ثوباً بثوب ، لا يكلنا الأمر إلا أن ننفضي منا هذا لثرفدى غيره .. فإن هذا الواقع ليس سوى شرة لنظرة خاطئة في الحياة وفي معنى الإنسان !! .. وتلك النظرة نفسها إنما هي ثمرة لوضع عقلى خاطئ ننظر منه إلى الكون .. والكون هو وطننا العام ، إذا توطننت منه أبداننا أشياء معدودة لكل بدن ، فإن لنا من الحواس ومدارك العقل ما يزرع أقطاره في السموات والأرض ، ويذهب في آفاده الظاهرة والباطنة إلى آفاق تروغ الأمثلة ، وتبديد لها الرموس وما تكشف الإنسان من تلك الآفاق حقيقة أو مدى ألا وتوطننه بعقله وأقبل عليه

بحالاً وتبيناً لما يتضمنه .. فالكون بالنسبة لنا وطن فكري لا حسي محسب ،
 فإذا كان وضع العقل منه خاطئاً فمعناه أن تبدو منه بعض الحقائق دون بعض
 .. وتوطن أي بيت خاص لا يكتب للإنسان فيه الاستقرار والانتفاع بكافة مزاياه
 إلا إذا أحصى وعرف كل ما يتضمن من حجر ، ونوافذ ، ومرافق ، وأجهزة
 للحياة والنور ، وما يلحق به من مرافق تتم بها الرخاء والمنفعة ، وهو بعد لا
 يحجب الإنسان عن الكون الكبير .. فأولى أن تحس قطرة العقل قلماً إذا كانت
 بوضع تحتجب فيه منها بعض أو أهم حقائق وطنها الخطير ... وإذا عرفنا أن
 قطرة العقل ليست أمراً حسياً .. وإذا عرفنا إلى ذلك أن توطن الكون بالنسبة
 لها هو توطن حقائقه المعنوية تبيناً ومعرفة .. وإذا عرفنا فوق هذا أن تلك
 المعرفة هي الزاد أو الرحيق الذي يصلح ويتم به أمر تلك القطرة — عرفنا مدى
 القلق الذي يعترها إذا لم تكن بوضع صحيح تحتل به كل مواطنها من الكون ،
 وتتزود بكل ما لها من ثقافة في تلك الموطن .

إن الإنسان خلق ليحيى في الكون .. والإنسان هو بدنه ، ومعايير عقله
 وخصائصه .. وأنا نحس إلى الآن أن الكون مصدر معارفنا ، ومنافعنا ، وتسوان
 أمرنا كله ، فهو — إذا — قد فطر على سنن الموame حساً وروحاً لمصالحنا .. أو
 أننا فطرنا على الموame لسننه أو لن مشيئة العليم الحكيم انتضت الموame بين
 سنفنا وسننه ، فلم يثقل أي ضرر — يوماً ما — بسبب الاتصال به اتصال حس
 أو عقل ، فإذا كان ضرر فهو منا بفساد التقدير وعدم الاكتراث لسنن الطبيعة .

فإذا تكلمنا عن تغيير الواقع فلسفياً نعني تغيير أنماط الحياة الظاهرة في
 منها وصناعاتها ، وتشريعها ونحوه ، أما نريد التغيير الذي يبدلنا بواقع نظرننا
 نمطاً يقيم العقل على بحث معايير وخصائص الموame لحقائق الكون .. وبذلك
 الموame يزول القلق ويزود الفكر زاده الثقافي الجامع الذي ينشئ لحضارة
 الإنسان أنماطها في التشريع والفن ، ومفاهيمها الصادقة لحقائق الحياة ،
 والمرض ، وكرامة السلوك الخاص .. ويجعل للحياة غايتها العليا ومعناها
 السامي الذي يسعد به الفكر ، كما يجعل للإنسان رسالة حكيمة يكرم بها سعيه
 ويشرف قدره بين الكائنات ..

وإذا يرجع تكوين تلك الحضارة إلى حقائق الكون التي لم يتقدمها انسان ،
 ولم يزيها بشر .. وإلى معايير العقل في كل آدمي ، فقد رجس إلى الأصل
 الجامع الذي لا يرد أحد ، ولا يشذ عنه عقل سوى ..

الحضارة بين الحس والروح :

والحضارة ظاهر ومعنى « أو حس وروح » وقد تحول إليها الإنسان
 بآديء بدء ببوامت القرب إلى الحس رغبة في الاستقرار والأمن « قال في لسان
 العرب : الحضر خلاف البدو .. والحاضر خلاف البادي .. والحضارة الإقامة
 في الحضر .. والحضر والحاضرة هي المدن ، والقرى ، والريف . سميت بذلك
 لأن أهلها حضروا الأمصار ، وبساكن الديار التي يكون لهم بها قرار ..
 ووضع الإنسان لفهته ابتداء كان يشمل ثمرة تفاعله مع الكون ، أو مع
 الواقع الطبيعي والاجتماعي المحيط به ، سواء كتبت تجارب هذا التفاعل حسيّة
 أو نفسية ، أو عقلية ... ولفطنا العربية بوصفها من أقدم اللغات ، وقد وضمت
 ابتداء في البداية من قوم لهم صفاء الطبيعة وفكاه القريحة .. لفطنا بهذا الوصف

تعتبر من أصدق اللغات تعبيراً عن فوالم الإنسان الأولى وتجاربه عامة ، اذ كان يدرج بين البادية والحضر خلال تطوره من الأولى الى الثانية .. ولذا نسرى صاحب لسان العرب بفكر أن الحضر سى بذلك لأن أهله حضروا الامصار ومساكن الديار التى يكون لهم بها قرار .. وذكر القرار ، أو الاستقرار فى هذا الصدد يقتضين « لفظة » خافية للنفس ابان ذلك الصخرج أو التردد بين البدو والحضر ، اذ كانت تلحظ الفارق بين مشاعر الاتية فى البدو ، والاتية فى الحضر وهو فارق لا يرجع أساسا الى رسوم الظاهر والشكل ، انما يرجع الى ما هو أبعد فى خفايا الفطرة .. يعود الى فارق التلق والطمانينة ، بين ما تعانينه النفس فى البداوة ، وما تسكن اليه نسبيا فى الحضر .. وقد يكون هذا الفارق مائلا فى نمط الحل والترحال ، والنظن والاتية الذى تعانينه البداوة طلبا للرعى ومسائط الغيث ، بمضاهاته بنمط الاستقرار الذى يحتل به الحضر بتوافر أسباب المعيشة بينهم .. ولكننا نمنى فارقا أعمق من معاناة كسب القسوت أو يسره .. فارقا يشير الى حال التلق الدائم على الدم والمال فى البداوة ، والأمن عليهما فى الحضر .. اذ البداوة — مع حياة الحل والترحال الرابطة — لا تفقا تشن الحروب فيما بينها ، أصابة لثار أو طلبا لنهب حيث كان ، وكان ذلك متمصلا معهودا بينهم ، حتى لكأنه عادة يمارسونها مع من نأى أو دنا من الإبعاد والاتارب على ما يقول القطامى :

وأحيانا على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

أى أن الحرب ديننا المتصل ، لا نكف عن الإغارة على غيرنا ، فإذا لم نجد أغرنا على من تروى من أبناء عمومنا ... ومهما يكن من ألف البادية لذلك فإنه يعارض فطرة الحرس على النفس والمال فى طبيعة الإنسان ، فلا جرم كان ذلك ملحوظا — فى خفاء — حين ملاحظتهم ميزات الحضر ابان ترددهم عليه واستعدادهم للتطور ، ولا جرم — أيضا — ضمنوا لفتهم تلك اللغات النفسية الدقيقة ، فكان ما ذكره صاحب اللسان من تحليل تسميتهم الحضر بالحضر ، اذ سجلوا بتلك التسمية ما كانت تحسه سرائرهم من ميزات الطمانينة والاستقرار التى ليست للبادية .

ولسنا نتقدم أى بحث لغوى ، انما نعرض « وثيقة » تتضمن لقطات لحركات النفس العربية وهى تودع للفتها انفعالاتها الأولى بطرف ترددها بين البدو والحضر .

وقد كتب فى دقائق البدو والحضر كثير ، ولكن أوافها وأفضلها ما كتبه مفكرنا الخطير عبد الرحمن بن خلدون .. فالبداوة — مثلا — مرحلة فى عمر الإنسانية سابقة للحضر .. ومجتمع البادية ساذج فى معيشته وأوضاعه لقله مطالبه واكتفائه بالضرورات ، ومجتمع الحضر كثير المطالب متشاك بالضرورات بحكم ما تتطلبه عمارة الدور والأرض من صناعات متباينة ، وما يترتب على ذلك من معاملات وأوضاع تنظيمية شتى .. عرضوا لذلك ونحوه ولكن الذى يميننا هو ذلك الحافز العميق الذى نلحظه من ورائه ، والذى حزن الإنسان — وما زال يحفزه — الى الحضارة ، وهو حافز الفطرة الذى تتم عنه اللغة ، حافز الحرس على الملاحظة على الذات وما لها من مقومات الحياة ... ولكن هل هذا الحافز وحده هو كل ما تضمنته الفطرة من حوافز وضرورات ؟ .. وهل ذلك المفهوم للحضارة قد تضمن كل ما لها من مقومات وخصائص ؟

ان اللغة قالت : ان الحضارة هي الإقامة في الحضر ، واتسع ذلك المفهوم بالتجارية أو لزوم ، فشمل مظاهر نشاط الإنسان في عبارة الأرض والمدن بمختلف الصناعات .. وزاد التفاعل مع الواقع — حسياً وعقلياً — فكان ما أسفرت عنه الجهود من كشوف علمية لمخبرات الطبيعة ، وقوانينها ، وأضيف ذلك ومظاهر استعماله وآثاره الى مسابقتها في مفهوم الحضارة ومقوماتها .. وصحب ذلك كله ضروب من المعاملات ، ونظم الحكم والتشريع ، والقضاء ، والسياسة ونحوها فكانت — بحكم اللزوم — أيضاً خاصية للإقامة في الحضر أضيلت لمفهوم الحضارة .. ولكن هل انتهى الى ذلك الحد مفهوم الحضارة ؟ .. وبعبارة أخرى هل انتهت خواطر الفطرة الداعية للحضر فانتهى مفهوم الحضارة الى ما انتهى اليه ؟ ..

اننا نريد ان نفيه الى الرابطة الوثيقة بين حوافز الفطرة ، وبين ما تدعو اليه في مظاهر الحياة من تفاعلات .. نريد ان نفيه الى الرابطة المتطقية الضمنية التي تجعل حضارة الإنسان اثرًا ضروريًا لما تنطوي عليه فطرته من تطلعات وحوافز .. وعلى هذا نسأل : هل هذا الحافز وحده — حافظ المحافظة على الذات — هو كل ما للفطرة من ميزة الحياة الباطنة ؟ ، أو ثبت حوافز وتطلعات أخرى ؟ ..

بين انفعال الحس وانفعال الروح :

منذ يعي الإنسان نفسه يحس اتجاهه الى الكون وأكمله بوجودان غامضين فيه متجيب بامتث على السؤال : ما هذا ؟! وهو وجدان لا تكلف فيه ، كما أنه ليس من تخيل أحد ، أو إيهامه ، بل هو حركة يجدها كل فرد في شسيره منذ يعي نفسه — كما قلنا — .. ومع تقديمه في عمر الطفولة يعظم التجسب ، وتعمق الروعة ، ويزداد التساؤل : ما هذا ؟! .. وتبدأ عجائب الكون تطفه الى ذاتها : الشمس بظواهر شروقتها وقروبيها ولائتها الباهر ، وتنقلها المعجب في القبة الكونية كل يوم من الشرق الى الغرب .. والقمر بأشكاله المتباينة التي يغيرها مع كل ليلة ، ويطلعنا بها من عليائه على مدى الشهر .. والكواكب التي تنطفي فضاء الكون ليلا بزينتها النجمية العميقة ، وتأخذ باللب في خشوع ورقة الى شورها السحيق ... والإنسان يلبي ذلك كله في تطلع ظاهر ، وتجسب ملح في السؤال ما هذا ؟ ومن أوجده ؟!

وقد يكون هذا التساؤل في ذهن رجل بدوي ، أو طفل حضري أو قروي .. وقد يظني عنه اجابة صحيحة ، أو غير صحيحة ، وقد لا يتلقى عنه اجابة ما ، ولكنه في كل ذلك يظل على حاله في التطلع الى تلك الايات دهشاً متطلباً المعرنة .

نعم قد يخفت التنبه واحساس الروعة — مادة — لدى الاكثرين بتقدم المراء في العمر ، وازدهام تبعات العيش وشوافله على وعيه مع تنوعها وتواليها ، ولكن ليس معنى هذا أن تلك الحال كانت ظاهرة أو خاصة تصحب الطفولة ثم تنقضي أو تزول حين يبلغ أشده ، ويواجه منطق عيشه ودواعيه المترامية ، فانه في غمرة تلك الدواعي قد تتاح له خلوة بنفسه فيسرى تلك الايات أكثر اشارة ووضوحاً من ذي قبل .

فنحن — اذا — بازاء طرفين : الكون ، والانسان .. الكون له آياته وحقائقه .. والانسان — من دون كائنات الطبيعة — يفعل بترك الآيات والحقائق انفعالا يتبقي به في النفس وجدانات التعجب والتساؤل ، وينبعث به العقل في محاولة الفهم .. وقد قلنا : ان ذلك ليس عن تخيل مفتعل ، أو وهم ، انما هو عن واقع محس عتيد هو « الكون » وكذلك ليس عن خاصية مؤقتة تصحب الطفولة الغضة ثم تنتهي ، بل هي عن فطرة ذات وعى أو حس ، تواجه حقائق الكون فتتفاعل أو تتأثر لها في تعجب ودهشة فتتحرك مستشرقة متسائلة : من خلق هذا ؟! ويتدخل العقل لمعرفة المسؤول عنه .. قلنا هذا ، وهو يضعنا بازاء موازنة بينه وبين تجربة القلق التي دعت الانسان الى التحضر انما ..

1 — فاضطراب الأمن — بالعوامل التي تحكم بيئة البدن — عارض رغبة فطرية في النفس — هي غريزة المحافظة على الذات — فاثارت تلك المعارضة حركة في الضمير ، أو قلنا يتضمن الخوف على النفس ، ونشدان الأمن بسكنى الحضر ، وما تستدعيه من صناعات مختلفة .. وفي التجربة الثانية نجد المواجهة بين فطرة الانسان وحقائق الكون قد اثارته في النفس حركة أو قلنا ، فيه تعجب واستشراق لمعرفة من خلق هذا ؟!

ب — وبواعث القلق في التجربة الاولى حسية ظاهرة ، هي عوامل اضطراب الأمن .. وأهدانه — كذلك — حسية هي احرار الأمن على المال والنفس أي البدن ..

وفي التجربة الثانية نجد بواعث القلق هي « المواجهة » بين وعى الانسان وحقائق الكون .. فهل هي بواعث حسية ؟ .. ونجد أهداف القلق هي التخلص لمعرفة من خلق هذا .. فهل هي أهداف حسية ؟ ..

اذا ذهبنا نعرف حقيقة ذلك — أي البواعث والأهداف — ألينا الانسان قد أدرك « شيئا » في حقائق الكون ، أحس له في نفسه أثرا مزيجا من الدهشة والتعجب ، فما عسى أن يكون ذلك الشيء ؟

انه ليس الضوء والحرارة ، ولا الاصوات والمشمومات ونحوها من الامور المحسة ، فان تلك الحسّات ترد على حواسنا كل آن من نهار وليل بلا انقطاع .. دون أن يحدث مثل ذلك الوجدان العميق الهادي المتميز بالروعة والتعجب .. نعم قد تحدث اشارة سطحية برائحة زكية أو كريهة .. وبصوت حسن أو منكر .. وبمنظر جميل أو قبيح — مثلا — ولكن ذلك غير الوجدان الذي نعنيه المتميز بالعمق والتعجب ، المتسائل : من خلق هذا ؟ ..

والمعروف ان الانسان ينظر كل آن الى السماء ، وما لها من شمس وقمر وكواكب ونجوم ، وكأنه لا ينظر اليها لاستيلاء شواغل المعيش على ارادته ، فلا تنشأ بنفسه روعة ما أو تساؤل من قبيل ما قدمنا .. وهذا يدل على أن مجرد رؤية تلك الكائنات السماوية بالحواس أو بالنظر العادي لا يحدث في النفس الأثر الذي نقرر ، وإن ثبت في تلك الكائنات ، « أشياء » غير حسية لا تری بالنظر العادي ، انما يتنبه لها وعى الانسان اذا زالت عنه شواغله الحسية ، فيصيرها فتحدث في الضمير خلجات التعجب التي قدمنا .

فبواعث القلق — اذا — أمور معنوية غير حسية ، تتم برؤية غير رؤية الحس .. وكما يكون لرؤية الحس أثرها السطحي برؤية منظر قبيح أو جميل يكون لتلك الرؤية المعنوية أثرها العميق في النفس الجاش بالتعجب والتساؤل .. ونفس الانسان كالغدير الهادي الرهو ، لا تتحرك هي ، ولا تحدث فيه

هو حركة ما الا أن يحركه محرك ، أو أن يلقي فيه بشيء يغير شكله ، فلا مجال — بنة — لأن يقال : أن هذا التعجب والتساؤل يحدثان في النفس بغير شيء ..

وإذا ، فبواضع هذا القلق روحية بحثة ، لا تقتصل من قريب أو بعيد بعوامل بيئية بدوية أو حضرية ، ولا بفريضة ما من التي تتصل بالمحافظة على الذات .. وليست هي من صنع الحواس المعروفة ، ولا هي صادرة من مادة الحسرات إنما هي رؤية « لعالم عقلية » غير محسوسة في الكائنات .. معان في الكائنات بتبينها وعي الإنسان إذا اتجهت ارادته الى ذلك .

ولقد كنا نسال منذ قليل : هل تمت حوافز وتطلعات للفطرة غير حافز المحافظة على الذات .. وقد قدمنا الآن الإجابة عن ذلك ، فإذا كان لباطن المرء حركات تدفعه لسكنى الحضر طلبا للأمن ، فتمت حركات انبعاث وتطلع للمعرفة لا تجد تحضرها بسكنى مدن أو ريف ، إنما تجده بمقامها الأمين في آيات الكون وحقائقه .

الإنسان والكون :

ونخلص من ذلك بحقيقة تؤكد ما قدمنا من أن الكون كله : أرضه ، وسماؤه ، وما فيها ، وما بينهما من كائنات هو وطن الإنسان أينما كان ، ويجب أن تقوم صلة التوطن بينهما على أسس فطرية بينة صادقة .. فليست الأرض وحدها هي وطن البشرية ، فإن الآفاق التي تحيط بنا ، ولا تقف لتعرض لحواسنا ومداركنا بعمقها وروعيتها وآياتها في الأرض والسماوات تصنع الإطار الحق لمفهوم هذا الوطن .. وإذا كنا نعيش على الأرض بأبداننا فأنما نحيا في هذا الإطار الكبير بحواسنا وعقولنا حياتنا الحافلة بأصدق المعاني .. بل أننا لا نشغل من الأرض بأبداننا إلا جزءا ضئيلا محدودا ، في الوقت الذي تشغل فيه حواسنا وعقولنا ما يبدو لها من الكون كله .. فإذا عنيانا بموقف الإنسان من الكون ، فإننا نريد صلة التوطن التام ، التوطن الحسي الذي يشغل فيه البدن بالضرورة وضعه في الأرض ، والتوطن الفكري الذي يلزم فيه الفكر مجال تدبره في آيات الكون .

ومن البين أننا لا ندعو إلى إلغاء المواطنة أو المواطن الخاصة فأنها أمور ضرورية لتنظيم معيشة الإنسان وعمارته الأرض ، ولتنظيم قيام العلاقات الجامعة بين أفراد بعضهم وبعض .. فكل فرد ووطنان ، وطنه الخاص الذي ينسب إليه بحكم التنظيم والاستقرار المعاشي .. ووطنه الفكري السكوني الذي يجول في ملكوته مع أفكار سواء من بني الإنسان ، فلا تتعارض الأفكار ولا تتضارب أو تتحاسد وجهات النظر .. لكل فرد ووطنان على أن يؤدي لكل وطن حق توطئه : فإذا كان الفرد لا يتحقق نسبته لوطنه الخاص ولا يكتب له به الاستقرار والطمانية إلا إذا استقرت علاقته الاقتصادية والاجتماعية والوجدانية به على أساس من المعرفة والمعاطفة والارتباط الحيوي بكل مقوماته على أنه جزء من بنائه ، إذا كان هذا شأن الفرد بالنسبة للوطن الخاص ، فهو شأنه بالنسبة لوطنه الكوني ، إذ لا يكتب للضمير فيه استقرار ما إلا أن يأخذ الفكر مكانه في رياض حقائقه ..

ان بين ضمير الانسان وحقائق الكون وشتائج الفة وموامة فطرية ، ناذا
اقبل الانسان ينظر فيها بعقله ، وحصل معانيها لنفسه ، فقد حقق الموامة
بينه وبين الكون ، وهو التجانس الذى يكتب له به استقرار الضمير ورضا
الفكر ، وبه يصحب الكون على بصيرة ومعاطفة ، وتلك حقيقة التوطن الكونى
.. وهى لب حقيقة الحضارة .

نحو الاسلام :

والانسانية اليوم تجتاز مرحلة خطيرة من بلبله الفكر ، وتلقى الضمير ، ولا
سيما فى بيئات الغرب حيث يسود المتوجس وعدم الثقة ، ويستغلن الشباب
بالضيق وعدم المبالاة ، وليس ذلك من قلة فى الموارد ، فان الطبيعة لا تفتا تجود
بالوان من النعمة والثروة ، ولا عن جهل بالطبيعة ، فان الانسان لم يكن اعلم
بها منه اليوم ، بل لأن الصلة الفكرية بينه وبين الكون لا تحقق الموامة الضرورية
لاستقرار النفس .. واذا ، فلا بد من علاج ، او من نهج يقيم علاقة الانسان
الحسية والفكرية بالكون على سوائها .. نهج نستوحى فيه قطرة العقل ،
وحقائق الكون ، لاندوز فيه بنحلة خاصة ، ولا مبدا فيلسوف كائنسا ما كان ..
ولسنا نجد فى تقرير سنن الكون وعلاقتها بفطرة الانسان : فطرته الفكرية ،
والنفسية ، والعملية ، فى عمق وصدق ووفاء من « الاسلام » واننا نظم الحقيقة
ونسبى الى أنفسنا اشد الاساءة اذ ننظر الى الاسلام على أنه دين طائفة خاصة
أو امة بمعنىها .. فالاسلام دين كونى ، ينظم علاقة الانسان كافة بالكون كله
حسه ومعناه ، أو ظاهره وباطنه .. ينظم تلك العلاقة على أساس ما بين
الانسان والكون من موامة حسية ، وروحية ، وفكرية ، وان النظر الفطرى
الحكيم المتحرر من لوثه الهوى والطائفية جدير أن يضع بين يدى صاحبه الكثير
من قواعد تلك العلاقة ما دام يستهدف فطرة العقل ، ودلالات الكون الساهرة له
وانه كلما اجال النظر فيها حوله من حقائق ، كثرت لديه حصيلة الحق التى تقوم
بها علاقة الانسان بالكون على أوثق الروابط وأصدق الأسس ، وان كل ما
يجتمع له بهذا النظر السليم من معارف ، وحقائق ، وأحكام ، انما يطابق فى
مادته — أو يقارب — ما نزل به القرآن الكريم من الله ، ذلك ان القرآن لم
يجيء بجديد يقبحه على استمدادات الناس النفسية والفكرية ، انما جاء — كما
قلنا — ليقيم فطرة الانسان على سوائها لتقوم العلاقة بينه وبين الكون على أوثق
الروابط ، وأصدق الأسس .. وذلك ما سنحاول بيانه فيما تاتى من الكلمات ..
وبالله التوفيق .



درس في بناء الرجال

من الرسول لقائد

اللواء الركن: محمود شيت خطاب

اثر حاسم أيضا في نجاحه ، وصدق الله العظيم (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (١) .
لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة لأصحابه عليهم رضوان الله في حياته المباركة وبقي الأسوة الحسنة لاتباعه بعد التحاقه بالرفيق الأعلى ، ولا يزال الأسوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وصدق الله العظيم : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٢) .
والأسوة الحسنة تكون اقتداء بأعماله وأقواله عليه افضل الصلاة

كفائات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة الجوانب ، وكل صنف من اصناف الناس يستطيع ان يتخذ منه قدوة حسنة تفيده لحاضره ومستقبله ، اذ يمكن ان يجد فيه كفاية خاصة تكون مثالا رائعا يحتذى بها ، لاتصالها اتصالا مباشرا بحياة ذلك الصنف من الناس .
وبالطبع فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيدا من الله سبحانه وتعالى ، وكان لهذا التأييد الالهي اثر حاسم في نجاحه بشيرا ونذيرا ، ومشروعا وقاضيا ، وسياسيا واداريا ، وقائدا وجنديا .
وهذا التأييد الالهي ، لا يمنع مطلقا من أن يكون لكفائاته الشخصية

والسلام ، وتلك هي كفاياته العالية
الفذة انسانا سويا بعثه الله عز وجل
رحمة للعالمين .

- ٢ -

وكما يستطيع كل صنف من اصناف
الناس اقتباس ما يفيدهم من كفاياته
الانسانية المتميزة في حياتهم العملية
فان تلك الكفايات يمكن ان تكون
نبراسا للناس كافة في ظروف
معينة من عمر الزمن تهدى للتي هي
اتوم ، وتنبير الطريق للسالكين في
دروب الحياة تحقيقا لاهداف باقية
ومثل عليا .

والحرب اليوم هي حرب مصيرية
ضد اسرائيل التي لديها مخططات
توسعية استيطانية في البلاد
العربية ، فما السدى يفيد العرب
لحاضرم ومستقبلهم في هذه الظروف
العصية اقتباسا من نور كفايات
الرسول القائد عليه افضل الصلاة
والسلام ؟

لقد وجدت بالدراسة المستفيضة
لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم
العمرة ، ان من كفايات النبي صلى
الله عليه وسلم المتميزة ، هي قابليته
الفذة على اختيار الرجل المناسب
للعمل المناسب .

واستطيع او اؤكد بكل وثوق ،
بان قابليته الفذة على اختيار الرجل
المناسب للعمل المناسب ، هي من
اهم الاسباب الدنيوية لنجاحه في
السلم والحرب على حد سواء .

كان عليه افضل الصلاة والسلام ،
يعرف اصحابه معرفة دقيقة
مفصلة ، وكان يعرف ما يمتاز به
كل صحابي من مزايا تفيد المجتمع
الاسلامي الجديد ، وكان يستغل تلك
الزايا لخير هذا المجتمع وللصلحة
العامة العليا للمسلمين .

وكان في الوقت نفسه يعرف
ما يعاني كل صحابي من مثالب ، وكان
يتغاضى عن تلك المثالب ، ويفض
الطرف عنها ، ويذكر اصحابه بأحسن
ما فيهم ، ويأمر اصحابه ايضا
بالتغاضى عن المثالب ، والاشادة
بأحسن ما في اخوانهم تقديرا
واعجابا .

وكان عليه افضل الصلاة
والسلام بهذا السلوك الرائع الذي
الترم به في كل حياته المباركة :
يشيد بالمزايا وينتقص بها لخير
المسلمين ، ويفض الطرف عن المثالب
ويقومها بالحسن ، ثم يداوئها
بما عرف عنه من حكمة وموعظة
حسنة وتربية ابوية .

بهذه الخطة الرائعة والطريقة
السليمة والاسلوب الحصيف ، يبنى
النبي صلى الله عليه وسلم الرجال
ولا يحطمهم ، ويقوم العوج ولا يكسره
ويشيد للحاضر والمستقبل لا للحاضر
وحده او للساعة التي هو فيها .

لقد كان يعلم علم اليقين ، ان كل
انسان يبتسم بمزايا حميدة معينة ،
ولكنه يعاني من مثالب خاصة ، لان
الكمال لله وحده سبحانه وتعالى ،
فكانت اشادته بالمزايا واشادة
اصحابه بها يقوى تلك المزايا ويشد
ازرها ، وكان اغضاه عليه افضل
الصلاة والسلام واغضاه اصحابه
عن المثالب يقلل من اثرها ، ويستمر
عليها ، ويجعلها تتفاعل شيئا فشيئا
حتى تتلاشى نهائيا او يضعف تأثيرها
وقد تنتهي الى الابد .

وكان عليه الصلاة والسلام يدرك
كل الادراك ، ان كل انسان لا بد من
ان يعاني نقصا في ناحية من نواحي
الخلقية ، وكفى المرء نبلا ان تعد
معايه ، فكان يفض الطرف عن ناحية
النقص في اصحابه ، ويستفيد
لمصلحة المسلمين من ناحية الكمال ،

فلا يكون ذلك النقص سبة ومثلية على صاحبه ، لأنه كان عليه أفضل الصلاة والسلام يبرز ناحية الكمال ، فينوه بصاحبها ويذكره بها ويشي عليه أعظم الثناء .

- ٣ -

كان من بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من امتاز بالثراء ، فأفاد المسلمون من ماله ، ولم يكلفه عليه أفضل الصلاة والسلام بمصاولة الصناديد والأبطال .

وكان من بين أصحابه من امتاز بفاعلية القيادة ، فؤاده قيادة الرجال في السرايا والغزوات .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشجاعة الفردية ولم تكن لديه قابلية قيادية ، فاستفاد منه في مبارزة الشجعان والأقران والقيام بالأعمال الفدائية جندياً من جنود المسلمين .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالرأى الثاقب والتفكير العميق ، فأفاد عليه أفضل الصلاة والسلام من آرائه وحكمته ومشورته .

وكان من بين أصحابه من امتاز بالشعر المتن والبيان البليغ ، فأفاد المسلمون من شعره وبيانه .

وكان وكان
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة المكرمة في عمرة القضاء سنة سبع الهجرة الوليد بن الوليد المخزومي أخا خالد بن الوليد رضي الله عنهما قائلاً : أين خالد ؟ ثم قال : (ما مثل خالد من جهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين ، لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره) .

وكتب الوليد بن الوليد بذلك إلى أخيه خالد فكان ذلك سبب هجرته إلى المدينة المنورة وأعلن إسلامه .

وقدم خالد بن الوليد المدينة مهاجراً إلى الله ورسوله في أول يوم من صفر سنة ثمان الهجرة .

قال خالد : فلما طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سلمت عليه بالنبوة ، فرد عليه الصلابة والسلام بوجه طلق ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، فقال : النبي صلى الله عليه وسلم : قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير ، وبأيعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ! فقال : إن الإسلام يجب (٣) ما قبله . قلت : يا رسول الله ! على ذلك . قال : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك ... فوالله ، ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعذل بي أحداً من أصحابه فيما يجزئه (٤) .

وولى النبي صلى الله عليه وسلم خالدًا قيادة الرجال في الحرب بعد إسلام خالد .

وما يقال عن خالد بن الوليد ، يقال عن عمرو بن العاص أيضاً فقد واه قيادة الرجال في الحرب بعد إسلامه ، وقال عن خالد وعمرو حين قدما المدينة المنورة مسلمين : ألتقت اليكم مكة أفلاذ كبدها (٥) ..

- ٤ -

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه غنياً ، فأفاد المسلمون من ثرائه : اتباع للمسلمين مريداً (٦) بعشرين ألفاً ، واتباع للمسلمين بشر (رومة) (٧) وجهاز جيش العسرة الذي زحف من المدينة المنورة شمالاً بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم لمواجهة جيش

بيده على منكبي أبى ذر ثم قال :
(يا أبا ذر انك ضعيف ، وانها أمانة ،
وانها يوم القيامة خزى وندامة ،
الا الذى أخذها بحقها وأدى الذى
عليها) .

- ٥ -

وقبل حركة المسلمين لفتح مكة
المكرمة حرص الرسول القائد عليه
أفضل الصلاة والسلام على كتبان
حركته من المدينة المنورة الى مكة
المكرمة ، كما حرص على كتبان نيافته
العسكرية فى الفتح ، حتى يباغت
قريشا ويجبرها على الاستسلام دون
أراقة الدماء ،

ولكن حاطب بن أبى بلتعة رضى
الله عنه ، كتب رسالة الى قريش
وأعطاهام امرأة متوجهة الى مكة
المكرمة ، يخبر فيها قريشا بنيات
المسلمين فى حركتهم لفتح مكة .
وعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بهذه الرسالة ، فبعث على بن أبى
طالب كرم الله وجهه والزبير بن
العوام رضى الله عنه ليدركا تلك
المرأة التى تحبل تلك الرسالة
ويأخذاها منها ، فأدركاها وأخذا
الرسالة التى كانت معها .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم
حاطبا يسأله : ما حملك على ذلك ؟
فقال حاطب : يا رسول الله !
أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ،
ما فيرت ولا تبدلت ، ولكنى كنت
امرا ليس له فى القوم من أهل
ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم
ولد وأهل ، فصانعتهم عليه ، فقال
عمر بن الخطاب رضى الله عنه
(يا رسول الله ! دعنى فلا ضرب
عنته ، فان الرجل قد نافق) . فقال
النبي صلى الله عليه وسلم (أما انه
قد صدقكم ، وما يدريك ؟ ! لعل

الروم فى غزوة تبوك حتى ما يفقد
هذا الجيش عقالا ولا خطابا ،
ولم نسمع أن الرسول القائد عليه
أفضل الصلاة والسلام كلف عثمان
بمنازلة الأتزان يوم الطعان .

وكان حسان بن ثابت رضى الله
عنه شاعرا مجيدا ، فاستفاد
المسلمون من قابليته الشعرية ،
ولكن النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتركه مع النساء عندما يخرج
للقتال .

وكان كثير من صحابة النبي صلى
الله عليه وسلم يعدون من أشجع
الشجعان ، ولكنهم بقوا جنودا فى
جيش المسلمين ولم يتولوا مناصب
قيادية ، لأنهم كانوا جنودا مميزين
ولم يكونوا قادة متميزين .

وكان من بين أصحابه من يحسن
القراءة والكتابة ، فجعلهم كتابا
للوحي ومحررين لرسائله الى الملوك
والأمراء .

وكان من بينهم اداريون ودعاة
وجباة وقضاة ، فولى كل واحد منهم
ما يناسب قابلياته وكتاياته .
وقد سأله قسم من الصحابة أن
يوليهم مناصب ادارية فرد الذين
لا يستطيعون النهوض بهذا الواجب
ثم ذكر لقسم منهم بصراحة متناهية
سبب عزوفه عن توليتهم !

عن أبى موسى الأشعري رضى
الله عنه قال : دخلت انا ورجلان من
بنى عمى على النبي صلى الله عليه
وسلم فسأل أحد الرجلين : يا رسول
الله ! أمرنا على بعض ما ولاك الله
.... وقال الآخر مثل ذلك ، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : (أنا
لا نولى هذا الأمر احدا سألته ولا احدا
حرص عليه) .

وقال أبو ذر الغفارى رضى الله
عنه : يا رسول الله ! ألا تستعملنى ؟
فغضب النبي صلى الله عليه وسلم

نفسيا بسبب أبيه ، فنتعقد نفسيته
ويضيق ذرعا بالمجتمع الاسلامي
الذي كان يعيش بين أفراد وجماعاته
له مالههم وعليه ما عليهم .

- ٧ -

لقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم يعرف حق المعرفة كل مزايا
أصحابه ، فيفيد من تلك المزايا ،
ويبرزها للعيان مثجعا ويثني عليها
اطيب الثناء مقدرًا ، ويغض في
الوقت نفسه عن نواقصه ويستر
عليها .

وكان ذلك من أهم أسباب انتصار
النبي صلى الله عليه وسلم عسكريا
وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا .

فلما التحق عليه افضل الصلوة
والسلام بالرفيق الأعلى ، كان بين
المسلمين قادة وأمرأ وولاة وقضاة
وعلماء وفقهاء ومحدثون قادوا الأمة
الاسلامية سياسيا واداريا وفكريا
واقتصاديا واجتماعيا الى المجد
والسؤدد والخير ، والى طريق
الحق وسبيل الرشاد .

ذلك هو الدرس الذي يجب أن
نتعلمه اليوم من سيد القادات وقائد
السادات ، رجل الرجال وبطل
الابطال ، أمام المجاهدين وقادة
العالمين ، النبي العربي الامي عليه
افضل الصلوة وأزكى السلام .

هذا الدرس هو : اختيار الرجل
المناسب للعمل المناسب ، وبناء
الرجال لاعداد خير خلف لخير
سلف .

ان العرب بخاصة ، والمسلمين
بعمامة مطالبون اليوم بأن يستفيدوا
من طاقات كل فرد منهم ماديا
ومعنويا ، فكل فرد له طاقة معينة

الله قد اطلع على من شهد
(بدرا) فقال : اعملوا ما شئتم) ..
شفع لحاطب ماضيه الحافل
بالجهاد ، فمعا عنه النبي صلى الله
عليه وسلم ، وأمر المسلمين أن
يذكروه بأفضل ما فيه .

وعاش حاطب في مجتمع
الصحابه ، لا يشنع عليه أحد ،
ولا يذكره الناس الا بالخير ،
ولا يسمونه الا ما يشتهى ،
ولا يرددون عنه الا افضل ما فيه من
مزايا وخصال .

- ٦ -

وبعد فتح مكة المكرمة اسلم عكرمة
ابن أبي جهل وحسن اسلامه ، ثم
أصبح من اعظم المجاهدين بأموالهم
وانفسهم في سبيل الله ، ومن اكابر
قادة الفتح الاسلامي العظيم .

وكان أبوه من اشد الناس عداوة
للنبي صلى الله عليه وسلم
وللمسلمين كافة وللدين الحنيف ،
وقد لاقى مصرعه في غزوة (بدر)
الكبرى كما هو معروف ، فمات غير
مأسوف عليه ، تخلص المسلمون
بموته من خصم لدود .

وكان الصحابة يذكرون أبا جهل
ابن هشام بما فيه ، فلما أسلم ابنه
عكرمة وحسن اسلامه قال النبي
صلى الله عليه وسلم
لأصحابه عليهم رضوان
الله (عكرمة يأتيكم ، فإذا رأيتموه
فلا تسبوا أباه ، فان سبب الميت
يؤذي الحي (أ) .

هكذا يأمر النبي صلى الله عليه
وسلم أصحابه الكرام بالكف عن سب
أعدى أعداء المسلمين اكراها لولده
المسلم ، حتى لا يتأثر هذا المسلم

المناسب ، فيعترف الناس من حوله ، ولا يزال الناس يعترفون حتى اليوم ، أن ذلك الرجل لذلك العمل هو من أعلى المستويات بالنسبة للمبتدئين في حينه من الرجال ؟

الجواب بسيط ، هو أنه كان مثالا حيا يمشي على الأرض في تطبيق أقواله على أعماله ، فيضرب بذلك للصحة بمثاله الشخصي أروع الأمثال .

لقد نسي النبي صلى الله عليه وسلم نفسه في سبيل المصلحة العليا للمسلمين ، لذلك استقطب حوله الرجال الأقوياء الأمانة من ذوي الكفايات العالية قوة للمجتمع الإسلامي وأمانا .

وصدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام (من ولي رجلا وهو يعلم أن هناك من هو أئد منه ، فقد برئت منه ذمة الله) .

تري !!

هل نقتبس هذا الدرس من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم لنستريح ونريح ، أم لا يزال بحاجة الى كثير من التذكيرات والتذكيات حتى نعود الى طريق الحق والصواب ؟ !

من مناحي الحياة يمكن أن يفيد المجتمع الذي يعيش فيه ، والمصلحة العامة التي ينبغي أن تكون هدفا حيويا للجميع يجب أن ننوه بالزايا ونغض الطرف عن المثالب .

يجب ألا نبرز المثالب ، ونغض الطرف عن المناقب .

يجب ألا نخلق المثالب للناس خلقا ، ونغض الطرف عن المناقب غمطا .

يجب أن نبني الرجال ولا نحطم الرجال .

ان الذين يعملون على تحطيم الرجال يخدمون إسرائيل وأعداء العرب والمسلمين في كل مكان .

ان اختيار الرجل المناسب للعمل المناسب هو من أهم عوامل بناء الرجال وبناء الأمم أيضا :
وصدق الشاعر :

يبني الرجال وغيره يبني القرى

شتان بين قري وبين رجال
والسؤال الآن : كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بناء الرجال ، حتى أصبح قرنه بحق خير القرون ؟

ولماذا كان يحرص أعظم الحرص على اختيار الرجل المناسب للعمل

(١) الآية الكريمة من سورة الانعام (١٢٤) .

(٢) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٢١) .

(٣) يجب : يقطع ويحو ما كان قبله من الكفر .

(٤) طيقات ابن سعد (٥٢/٤) و (٣٩٤/٧) .

(٥) أسد الغابة (٣٨٢/٣) والاستيعاب (١٠٣٤/٣) .

(٦) مزبد : موضع يجعل فيه القبر لينشف .

(٧) بئر رومة : بئر في ميق المدينة المنورة وهي من ضواحي المدينة المنورة انظر التفاصيل

في معجم البلدان (٤/٢) .

(٨) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

الوعي الإسلامي

* منذ صدرت المجلة وهي متزمنة بمضامين أسسها ((الوعي الإسلامي)) ومعطيات هدفها ((المزيد من الوعي وإيقاظ الروح بعيدا عن الاخلاقيات المذهبية والسياسية)) وفي حدود هذا الالتزام تقوم ما يرد اليها من بحوث ومقالات وقصص وشعر وتراجم ، فتتشر ما يتفق مع ما التزمته وتدع ما لا يتفق معه .

* ومع هذا الالتزام في المنهج التزام آخر حرصت على ان تاخذ به نفسها ، وهو ما يلاحظ من افساحها آجال — قدر الاستطاعة في كل عدد من اعدادها لأقلام الرفيعة في مختلف الاقطار الاسلامية تقديرا لها ، وانتفاعا بها ، وجذبا للقراء الذين يحبون ان يقرأوا لكتابهم الذين نشأوا في بيتهم كما ينطلقون الى الاقلام البعيدة عنهم .

* وكان لهذا الالتزام في المنهج والكتاب اثره في رواج المجلة ، ويولوجها تقدير الكاتبيين ، وثقة القارئ حتى أصبح كل كاتب من كتابها ، وقارئ من قرائها يؤثرها ويعتبرها مجلته المفضلة ويلج في السؤال عنها ان تأخرت في الطريق عن موعد وصولها اليه ، أو نفتت اعدادها من اقباعه بسبب التزامها عليها مع وفرة المطبوع منها .

* بقي شيء آخر جديد نحب ان نضيفه آلى ما سبق وهو ان المجلة تتلقى بحوثا علمية مستفيضة لا يتسع لنشرها عدد واحد ، ولهذا كانت تقسمها آلى اجزاء تنشرها تباعا أو منفردة حسبما تسمح به ظروف النشر وأحيانا كانت تنشر بعضها ، وتصرف النظر عن بعضها الآخر لطول العهد وكثرة المواد ، وقد اثار ذلك شكوى الكتاب والقراء . ويلاحظ القراء ان المجلة في الأعداد القريبة السابقة نشرت بعض هذه البحوث مرة واحدة قطعا لأسباب الشكوى ، ولكن ذلك جاء على حساب الابواب الأخرى والأقلام الكبيرة التي تعودت المجلة ان تقدمها للقراء في كل عدد .

وبعرض الأمر على السيد الأستاذ عبد الرحمن عبد الله المحجم وكيل الوزارة رأى زيادة عدد صفحات المجلة من (١٠٠) الى (١١٦) بصفة مستمرة ابتداء من هذا العدد تمكينا للمجلة من اتنهوض برسالتها والوقوف في وجه المجلات العلمانية التي تنقل عن الشرق والغرب ما هو ضد الدين بدعوى التجديد ، والتصدي لتفكر الدخيل على المجتمعات الاسلامية ، واحباط خططه في تحويل انساب المسلم الى تبعية اجنبية غريبة عنه وعن دينه وتاريخه ومجتمعه .

ولعل هذه الخطوة المباركة ترضى كتابنا الكبار ، وقراءنا الأعزاء . . . الى مزيد من التقدم بعمق الله وتوفيقه .

العقل في تفسير النار

للدكتور
أحمد الشرباصي

من المناسب أن نذكر كلمة عن
القاحية العقلية في تفسير النار ، لأن
التفسير بالعقل كما عرفنا يدفع
إلى التدبر في معاني الألفاظ
والمعبارات ، وهذا جهد لغوي
وإدبي ، يستتبع في كثير من الأحيان
الاستشهاد أو الاستئناس للتفسير
المختار بشواهد من بليغ الكلام
العربي .

والاحتكام إلى العقل ظاهرة
واضحة في « تفسير النار » . وفي
القدر المشترك بين محمد عبده ورشيد
رضا على وجه التخصيص .

ورشيد رضا يرى أن أصول
الدين في العقائد وحكمة التشريع
مبنية على إدراك العقل لها ،
واستنباطها لما فيها من الحق والعقل
ومصالح العباد ، وسد ذرائع
الفساد (1) .

ومن أمثلة الجنوح إلى العقل في
« تفسير النار » القول بأن جنة آدم
وحواء التي كانتا فيها ثم أخرجتا منها
هي بستان من البساتين ، كان آدم
وزوجه منعمن فيها ، وأنه ليس
علينا تعيينها ولا البحث عن مكانها .
ويعتد التفسير هنا على أن الجنة
— كما يفهمها أهل اللغة — هي
البستان ، أو المكان الذي تظله
الأشجار بحيث يستتر الداخلون
فيه (2) .

وكذلك من أمثلة الجنوح إلى العقل
في « تفسير النار » أن يقرر أنه
ليس هناك نص على أن « حواء »
خلقت من ضلع آدم ، وأن قوله
تعالى :

« **وخلق منها زوجها** » ليس نصا في ذلك ، لأن المعنى : خلق من جنسها ، مثل قوله تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا** » .
وأما الحديث الذي يقول : « **فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج** » فهو على حد قوله تعالى : « **خلق الإنسان من عجل** (٣) »

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره تفسير المنار في قوله تعالى : « **وآذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتنه** » حيث قال : « **الكلمات جمع كلمة ، وتطلق على اللفظ المفرد ، وعلى الجمل المفيدة من الكلام ، والمراد منها هنا مضمونها من أمر ونهي** » . ثم جاء فيه بعد ذلك : « **ولم يذكر الكلمات ما هي ، ولا الإتيان كيف كان ، لأن العرب تفهم المراد بهذا الإيهام والأجمال ، وأن المقام مقام إثبات أن الله تعالى عامل إبراهيم معاملة المبطل ، أي المختبر له ، لتظهر حقيقة حاله ، ويترتب عليها ما هو أثر لها ، فظهر بهذا الابتلاء والاختبار فضله ، باتمامه ما كلفه الله تعالى إياه ، وإتيانه به على وجه الكمال** » .
هذا هو المتبادر ، ولكن المفسرين لم يألوا في تفسير الكلمات والخطب في تعيينها (٤) .

ومن أمثلة ذلك ما ذكره التفسير عن قوله تعالى : « **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** » حيث أختار التفسير أن « **المصلى** » هنا موضع الصلاة بمعناها اللغوي العام ، وهو الدعاء والتوجه إلى الله تعالى وعبادته مطلقا ، وقال رشيد أن حمل الصلاة هنا على معناها اللغوي أظهر (٥) .
ومن الأمثلة المثبتة للغة البلاغية الرائعة ما جاء في تفسير المنار عن قوله تعالى « **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** » ، حيث قال بعض المفسرين أن لفظ « **مثل** » هنا زائد ، ولكن صاحب تفسير المنار يعلق على ذلك بقوله :

« **واستنكر الاستاذ الإمام ذلك واستكبره كعادته ، فأنه يخطئ كل من يقول : إن في القرآن كلمة زائدة ، أو حرفا زائدا ، وقال : « إن (لمثل) هنا ، معنى لطيفا ونكتة دقيقة** » .

وذلك أن أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على الأنبياء ، ولكن طرأت على أيمانهم بالله نزغات الوثنية ، وأضاعوا لباب ما أنزل على الأنبياء ، وهو الإخلاص والتوحيد وتركبة النفس ، والتأليف بين الناس ، وتمسكوا بالقشور ، وهي رسوم العبادات الظاهرة ، ونقصوا منها وزادوا عليها ما يبعد كلا منهم عن الآخر ، ويزيد في عداوته وبغضائه له ، ففسدوا عن مقصد الدين من حيث يدعون العمل بالدين .

فلما بين الله لنا حقيقة دين الأنبياء ، وأنه واحد لا خلاف فيه ولا تفريق ، وأن هؤلاء الذين يدعون اتباع الأنبياء قد ضلوا عنه فوقعوا في الخلاف والشقاق ، أمرنا سبحانه وتعالى أن ندعوهم إلى الإيمان الصحيح بالله ، وبما أنزل على النبيين والمرسلين ، بأن يؤمنوا بمثل ما نؤمن نحن به ، لا بما هم عليه من ادعاء حلول الله في بعض البشر ، وكون رسولهم إلها ، أو ابن الله ، ومن التفرق والشقاق لأجل الخلاف في بعض الرسوم والتقاليد .

فالذين يؤمنون به في الله ليس مثل الذي نؤمن به ، فنحن نؤمن بالتفريه ، وهم يؤمنون بالتشبيه ، وعلى ذلك القياس .

فلو قال : **فإن آمنوا بالله وبما أنزل على أولئك النبيين وبما أوتوه ، فقد اهتدوا** ، لكن لهم أن يجادلوا بقولهم : **إننا نحن المؤمنون بذلك دونكم ، ولفظ (مثل) هو الذي يقطع عرق الجدل** .

على أن المساواة في الإيمان بين شخصين ، بحيث يكون إيمان أحدهما كإيمان الآخر ، في صفته وقوته وانطباقه على المؤمن به ، وما يكون في نفس كل منهما من متعلق الإيمان ، يكاد يكون محالاً ، فكيف يتساوى إيمان أمم وشعوب كثيرة ، مع الخلاف العظيم في طرق التعليم والتربية والفهم والإدراك . ولو كانت القراءة : (فان آمنوا بها آمنتم به) — كما روى عن ابن عباس في الشواذ — لكان الأولى أن يقدّر (المثل) ، فكيف نقول — وقد ورد لفظ (مثل) متواتراً : انه زائد ؟ (١) » .

ومن أمثلة استخدام العقل في « تفسير المنار » ما جاء فيه بشأن الحجر الأسود ، حيث قرر انه لا مزية له في ذاته ، فهو كسائر الحجارة ، وإنما استلامه أمر تعبدى ، في معنى استقبال الكعبة ، وجعل التوجه إليها توجهها إلى الله الذي لا يحدده مكان ، ولا تحصره جهة من الجهات (٧) .

وكذلك ما جاء في « تفسير المنار » من صخرة بيت المقدس ، حيث ذكر أنها ليست بأفضل من سائر الصخور في مادتها وجوهرها ، وليس لها منافع أو خواص لا توجد في غيرها ، ولا هيكل سليمان نفسه — من حيث هو حجر وطين — أفضل من سائر الأبنية ، وكذلك يقال في الكعبة والبيت الحرام (٨) . ولا شك أن تفسير النص القرآني في ضوء العقل وفقه اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، يعطى الإسلام قوة وصلابة عند الذين يعتزون بالعقل والعلم المادى ، ولذلك يروى السيد رشيد رضا أن أحد النوابع من رجال القضاء الإنكليز قال للأستاذ الإمام : « انك بتفسيرك للقرآن بالبيان الذى يقبله العقل ، ولا يباه العلم ، قد قطعت الطريق على الذين يظنون انه قد اقترب الوقت الذى يهدمون فيه الدين ، ويستريحون من قيوده ، وجعل رجاله وجبودهم » . ويعلق السيد رشيد على هذا بأنه اتبع طريقة العقل مع بعض المنكرين لوجود الله تعالى ، فلم يستطيعوا لها دحضاً (٩) .

ولكن مدرسة « تفسير المنار » التي جعلت من أهدافها التوفيق بين الدين والعقل ، أصابها طائف من المبالغة ، حيث أسرفت أحياناً في الخضوع للعقل ، وهو أمام الغيب قاصر مهما كانت قوته ، وأسرفت أحياناً في الحذر والاحتراز من تقبل الغيبيات والتسليم بها ، وإذا كان الناس قد حمدوا لها تحديد نطاق الخوارق والغيبيات في تفسير القرآن الكريم ، وتوفيقها بين كلام الله وسنته الكونية المألوفة ، ومقاومتها طوفان الخرافات والأسرائيليات والأساطير التي تسربت إلى رجاى التفسير ، واستعانتها بمقررات العلم الحديث في اقتناع أهله بالدين وتعاليمه ...

إذا كان الناس قد حمدوا لها هذا كله ، فانهم قد فزعوا حين رأوا الأمر قد زاد عن حده ، فكاد ينقلب إلى ضده ، ومن أمثلة المبالغة في تحكيم العقل في « تفسير المنار » ذكره أن الملائكة هي القوى والأفكار الموجودة في النفوس ، وأن المراد بسجود الملائكة لادم هو تسخير القوى للإنسان في هذه الحياة ، وإن قصة آدم بما فيها من محاورة الملائكة ، وتعليبه الأسماء ، وسجود الملائكة له ... الخ ، هي من باب « التمثيل » ، لأنها وقعت بالفعل (١٠) الخ .

والعجيب أن السيد محمد رشيد رضا قد أشار إلى خطأ من يقول ان الدليل العقلى هو الأصل ، فيرد إليه الدليل السمعى ، ويجب تأويله لأجل موافقته له مطلقاً ، ويعلق رشيد على هذا بقوله :

« والحق كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ان كلا من الدليلين إما قطعى ، وإما غير قطعى ، فالقطعيان لا يمكن أن يتعارضا ، حتى نرجح أحدهما على الآخر ، وإذا تعارض ظني من كل منهما مع قطعى ، وجب ترجيح القطعى مطلقا ، وإذا تعارض ظني مع ظني من كل منهما رجحنا المنقول على المعقول ، لأن ما ندركه بقلبة الظن من كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بقلبة الظن من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جدا (١١) » .
 لئيت ما فى « تفسير المنار » كله خضع لهذه القاعدة المعتدلة المستقيمة .

• • • • •

والعجيب أيضا أن الدكتور طه حسين قال لى عن أخضاع التفسير للعقل :
 « لى على الشيخ محمد عبده اعتراض ، فإن تأويله لنصوص القرآن ، وحرصه على أن يكون نص القرآن ملائما كل الملازمة للعلم الحديث ، مما أخالفة فيه ، فهو مثلا يقول عن الحجارة الموصوفة فى سورة الفيل بأنها من سجل : أنها جراثيم (١٢) وهذا توسع فى تحكيم العقل ، والمسلمون الأوائل وهم صحابة الرسول لم يفهموا هذا .

والله يفعل ما يشاء ، ولكن الإنسان يفعل ما يستطيع ، والإنسان الآن قد وصل إلى القنبلة الذرية والهيدروجينية والفازات السامة ، مما لم يكن العرب يعرفونه فى ذلك الوقت ، فאלله يخبرنا بأنه أرسل حجارة من سجل ، ولا بد أن أخذ القرآن بلا تأويل ، وأن أقبل النص القرآنى كما هو ، والعلم لم يحط بكل شيء ، والله وحده هو الذى يعلم كل شيء » .

ثم أضاف الدكتور طه قوله : « ان بعض المستشرقين يذهب هذا المذهب ، فيقول أن الفيل لم يكن فيلا ، بل كان ثائدا من قواد الروم جاء مع أبرهة ، واسمه (أفيلاس) ، وقد سمعت هذا من المسيو جاستون مبيت الذى كان مديرا لدار الآثار العربية » .

• • • • •

أشارات اجتماعية وسياسية :

من الأمور التي لاحظتها فى تفسير المنار أن رشيدا كان ينهز فرص التفسير ليضع فى كلامه أشارات اجتماعية أو سياسية ، تتعلق بالوطن العربى ، أو العالم الإسلامى ، ومن أمثلة ذلك أنه فى الجزء الأول يشير إلى النزعة الفرعونية التي بدت من بعض المصريين ، وودعتهم إلى بغض أخوانهم فى اللغة والدين ممن هاجروا إلى مصر ، وقال رشيد هذا سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ، ولما جاءت سنة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧ م) أضاف إلى قوله السابق أن تلك النزعة الفرعونية قد قويت عند القبط وزنادقة المسلمين (١٣) . ورشيد قد لقى متاعب من هؤلاء .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تعرض فى سورة الأعراف لتفسير قوله تعالى :
 « قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب » وفى نهاية تفسيره الآية قال :
 « اللهم تب على أممتنا ، وارفع عنها رجس الأجانب الطامعين ، وأعانهم المنافقين (١٤) » .

وهو قد قال هذا سنة ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ م) والاحتلال البريطاني جائم على البلاد ، والثورة المصرية تجاهد لزعزحته ، وبعض الخونة يسير فى ركاب الانجليز .

ومن أمثلة ذلك ايضا انه فى تفسيره لسورة الاعراف يتحدث عن اباحة الحكومة المصرية للزنى ، وسكوت علماء الدين على ذلك ، ويقول ان هذا باغواء الافرنج ، كما يتحدث عن دعوة بعض المصريين الى أن تكون حكومة مصر غير دينية ، وأن تلغى المحاكم الشرعية اقتداء بالحكومة التركية ، وأن مصطفى كمال أتاتورك فى الوقت نفسه استدل على جواز اقامة التماثيل شرعا بوجودها منصوبة فى مصر . (١٥) .

وعندما يفسر السيد رشيد قول الله تعالى فى سورة هود : « **واتبعوا امر كل جبار عنيد** » يعرض بالملوك الطغاة المستبدين ، ويقول : « **فهل يعتبر بهذا بقايا الملوك الجبارين فى الأرض قبل انقراضهم (١٦)** » .
وعندى أن هذه الاشارات السياسية والاجتماعية لها قيمتها الكبيرة ، نهى تعطينا ملامح للعصر الذى عاش فيه رشيد ، وتعرفنا بالقيارات والأحداث التى كانت خلاله ، كما أننا نفهم منه أن رشيدا لم يكن بمعزل عن مجتمعه ، بل كان يمتزج به ، ويعترف اليه ، ويحكم عليه ، وكان أيضا يستخدم كتابته - حتى فى التفسير - للحث على ما يؤمن به ، وللتنوير مما يراه ضارا أو سيئا .

ومن المفيد جدا أن يتتبع متتبع هذه الاشارات خلال التفسير ، وخلال آثار رشيد الأخرى ، وبذلك التتبع تتكامل صورة واضحة للعالم لتأثر رشيد بعصره ، وتأثيره فى عصره ، ولجوانب هذا العصر بما فيه من اتجاهات وقيارات .

ملاحظات على تفسير المنار :

الاحظ على « تفسير المنار » ما يلى :
أولا : الاستطرادات الطويلة التى تشبه البحوث المستقلة ، والتى توجد فجوات واسعة ، تحول دون متابعة التفسير ، ورشيد نفسه يشير الى هذه الاستطرادات ، ويقول : « **واستحسن للقارئ أن يقرأ الفصول الاستطردادية وحدها ، فى غير الوقت الذى يقرأ فيه التفسير (١٧)** » .

ثانيا : الأسلوب الخطابى الذى يبدو أحيانا فى « تفسير المنار » ، ولعل رشيدا نفسه قد أحس بهذا اللون الخطابى الذى يفتح الباب للتطويل والاسهاب ، فعمد الى اختصار « تفسير المنار » فى أجزاء موجزة تحت عنوان : « التفسير المختصر المفيد » ، الذى يمكن أن يزداد علما بأمره عند الحديث عن كتب رشيد رضا .

ثالثا : عدم الاستقرار أحيانا فى التفسير ، ومن أمثلة ذلك انه تكلم عن السبب فى عدم نزول : « **بسم الله الرحمن الرحيم** » فى أول سورة التوبة ، فقال :

« **ولذلك لم تنزل البسمة فى أول سورة التوبة التى فضحت آياتها المنافقين ، وبدئت بنذ عهود المشركين ، وشرع فيها القتال بصفة أعم مما أنزل فيها قبلها من أحكامه (١٨)** » .

نفهم من هذا أن عدم ذكر البسلة هو أن السورة منفرة ، وليست موطننا داعيا إلى التحدث عن الرحمة التي ذكرت كثيرا في القرآن ، ولكن رشيدا يعود في الجزء العاشر من التفسير إلى الحديث في الموضوع ، فلا يجعل هذا القول هو المختار ، بل يقول عن سورة التوبة : « ولم يكتب الصحابة ولا من بعدهم البسلة في أولها ، لأنها لم تنزل معها كما نزلت مع غيرها من السور ، هذا هو المعتمد المختار في تعطيله ، وقيل : رعاية لمن كان يقول انها مع الأنفال سورة واحدة ، والمشهور أنه لنزولها بالسيف ونبذ العهد ، وقيل غير ذلك مما في جعله سببا وعلة نظر (١٩) » .

ففي الموطن الأول يلوح لنا أن رشيدا قد اختار الرأي القائل بأن سورة التوبة حذفت منها البسلة لأنها انذار وتشريع قتال ، وفي الموطن الأخير يرى أن المعتمد المختار غير ذلك ، وكلمة « المشهور » التي ذكرها لاتقطع بأن هذا هو المعتمد ، فقد يكون هناك قول مشهور ، ومع ذلك لا يكون هو المعتمد المختار .

ومن أمثلة ذلك أيضا أنه تحدث في الجزء الأول من التفسير عن اسم الله الأعظم ، فقرر أن اسمي « الحى القيوم » هما مع اسم الجلالة (الله) : « ما يعبر عنه بالاسم الأعظم ، وهو القول الراجح عندها » . ولكنه حينما بلغ تفسير قوله تعالى : « **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** » في الجزء الثالث قال كلاما لا يفيد تأكيده لما سبق أن قرره . أنه قال : « وهذا الذى قلناه في بيان معنى (الحى القيوم) يطى لمن وعاه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا هو الاسم الأعظم ، أو قال (أعظم أسماء الله الحى القيوم) ، وقد أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة ، عن أسماء بنت يزيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : (**اسم الله الأعظم**) في هاتين الآيتين : (**والهكم الله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم**) وفاتحة آل عمران : (**الم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم**) (٢٠) » .

فهو في الموطن الأول صرح بأن الاسم الأعظم يتكون من ثلاثة أسماء : « الله ، الحى ، القيوم » ، ولكنه في الموطن الأخير لم يصرح بذلك ، بل أفهمنا أن الاسم الأعظم يتكون من اسمين هما « الحى ، القيوم » ، وأن كنا نستطيع أن نستنتج من الشواهد التى ذكرها الأسماء الثلاثة التى يتكون منها الاسم الأعظم .

رابعا : العجلة أحيانا في كتابة التفسير ، وعدم التهيز الكافى لصياغته باتقان وأحسان ، وكل لون من ألوان الكتابة قد تحتل فيه العجلة ، إلا كتاب الله العلى الأعلى ، فإنه يلزمه التدبر ، والاستعداد ، والتفرغ عند كتابة تفسيره .

ورشيد — كما يحدثنا — كان يكتب التفسير أحيانا وهو على سفر ، وهو مثلا يقول في حديثه عن رحلته إلى الحجاز : « وتأخرت عنهم لاتهم ما كنت بدأت من كتابة نبذة من التفسير للنهار ، لارسالها مع البريد من جدة ، مع كتابة ما لا بد من كتابته إلى مصر (٢١) » .

وأغرب صور العجلة وقلة الاستقراء في كتابة رشيد للتفسير هو ما فعله في الجزء الخامس من « تفسير النار » ، مما ترشدنا إليه عبارة ختم بها هذا الجزء ، وفيها يقول :

« تم الجزء الخامس من التفسير ، وقد نشر في المجلد الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من المنار ، بدأت بكتابة هذا الجزء وأنا في القسطنطينية سنة ١٣٢٨ هـ ، ففاننى تصحيح ما طبع منه في أثناء رحلتي تلك ، وأتممته في أثناء رحلتي هذا العام (١٣٣٠ هـ) إلى الهند . ثم ما كتبت في البحر ومنه ما كتبت في الدن والطرق بالهند ومنه ما كتبت في مسقط والكويت والعراق ، وقد أتممته في الحجر الصحي بين حلب وحماة ، في أوائل شعبان سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف ، ونشر آخره في جزء المنار الذي صدر في آخر رمضان ، ولم أقف على تصحيح شيء مما كتبت في أثناء هذه الرحلة أيضا (٢٢) » .

نمل رشيداً أراد بهذا أن يشير إلى اقتداره على الكتابة وهو مشغول أو غير مستقر ، أو لعله أراد بذلك أن يلتبس لنفسه عزراً فيما يحدث من تقصير أو من هفوات الطبع ، ومهما يكن الدافع فتفسير كتاب الله ينبغي له الاستقرار والفرغ .

ولا يستطيع عارف بقدر كتاب الله تعالى أن يرتضى خطئة رشيد في كتابته التفسير التي يقول عنها : « وأنا نكتب التفسير دائماً في وقت ضيق ، ونعطي ما نكتبه للطبعة من غير قراءة ولا مراجعة ، ثم لا نراه إلا عند تصحيح ما يجمع في المطبعة ، وكلنا جمع شيء يطبع ، وإن لم تتم كتابة ما يتعلق به (٢٣) » .

خامساً : انتقال تفسير المنار من مختصر ، إلى متوسط ، إلى طويل ، فرشيد يذكر في نهاية تفسير « الفاتحة » المنشور في الجزء الأول من « تفسير المنار » أن فرضه الأول من كتابة تفسير الفاتحة ، ونشره في مجلة المنار ، كان بيان ما يستنبذه من دروس شيخه الأستاذ الإمام ، مع شيء مما يفتح الله به عليه في أيجاز .

فلخصر فيما كتبه أولاً ، ولما طبع تفسير الفاتحة على حديثه زاد فيه بعض الزيادات ، وكان قد بدا له أن يجعل هذا التفسير مطبوعاً مستوفياً . ولما بدأ طبع الجزء الأول من التفسير ، وانتهى من طبع الصفحات الخامسة منه بتفسير الفاتحة ، عززه بفوائد احتها بآخر تفسير هذه السورة (٢٤) .

ولقد صرح رشيد في مواطن أخرى بأنه يدخل تنقيحاً وإضافة على التفسير بعد نشره في المجلة ، مثل أن يقول : « وبعد أن طبع تفسير تلك الآية (٢٥) في المنار نقضناه ، وزدنا فيه فوائد أثبتناها في نسخة التفسير التي طبع على حديثها (٢٦) » .

ولو أن رشيداً كان في هذه التغيرات يسير على نظام محدد واضح لكان الخطب ، ولكنه تارة يضع الأضافة في وسط الكلام ، وتارة يضعها في الهامش ، وتارة يجعلها في آخر الموضوع ، وتارة يجعلها في نهاية الجزء مع استدراقات أخرى الخ .

التفسير بعد رشيد :

انتهى رشيد رضا رحمه الله في التفسير الى الآية الحادية بعد المئة من سورة يوسف ، وهي : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين » .

ثم لحق رشيد بربه ، وكان من حواريه وامدقائه العالم السوري الشيخ محمد بهجة البيطار ، فواصل البيطار تفسير سورة يوسف حتى نهايتها ، وقد نشر تفسير هذه السورة مستقلاً في كتاب كتب مقدمته الشيخ البيطار ، كما نشر في الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين من مجلة المنار .

ثم طلب الأستاذ محيي الدين رضا - ابن أخى رشيد رضا - من الأستاذ البيطار أن يواصل كتابة التفسير لنشره في مجلة « المنار » التي أريد لها أن تستمر ، فاستجاب البيطار لذلك ، وبين يدي رسالة منه الى الأستاذ محيي الدين رضا بتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ . ومنها قوله : « أما اتهام هذا التفسير الكبير : تفسير المنار المتبر ، المتقطع النظر ، فأى مانع يمنعني منه ، لولا الشعور بالضعف والتقصير ؟ . على أنني اعتزمت بحصول الله وتوفيقه المضي في هذه السبيل : سبيل اتبأه .. الخ ..

ولكن ، ما كل ما يهمني المرء يدركه ، فلم يستمر صدور « المنار » طويلاً ، وبوقوفه عن الصدور انقطع التفسير . ثم حاول الأستاذ حسن البنا أن يواصل التفسير ، فمهداً من حيث انتهى السيد رشيد رضا رحمه الله والأستاذ البيطار ، وكتب فعلاً تفسيراً لجانب من سورة الرعد نشر في الإعداد الستة التي أصدرها من المنار بعد وفاة السيد رشيد كما عرفنا ، ثم وقف المنار عن الصدور ، فانقطع بذلك التفسير .

.....

اقترحى بشأن تفسير المنار :

اقترح ما يلي بشأن تفسير المنار :

١ - طبع هذا التفسير طبعة مصححة متقنة مضبوطة ، لأن الطبعة الأولى منه نادرة جداً ، والطبعتين اللتين صدرتا منه بعد ذلك مليئتان بالأخطاء المطبعية ، حتى أنك تجد الجزء من أجزائها وقد لحقت به قائمة لتصحيح الأخطاء تستغرق نحو ثلاث عشرة صفحة أو أكثر .

٢ - وضع الترتيم الكافي في هذه الطبعة المقترحة ، لتمييز كلام الأستاذ الإمام من كلام السيد رشيد ، على قدر الإمكان .

٣ - ضبط الكلمات الغريبة في التفسير بالشكل ، وتوضيحها بالشرح المختصر ، لأن الطبعات السابقة لم يشكل فيها إلا نص الآيات عند ذكرها لأول مرة ، وفيها مفردات غريبة تركت بلا إيضاح .

٤ - التعليق على ما يحتاج الى تعليق من التفسير .

٥ - الحاق الاستدراكات والتصويبات التي ذكرها رشيد في أواخر الأجزاء بإمكانها المتعلقة بها داخل كل جزء .

٦ - استنهاض هم المتخصصين في التفسير الى اكمال تفسير القرآن الكريم ، على الخطأ التي سار عليها الأستاذ الإمام والسيد رشيد رضا ، ومن حيث انتهاء ، فان ذلك أجدى على المسلمين من عودة كل كاتب في التفسير الى فاتحة المصحف والبدء منها في التفسير .

٧ - استنهاض همة بعض المتخصصين في التفسير لاكمال ما شرع فيه رشيد من كتابة « تفسير مختصر مفيد » يستخلص من تفسير الخازن الكبير .

لقد وجدنا من يخلف الشيخ محمد عبده في شخص السيد محمد رشيد رضا ، لعل نجد من يخلف السيد رشيد رضا ؟

(١) تفسير الخازن ، ج ١ ص ١٢١ .

(٢) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٦١ و ٤٦٢ .

(٦) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٨٤ .

(٧) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٤٦٧ .

(٨) تفسير الخازن ، ج ٢ ص ٢ .

(٩) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٠) انظر تفسير الخازن ، ج ١ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ .

(١١) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(١٢) ذكر الأستاذ الإمام في تفسير « جزء عم » أن داء الجذري والعصبية نقسا في الجيش المهاجم للكمية ، فكان سبب ذلك الهلاك ، كما ذكر أن الطير الأيبل قد تكون من جنس البعوض والذباب الذي يصل جراثيم الإبراهيمي ، (انظر ص ١٢٠) .

(١٣) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٢١٢ .

(١٤) تفسير الخازن - ج ٨ ص ٤٩٩ وقد بدأ رشيد في كتابته هذا الجزء في رمضان سنة ١٣٢٨ هـ .

(١٥) المرجع السابق ص ٥٢٢ .

(١٦) تفسير الخازن - ج ١٢ ص ١٢٠ وقد بدأ رشيد في تفسير هذا الجزء سنة ١٣٥٢ هـ (١٩٣٤ م) .

(١٧) تفسير الخازن ، ج ١ ص ١٦ .

(١٨) تفسير الخازن ، ج ١ ص ٧٦ .

(١٩) تفسير الخازن ، ج ١٠ ص ١٧٤ .

(٢٠) تفسير الخازن ، ج ٢ ص ٢٨ .

(٢١) الخازن ، المجلد ٢٠ ص ١٠٨ .

(٢٢) تفسير الخازن ، ج ٥ ص ١٧٦ وانظر مثل هذا في ج ٤ ص ٤٨١ .

(٢٣) تفسير الخازن ، ج ٧ ص ٩٤ .

(٢٤) انظر تفسير الخازن ، ج ١ ص ٧٢ .

(٢٥) في قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » في أول سورة النساء .

(٢٦) الخازن ، المجلد ١٢ ص ٤١ .



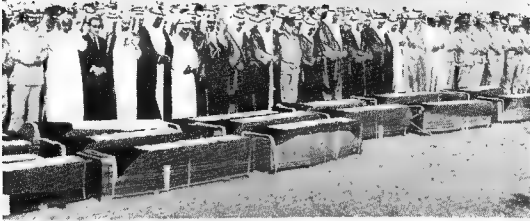
بمعادة الشيخ سعد المبد الله السلام وزير الداخلية والدفاع وكبار ضباط الجيش يؤدون الصلاة على روح الشهيد النقيب على أحمد القصار الذي استشهد يوم الجمعة ١٦/٧/١٩٧٠ وهو يؤدي وأجبهه دفنًا عن الأرض والكرامة العربية على جبهة قناة السويس .

مَوَكِبٌ

* هؤلاء الذين سبقوا إلى
الرفيق الأعلى في روضات الجنات
مطليعة المجاهدين الذين خرجوا من
ديارهم وأموالهم في الكويت ،
وحملوا السلاح ووقفوا صفا بجانب
أخوانهم المقاتلين في دار الإسلام
على ضفة الغداة يقتاتلون رعا
الأرض الذين اعتقدوا اليوم على
المسلمين كما اعتدى آبائهم من
تول على النبين والمرسلين ..
* هؤلاء الطليعية الذين
استشهدوا من أبناء لواء اليرموك
الكويتي في معارك الصهيونية
الباغية - غصن مورق في شجرة
بلسقة ، متعددة الأغصان ، ممتدة
الجزور طاملا رويت بالذباء الزكية
لأصحاب العقيدة الذين نذروا
أنفسهم لله وعرفتهم ميسادين الموت

أَسْمَاءُ الشَّهَدَاءِ

النقيب على أحمد القصار
الرفيق على محمد سلطان
العريف فرحان حمود الرشيدى
نصار ناهير الرشيدى
وكيل العريف مهمل محمد المطيرى
سعيد سعد الرشيدى
سمود براك العتيبي
مفرح دخيل العنزي
عشرى فرحان العنزي
خنفور حمود الرشيدى
نايف حمود الشمرى
مقعد حبيب العتيبي
مطر عبد الرحمن مشد العتيبي
مسعود عويض الحربي
رزيق زيدان الرشيدى
محمد فارس المعجبى
محمد مطلق العتيبي



سمو الشيخ جابر الاحمد ، ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء واصحاب
السعادة الشيوخ والوزراء وكبار الشخصيات يؤدون الصلاة على ارواح
الشهداء الذين جادوا بأرواحهم دفاعا عن الحق العربي على جبهة القتال في
السويس ..

الشهداء

وساحات الوغى أبطالاً يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون .
* سل عنهم العدو الدنيا والعدو القموى في بدر ، وسفوح الجبال
في احد ، والبطاح المنبسطة في حنين والثلل المتراكمة في حطين ، والدروب
والمنعرجات في فلسطين .. سل عنهم شمال افريقيا ومضائق الاندلس
وسهول الصين ، ووديان السند وأحراش الهند .. وأسوان القسطنطينية ..
بنوا على اجسادهم تاريخ دينهم ، وسجلوا بدمائهم حرية امتهم .

وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

* ان الشهادة في ميزان العقيدة منزلة يسارع اليها ، ويهنا بها ،
وليست مصيبة يجزع منها أو يساق فيها العزاء .. قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم — لما اصيب اخوانكم جعل الله ارواحهم في جوف طير خضر ترد
أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتاوى الى قتاديل من ذهب معلقة في ظل العرش
فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم وقيل لهم قتالوا : من يبلغ عنا اخواننا أننا احياء
في الجنة نرزق لثلا يزهدوا في الجهاد ، ولا يتكلموا عن الحرب ؟ فقال الله
تعالى : انا ابلغهم عنكم قال : فأنزل الله عز وجل (ولا تحصن الذين قتلوا في
سبيل الله أمواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

التوازن والتركيب

الفكر الإسلامي

للأستاذ: رمضان لاوند

ثلاثة مناهج فكرية ظهرت في غربي المتوسط وشرقيه ابتداء من العصور اليونانية القديمة حتى اليوم :

١ — منهج يعتمد على العمليات العقلية النظرية التي تنضبط بعلم المنطق الأرسطي .

٢ — منهج يعتمد على البحث العلمي ، وينضبط بالأبعاد المادية لاشياء المعرفة باعتباره أداة المعرفة الوحيدة .

٣ — منهج يعتمد على كل من العمليات العقلية النظرية والمادية الموضوعية وإرادة الإبداع والوعي الوجداني معا في جملة واحدة وبأقدار متوازنة موزونة .

المنهج الأول جاء به اليونان القدماء ، والمنهج الثاني جاء به الغرب المعاصر منذ عصر النهضة ، أما المنهج الثالث فهو المنهج الإسلامي .

في ضوء هذا التصنيف نواجه تراث المعرفة الإنسانية في حوض البحر

الابيض المتوسط ، وغيا يلى نقرر الوقائع والملاحظات النابعة من هذا التصنيف بالذات :

الفكر اليونانى القديم :

عندما اعلن طاليس الفيلسوف اليونانى الاول ان الماء اصل الوجود ، وكان ذلك فى القرن السادس قبل الميلاد ، فقد اعلن فى الحقيقة نشوء ما يمكن ان نطلق عليه اسم (المنهج الفكرى الهندسى) .
والملاحظ ان كل الفلاسفة الطبيعيين الذين جاؤوا بعد طاليس او عاصروه قد صدروا فى نظرياتهم التى عللوا بها اصل الوجود عن هذا (المنهج الفكرى الهندسى) نفسه ، فاعلنوا على التعاقب ان الهواء او العناصر الاربعه او النار هى اصل الوجود .

والظاهرة نفسها قد تكررت حين جاء من يمكن ان نطلق عليهم اسم (فلاسفة الوجود) فقد أصروا جميعا على اعتبار الوجود أصلا للموجودات كلها بالرغم من ظاهرة التجريد التى تميزت بها فلسفاتهم .
والقول هو نفسه عند كل طبقات الفلاسفة والمفكرين اليونان بما فيهم أرسطو نفسه الذى كانت مهمته جمع طرائق التفكير التى وقع عليها فى التراث اليونانى السابق واساليب المناقشة ، وإطلاق اسم (علم المنطق) عليها .
وقد اعتبر أرسطو واضع علم المنطق تجوزا مع العلم أنه قد أوتى موهبة الجمع والتنسيق ، وليس بالتقليل ان يؤتى المرء مثل هذه الموهبة .
وعندما نعلم ان علم المنطق (الأداة المنظمة للعمليات العقلية) هو العلم الذى يعتبر الوجود كله - بما فيه الإنسان نفسه - مجموعة من العلاقات المنطقية ، نستبين من ثم مدى اغفال هذا العلم لكثير من العلاقات والحقائق الكونية والإنسانية الأخرى .

وقد يكون من المفيد هنا أن نستشهد برأى مفكر عربى كبير ينقد الفكر الأرسطى ، ويعطينا صورة واضحة عنه ، يقول ويل ديورانت فى ص ١٢٠ من كتابه (قصة الفلسفة) فى الترجمة العربية للدكتور فتح الله محمد المشمش :

« وهذا يجعله (أى أرسطو) يطوف فى كل علم ويورطه فى مقدمات واسعة ، وهنا يكن عيب اليونان الكبير الذى كان يموزه النظام والتحديد والتقاليد الثابتة ، فقد جال بحرية فى ميدان غير محدود ، وجرى طوعا الى النظريات والاستنتاجات ، وبذلك خلقت الفلسفة اليونانية ، وقفزت فوق مرتفعات لا يمكن بلوغها مرة ثانية بينما تخلف العلم اليونانى وراءها الخ » .

هنا يتهم الناقد الأمريكى فكر أرسطو ومنطقه بوضع مقدمات خيالية نابذة من افتراضات قد تشكل فى النهاية فكرا متناغما الاجزاء ، ولكنه لا يمثل الواقع ، فالإنسان عند أرسطو ظاهرة منطقية متناغمة ، ولكنها ليست الإنسان الواقعى الذى يفكر ويتفعل ويريد ويوجد ما يشاء ويعتمد ما يشاء ، وبالتالي الإنسان المركب من عناصر متباينة ومتداخلة ومتوازنة فى الوقت نفسه ، ان ويل ديورانت ينهم فكر أرسطو بالخيالية والافتراضات التى لا علاقة لها بالواقعية العلمية .
كل الفلاسفة والمفكرين اليونانيين كانوا ينطلقون من منهج واحد هو منهج

التفكير الهندسى البسيط وهو تفكير يتناقض تناقضاً تاماً مع بنية الطبيعة والكون وبصورة خاصة مع بنية الكائنات الحية ، وفى مقدمتها الإنسان نفسه .

الفكر الغربى الحديث :

ولو انتقلنا الى الفكر الغربى الحديث لوجدنا ظاهرة جديدة من حيث الشكل ولكنها قديمة من حيث المضمون والمحتوى هذا الفكر يجسد فى الوقائع المادية وأبعادها مصدراً وحيداً للمعرفة ، ومنهجا وحيداً لفهم الكون والطبيعة والإنسان وبذلك يكون الإنسان الذى هو الموضوع الرئيسى الذى يواجهنا باستمرار ، مجموعة من العلامات المادية المحضة .

فإذا كان الإنسان الأرستلى مجموعة من الافتراضات العقلية الخيالية النظرية للسبب الذى ذكره ويل ديورانت فإن الإنسان المفكر العلمى الحديث هو مجموعة من العلامات المادية والقوانين الفيزيائية والكيميائية ، ولما كانت القوانين التى تكشف عن طبيعة هذه العلاقات علامة على وجود منهج هندسى بسيط الأشياء والقوانين الإنسانية تبسيطاً يخرج بها عن طبيعتها التوازنية ، فإن من الطبيعى جداً أن نقول : أن الفكر الغربى الحديث بموضوعيته المادية هو ظاهرة جديدة مخالفة عن الفكر اليونانى المنطقى فى الشكل ، ولكنها مشابهة له من حيث المضمون باعتبار أن الإنسان فى نظرها هو مجموعة من العلاقات المادية الثابتة .

أما الفلسفات العقلية النظرية عند الغربيين بعد النهضة ، والتى خالفت الفكر المادى الموضوعى فهى لم تخرج عن كونها استمراراً للعقلية الأرستلية القديمة التى تجعل من لعبة الفكر المنطقى ، والمهارات العقلية المتبذلة فيها ، ميزاناً لحاقيتها ووقائعها المختلفة ، واتهام هذه الفلسفات بالمثالية البرجوازية من قبل الماديين لا يغير شيئاً من الحقيقة التى قررناها مع العلم أن بعض هذه الفلسفات قد نادى بنظريات ثنائية اعترفت بحقيقتى المادة والروح ، واعتبرتهما متساويتين فى تمثيل الوجود ولا سيما الوجود الإنسانى .

المهم أن المنهج الفكرى عند العقليين على اختلاف مدارسهم ، والمساكين العلميين على اختلاف نظراتهم ، قد جعل من السكون والطبيعة والحياة حقائق عقلية نظرية أو علمية مادية وحسب .

الفتشلى :

من هنا مصدر المعجز المفلس الذى اتصف به الفكر اليونانى الأرستلى حين ظهرت المدارس اليونانية المتأخرة والتى رفضت فلسفة ما وراء الطبيعة لتصبح مدارس سلوكية أخلاقية عملية ، من مثل المدارس الرواقية والكلبية وغيرها ، وما هنا أيضاً مصدر الفتشلى الذى يسجله الفكر الغربى الحديث فى استيمباب الحقيقة الإنسانية ، وتعيين أبعادها ، ووضع الحلول المناسبة لها ، والسيطرة على الأزمات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية التى تعصف بمجتمعات الغرب اليوم .

وإذا كان العقل المعاصر ما يزال متمسكاً بمنهجه الفكرى المادى فى مواجهة

تضاييا الإنسان والكون فلأن هذا المنهج يتميز بالبساطة والسهولة تلبا ، كما بقى العقل اليونانى القديم متمسكا بمنطق أرسطو النظرى فى مواجهة تضاييا الإنسان والكون ، ذلك أن منطق أرسطو النظرى سلاح سهل يصلح لتأييد كل وجهات النظر ، وكل المواقف الفكرية المتناقضة .

فلو صح أن المنهج المادى هو المنهج الصحيح لمعرفة الكون والإنسان ، لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة ، ولو صح أن المنهج المنطقى الأرسطى هو المنهج السليم لمعرفة الكون والإنسان لوجب أن تكون الفلسفة النابعة منه فلسفة وحيدة أيضا .

وكما تمزق الفكر الحديث شيما وفرقا مختلفة بسبب العجز فى منهجه ، فقد تمزق الفكر اليونانى بعد أرسطو وقبل أرسطو بسبب العجز فى منهجه أيضا .

لقد فشل هذا الفكر وذلك لأنها يصران على تبسيط ظاهرتى الكون والإنسان تبسيطا ساذجا يخرج بهما عن حقيقتيهما الأصلية .

الوهم الكبير :

أما القول بأن البناء العقلى المنطقى النظرى قد نجح فى تقرير الحقائق كلها فهو وهم كبير ، لأن التناغم والانسجام فى القضية العقلية المنطقية لا يعنى أنها يمثلان الحقيقة ، فهما بالتالى يمثلان افتراضا نظريا متكابلا ، ولكنه فائد لواقعية الحقيقة الحية ، وكذلك الشأن بالنسبة لبناء المعرفة العلمية المادية ، فقد نجح هذا البناء فى تحقيق أعظم المنجزات التكنولوجية ، ولكن المنجزات التكنولوجية شىء ، والحقائق الإنسانية شىء آخر ، وليس أدل على ذلك من أن العلم الذى بلغ بتطبيقاته التكنولوجية مرحلة غزو الفضاء وتمجير الذرة ، هو نفسه الذى ما يزال عاجزا عن الإجابة على أبسط التساؤلات المتصلة بتوضيح العلاقة بين الدماغ والعقل ، أو العلاقة بين الإرادة والعقل ، أو العلاقة بين الحياة والموت ، أو العلاقة بين الحياة والخلية ، عشرات من الأسئلة الأساسية والأولية يقف العلم أمامها عاجزا ، لأن تضايياها ليست فى متناول البحث العلمى .

ومع ذلك فالفكر العلمى مصر على تجاهل عجزه معتد على منجزات المادية التى تساعد على التشويش على مخالفه ، كما كان الفكر المنطقى القديم مصرا على تجاهل عجزه معتدا على مهارته فى تأليف القضايا المنطقية التى يحاول أن يبرهن بها مخالفه ويشوش عليهم .

نقطة الى الإسلام :

ويعد ، فانه يجدر بنا وقد أدركنا جوانب العجز فى المنهجين الغربى الحديث واليونانى القديم ، أن تلقى نظرة على منهج الفكر القرآنى فى الإسلام . المسلمون يملنون أن القرآن الكريم قد طرح منهجا سليما يشبع السكون والطبيعة والإنسان فى صميم الصورة الحقيقية للخلق .

والمسلمون يقولون بعد تتبعهم لجوانب الشخصية القرآنية : أن منهجية الفكر الاسلامي ذات طابع توازني تركيبي ، فهي ترفض التبسيط الساذج في الرؤية الفكرية لكل من اليونان القدماء والغربيين المعاصرين ، وهي تقرر أن الحفاظ على التوازن الدقيق بين عناصر المنهجية المركبة هو وحده الذي يحقق الرؤية الإنسانية السليمة للانسان والطبيعة والكون .

نظرية التوازن :

جاء في الآية ١٩ من سورة الحجر قوله تعالى : « والأرض مددناها والقينا فيها رؤاسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون » وفي الآية ٢١ من السورة نفسها جاء قوله تعالى « وأن من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » .

النباتات الموزونة والنزول الذي يتحقق بقدر معلوم ، تقرر حقيقة واضحة هي استمرارية الاشياء منذ بدء الخلق حتى اليوم المرآة والرجل ، النبات والحيوان والانسان ، النسب القائمة بين هذه وتلك وأولئك ، ثم الأكوان كلها ، النظام الفلكي ونظام بناء الذرة ، كل هذا مستقر متكرر بأقمار معلومة وابعاد موزونة ، العلاقة بين الخلقة والخلقة في العضو الواحد ، والعلاقة بين العضو الواحد وبقية الاعضاء في الجسد الواحد ، وكذلك الثمان في العلاقة بين الاجهزة الداخلية في الجسم ، ومن وراء ذلك كله تلك الاخلاط التي تنتشر في الجسد الحي ، والتي ما تزال في سلوكها التوازني ظاهرة معجزة أمام الاباحث العلمية الحديثة . يبقى ان نشير الى العلاقة الخفية بين الجسد والملكات النفسية المختلفة ، العقل والارادة والانفعال او العاطفة ، وهي علاقة تتحقق بها ظاهرة أخرى من ظاهرات التوازن الدهش المعجيب .

فهل بعد هذا كله من يتنكر لظاهرة التوازن ؟ وهل هناك من يستطيع أن يفسر استمرارها ، وأن يجد القانون العلمي الذي يستطيع بوسائل الاباحث الخبيرة أن يصفه ويعترف الى أسرارها ؟
التوازن حقيقة يعترف بها كل العلماء ، ويشهد آثارها كل المفكرين ، ويشعر بلغتها الأساسي في تحقيق الاستمرار للوجود كل صاحب عقل .
وعندما نقول (توازن) فمنه بالتالي نرفض أية منهجية في البحث لا تنطلق من النظرة التوازنية ، فالعقل لا يستقل بوجود الانسان ، وكذلك الارادة او العاطفة ، لكن العلاقة التوازنية بين هذه الملكات النفسية المختلفة هي التي تتمثل بها ظاهرة الوحدة في السلوك الانساني ، ولما لم تكن الوحدة التي يحققها التجانس المتوازن بين العناصر المتعددة ، موقوفة على مخلوق معين ، فقد وجب أن نواجه ظاهرة الوحدة هذه متبثلة في الكون كله ، وحقيقة مسلمة في كل ميدان وعلى كل مستوى من المستويات .

ولما كان بحثنا متصلاً بكل ظاهرات الوجود ، فقد وجب أن نتعرف الى كل عنصر من العناصر التي تتحقق بها وحدة الموجودات وظاهرة تجانسها ، فما هي هذه العناصر أو القوى المختلفة التي تتحقق بها رؤية متكاملة للكون والانسان .
لننظر فيما جاء من وحى الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ، ذلك أن مركز بحثنا هنا هو التعاليم القرآنية وحسب .

الإرادة :

لا أحد يشك في أن الإرادة المبدعة التي تقرر حرية الإنسان في الحركة والسلوك والتصرف هي حقيقة إنسانية واقعة ، ولكن الإرادة التي هي الإبداع الحر هي تحققة الإنسانى لا تستطيع أن تفسر لنا كل ظاهرات الخلق ومجالي وجوده ، فهل نستطيع عن طريق القرآن الكريم أن نجد لهذه الإرادة دوراً في ميدان غير ميدان النشاط الإنسانى ، وعلى مستوى يتجاوز قدراته الفعلية ؟

إن لنا في القرآن الكريم ما يساعدنا على تحقيق هذا الدور والتعرف إليه لنقرأ الآية ٢٦٠ من سورة البقرة ، قال تعالى : (وأذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهم جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم) وها هي آية أخرى نقرأها في سورة آل عمران الآية ٥٩ قال تعالى : « أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »

في هاتين الآيتين ما يكشف عن نوع من أنواع العلاقة بين الخلق وخالق الخلق ، فإذا سأل إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كان الجواب هو التجربة العملية التي تكشف عن طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق ، هذه العلاقة متبثلة في الإرادة الإلهية ، وأذن فالحال سبحانه وتعالى يقرر أن العلاقة المنطقية ، والعلاقة السببية المادية لا تستطيعان أن تفسرا الكيفية التي تم بها الخلق ، فهما إذا لا تصلحان للإجابة عن سؤال إبراهيم الخليل أبداً .

والشيء الذي يدعو إلى الدهشة أن أصحاب هذين المنهجين عاجزون عن تجاهل دور الإرادة المبدعة في تحققة الإنسانى ، ومع ذلك فهم ينتكرون لها بمحاولاتهم المستمرة في الزعم بأنها خاضعة لقوانين مادية يجعلها العلم حتى اليوم ، ويصرون في الوقت نفسه على التمسك بها حتى لا يقعوا في التناقض فتبطل المنهجية العلمية المادية التي يتعلقون بها وينتكرون لها سواها .

ويزيد في عجبنا أن الكثيرين منهم يناقون بحرية الإرادة في عملها الإبداعي ، ثم يرفضون المناداة بها حين يواجهون قضية أصل الكون ومصدر وجوده .

والفرق الظاهر بين إرادة الله للكون كله ، وإرادة الإنسان في خلق أعماله هو الفرق بين حجم المخلوق لكل من الله والإنسان ، ثم طبيعة العلاقة بينهما ، فالإنسان هو جزء من الكون الذي خلقه الله ، وأذن فإن إرادته مرتبطة بعناصر وقوى وقوانين يخضع لها هذا الكون كله ، أما الله سبحانه وتعالى فهو فوق هذا الكون ومن ورائه ، وأذن فإن إرادته غير مرتبطة بأى عنصر أو قوة أو قانون فهي إرادة مطلقة ، وإذا لم نسلم بصفة الإطلاق في إرادة الله فنحن متناقضون مع عنصر آخر يلعب دوراً خطيراً في حياتنا هو العقل .

العقل :

لا أحد يتردد في أن العقل ظاهرة نفسية مسلطة ، وأنه الميزة التي يتميز بها الإنسان من الحيوان والنبات فبالعقل ندرك قوانين الأشياء ، والعلاقة الثابتة التي تربط أحدها بالآخر ، والعقل كما يبدو لنا ملكة سلبية ، أنه أداة السوعي

والإدراك ، ولكنه لا يملك طاقة الفعل وإرادة التصرف ، فالفعل والتصرف من خصائص الإرادة الإنسانية .

العقل نفسه مضطر للاعتراف بوجود علاقة خاصة بين الكون وخالق الكون ، لأنه بما يملكه من الأدوات التي هي الحواس الخمس لا يستطيع أن يتجاوز الأبعاد المحسوسة للكون ، وهو في الوقت نفسه مضطر للتسليم بوجود علاقة على نحو من الأنحاء بين الموجود والإرادة المبدعة له ، هو يسلم بها على المستوى الإنساني فلا يعترف بانتقال الشيء من السكون إلى الحركة ما لم تكن هناك إرادة إنسانية مباشرة أو غير مباشرة من وراء هذه النقلة ، فإذا كان استمرار الكون بتوازنه وتكرره ودوراته التي هي ظاهرة خلق مستمر غير كاف للتدليل على وجود إرادة من ورائه فإن من المكابرة البالغة أن يرفض العقل دور الإرادة الإلهية في تحقيق عملية الخلق المستمر .

إذن فما هو دور العقل في الإسلام بعد التسليم بوجود منطلق الإرادة من ورائه ؟

تعالوا بنا إلى القرآن الكريم نسأله عن دور هذا العقل في الحياة الإنسانية لنقرأ في الآية ٤٦ من سورة الحج قوله تعالى : « أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » .

وإذن فإن مهمة العقل بعد التسليم العقلي بدور الإرادة المبدعة على مستوى الإنسان وعلى مستوى الإله الخالق مع تبين الفرق بين المستويين كما شرحناه قبل قليل ، هي مهمة استكشافية : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم » أي هي عملية وعى بحث كما قلنا من قبل أيضا ، وعملية الوعى العقلي تستتير بظاهرة الاستمرار في العلاقات بين الأشياء والتي يعبر عنها اليوم بكلية قوانين ، وهنا يأتي دور العلم المذدى بالتعاون مع العقل ، أن دوره هو البحث عن هذه القوانين وحسن الاستفادة منها في صنع تشكيلات مختلفة انطلاقا من إرادة الإبداع .

إن مهمة العلم ليست تفسير الوجود العام بالمنهج الموضوعي المادى ، بل هي الكشف عن قوانين هذا الوجود ، وحسن استغلالها والإفادة منها . والمخطأ الذي يرتكبه العلم المادى هو فى طوبحه الى تفسير كل ظاهرة حتى ظاهرة الوجود الكونى بالقوانين التى يهتدى اليها بواسطة العقل أولا والأدوات الفكرية التى اعتمدها العقل وجعلها وسيلة لتسريع الفائدة .

والسؤال الذى يرد الآن هو : هل فى وسع العقل أن يتجاهل منطلق العاطفة وظاهرة الإنفعالات والإحساس الوجداني العميق ؟ طبعاً لا ، ذلك أن هناك قطاعاً نفسياً خاصاً تتحقق به رؤية معينة نسميها رؤية فنية أو وجدانية يكون فيها اللذوق ولقيم الجمالية والأخلاقية دور خاص .

وكما كان كل من العقل والإرادة ظاهرة تقليدية وكان لكل منهما دور إيجابى فى تشكيل التراث الإنسانى ، فإن للعاطفة الروحية وما يتفرع عنها من الانفعالات والإحساس الوجدانية دورها الإيجابى فى تشكيل هذا التراث ، فلنبحث عن هذه العاطفة فى القرآن الكريم .

المعاطفة :

روح التسدين عاطفة ، الحب عاطفة ، البغض عاطفة ، التعاطف بالقيم الجمالية عاطفة ، ولو شئنا الانتشار على ظواهر المعاطفة لوجدنا ما لا سبيل إلى حصره .

والعاطفة ملكة نعين بها موقفنا الوجداني من المعاني الجمالية والخلقية ، فهي إذن ذات دور انساني تملأه ، كما هو دور كل من العقل والإرادة ، لننظر في تراث التصوف الانساني ، وما يتصل به من القيم الأخلاقية والذوقية ، ولنتأمل في الفنتاج الفني وما يرتبط به من القيم الجمالية ، أو ليست هذه وتلك جانبين من جوانب التراث الانساني في مسيرته الحضارية ؟

ولعلنا في غير حاجة إلى الاستدلال على وجود هذه المعاطفة بجانبها الأخلاقي والجمالي في القرآن الكريم ، فالآيات القرآنية حافلة بهذه المعاني التي تحض على تربية الذوق ، وقيم المحبة والتعاون والتضحية والدعاء والتقوى التي هي في حقيقتها اتصال وجداني بالذات الإلهية التي هي المثل لظاهرة القيم والمعاني الجمالية في منطق المصير .

حتى البناء القرآني نفسه هو بناء فني توغرت له كل عناصر الجبال التعبيري المعجز بالإضافة إلى الرؤية الفكرية الواضحة أو لم يتحد القرآن الكريم من خاصم تماثيله أن يأنوا بعشر سور، أو بسورة من مثله ؟ أو لم يعلن بهذا التحدي جمالياته الفنية ؟

لنقرأ في الآية : (١١٢) من سورة التوبة قوله تعالى : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير من الجاهلون الذين كانوا يكذبون على أفهامهم » .
أو ليست هذه الصفات التي يتصف بها المؤمنون تعبيراً عن شغافية الوجدان الروحي والحس الذوقي عندهم ؟

أفلا يرى قارئ هذه الآية الكريمة تلك الصورة الرائعة للإنسان المتدين الذي يقلب وجهه في السماء ، ويحقق السمو في ذات نفسه بحيث يرتفع عن كل معنى من معاني القلق المدمر والحيرة المضيعة ؟

أين المنهج المركبة ؟ :

في ضوء الحقائق والملاحظات التي سجلناها في هذه المقالة نستطيع أن نقول : إن نظرية المعرفة في القرآن الكريم لا تقف عند الرؤية العقلية المنطقية أو المادية بخاصة ، كما لا تقف عند إرادة الإبداع ، ولا تقتصر على تربية الذوق أو الحس الوجداني وحسب ، بل هي معرفة تنادي بنظرية التوازن بين القوى المختلفة ، هذه القوى تتلاقى وتتداخل ، ويكمل بعضها البعض الآخر من أجل تكوين الرؤية المتكاملة في التعليم القرآني الكريم .

فمن نحن نؤمن بالله في ضوء الإيمان بأرادة الخلق الإلهية ، ونحن نستدل على وجود هذه الإرادة بالمنطق العقلي ، ونفقد من استهوائية القوانين الإلهية بالمنهج العلمي المادي ونربى ذوقنا الفني ، وقيمنا الأخلاقية بمعاناة التقوى ، وترقيق العواطف .

إنه المنهج الإلهي التركيبي الذي يقرر ظاهرة التوازن في الخلق على كل المستويات ، فيجمع بين تكوين الذرة ، وتكوين الجرات ، أنه قول الله « ومن أحسن من الله قليلاً » صدق الله العظيم .

مائدة الفارسية

« يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة
واعلموا أن الله مع الحقين » .

صدق الله العظيم

حرمة نسله المجاهدين على القامدين كحرمة أبهاتهم ، وإذا خلله في أهله فخذه
تيل له يوم القيامة هذا خاتك في أمك ، فخذ من حسناته ما شئت لما ظنكم ؟
حديث شريف

فقال — الحمد لله الذي مسفك
كلها ، وكفاني هربا .

قراقوش

كلمة تركية ، ومعناها (المقاب
أو النمر الأسود) ويسمى به بهاء
الدين أبو سعيد ، ونشأ في خديعة
صلاح الدين الأيوبي ، وخاض معه
معارك ، ولى عكا بعد أن أخذه صلاح
الدين من الأكرنج ، توفي بالقاهرة ،
وينسب إليه العادة أكلها تمسكية
في محل شك لأنه كان موضع ثقة البطل
صلاح الدين .

جهرج

كلمة تركية بمعنى حيوان ، وإدارة
الجبارك عملها مراقبة الصادرات
والواردات وتحصيل الرسوم المقررة
عليها فضلا عن مراقبة المسافرين
والقادمين ، وتيسير دخولهم وخروجهم
من الدولة والتنظيـم الجبركي قديم
يرجع عهده إلى اليونان والرومان ،
وتعتبر الرسوم الجبركية مصدرا من
مصادر إيرادات الدولة فضلا عن أنها
وسيلة لصيانة الإنتاج المحلي .

دماء

خاقت نفس الريد يوما بالشدائد
التي توج بها الحياة ، فقاتل لشيفه
— طينى كليات أدبه بين نالى الله
بى أعقاب الصلوات الخمس ، فقاتل
له — بل الله أن يعصيك من سفر
النفس الذى تضخم له الأجسام ،
ومن ضيق العقل الذى تصعب له
اليطون ، ومن صر الأبل الذى تمتد
له أسباب الفزور .

لعاب الخنية

كان أبو حية القنيرى من أجبن
النفاس والكذابين ، وكان له سيف
يسميه (لعبة الخنية) ليس بينه وبين
الخشبة فرق .

وحدث أن كلبا دخل بيته ليلا ،
فطنه لصا ، فالتقى سيفه ، ووقف في
وسط داره يهدد ويتوعد ويقول :
— أيها الخنزير هذا ، المجترى علينا ،
بنس والله ما أغرت لنفسك خير
قليل وسيف صليل ، ولعاب الخنية
الذى سمعت به ، مشهورة صريته ،
لا تخاف نبوته . أخرج بالخنو عنك
قبل أن ادخل بالمقربة عليك . وبينما
هو يرعد ويزداد إذا التكب قد خرج ،

الفيتو

اصطلاح لاتيني بمعنى (انا ابلغ) وهو حق فرد او هيئة في وقف نفاذ قانون صادر من هيئة صاحبة حق في اصدار هذا القانون .
وقد نشأ في العصر الروماني الاول في وقف نفاذ القوانين التي يصدرها مجلس الشيوخ الروماني .
واشتهر الفيتو في العصر الحديث وهو حق مقرر للدول الكبرى الأربع - (الولايات المتحدة ، روسيا ، بريطانيا وفرنسا) - في ان تعطل أي قرار تصدره هيئة الأمم المتحدة او احد مجالسها ، وقد استخدم هذا الحق مرات في وقف قرارات مجلس الامن .

سهم ٣

قال امرأبي الآخر - خرجت مرة على فارس لي ، فلما بظلمة شديدة فجمعتها حتى وصلت اليها ، فلما قطعت من الليل لم تنتبه ، فما زلت اهل بفرس عليها حتى انتهت بها فانهيت .
فقال الآخر - لقد ربيت ظبياً يسهم ، فعدل الظبي بينة ، فعدل السهم خلفه فتناسر الظبي ، فتناسر السهم خلفه ، ثم علا ، فعلا السهم خلفه ، وانصهر فانهدر خلفه حتى اصابه !!

ضرتان

تزوج رجل امرأة جديدة على أخرى قديمة ، فكانت جارية الجديدة تمز على جارية القديمة فتقول :

وما يستوى الرجلان - رجل صحيحة والأخرى ربي فيها الزمان غشفت . ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوب به القلي وشوب بأيدى البائمين جديد . فميت جارية القديمة على باب الجديدة يوماً ، وقالت :

نقل غلادك ما استطعت بن الهوى مما الذهب الا للمبيب الاول كم منزل في الارض يالفه النفس وهينسه ابداً لأول منزل

ثقافة

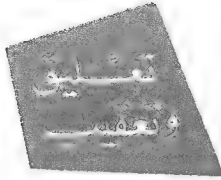
الإمام

الشافعي

روى الفخر الرازي ان الرشيد سأل الشافعي - هل تعرف الطب ؟ فقال :

أعرف ما قالت الروم مثل ارسططاليس ، وسقراط ، وجالينوس ، ونور فوريف ، بلغاتها وما نقله أطباء العرب ، وفننه فلاسفة الهند وتمتعه فقهاء الفرس .





حول مقال

الأحكام الإسلامية بين الدفام والتفجير

المقال نشر في مجلة العربي ، وهو للاستاذ زكريا اليزي رئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الكويت ، والتعليق بحث به الينا الدكتور سليمان نيا استاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة أم درمان ، والتعقيب لصاحب المقال .
والذي أقدم « الوصي » في الموضوع مع أن المقال لم ينشر فيه ؛ أهمية موضوع البحث وخطره وحيويته وتقدير الدوافع الطيبة التي أملت التعليق على صاحبه ، وصلة صاحب التعقيب بالمجلة ، فهو أحد كتبهها الأعلام .

ولما كان من حق المجلة - كما ينفي بذلك العرف الصحفي - التصرف من حيث الشكل نينا ينشر فيها ، فقد استندنا إلى هذا الحق في تعديل أو حذف بعض الكلمات والعبارات التي تجبت من هذه النقاش .

وبعد نشر التعليق والتعقيب نعتقد أن مجال البحث والتضييق قد استوفى حظه من صفحات المجلة ، فلم يعد هناك متسع فيها بعد لتعليق أو تعقيب الآخرين .

التعليق :

تحت هذا العنوان في مجلة العربي العدد ١٣٨ الصادر في صفر ١٣٩٠ هـ كتب الاستاذ زكريا البري رئيس قسم الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت مقالا ذهب فيه الى أن الاحكام الإسلامية قسمان : قسم يتغير ، وقسم لا يتغير .

وهو يقصد بالتغير أن يكون هناك حكم إسلامي قائم فلفظه ونهجه ، ونحل محله حكما آخر يخلفه في أداء وظيفته يقول « والاحكام الجديدة التي تقول بها الأمة الإسلامية — ممثلة في أصحاب الاختصاص — تكون هي الفقه الإسلامي المعاصر أما الاحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحلها وجزءا من تاريخه » .

وقد وضع الاستاذ حدا فرق به بين ما سماه فقها ثابتا باقيا على مراحل التاريخ ، وما سماه فقها متغيرا يبقى مدة ثم يمضي ليحل محله غيره ، وهكذا دواليك ، وضرب للثابت والتغير أمثلة واستشهد بكلام بعض الفقهاء .

وكل ما قال بخصوص ما أسماه فقها متغيرا غير مسلم له واليك البيان .

أما الحد الذي وضعه بين ما أسماه احكاما متغيرة واحكاما ثابتة فهو قوله « تسابقنا : ما الحدود الفاصلة بين الاحكام المستقرة والاحكام المتغيرة ونجيب عن سؤالنا بأن الاحكام المستقرة مأخوذة من نصوص قطعية في ثبوتها عن الشارع وقطعية في دلالتها على الاحكام المستفادة منها والتي تنظم علاقات ثابتة وغير متطورة . ومن اظهر الأمثلة لذلك الاحكام الخاصة بنصيب الورثة في التركة والاحكام الخاصة بالمحرمات من النساء في الزواج أما الاحكام المتغيرة فانها تخرج عن هذا الحرم المقدس وتلك النطقة الحرام وهي أكثر احكام الفقه الإسلامي » .

وينص من هذا النص أن الاحكام المستقرة يجب أن يجتمع لها ثلاثة شروط .

الأول : أن تكون قطعية الثبوت .

الثاني : أن تكون قطعية الدلالة .

الثالث : أن تكون العلاقة التي تنظمها هذه الاحكام علاقة ثابتة غير متطورة :

وينص ايضا أن الاحكام المتغيرة هي التي لم يجتمع لها كل هذه الشروط الثلاثة . [كنا ننظر بعد ذلك أن تكون الأمثلة التي ذكرها تفرعا على هذه القواعد وتطبيقا لها كان يقول ان الحكم الفلاني مستقر لأنه اجتمع له قطعية النص وهو كذا وقطعية الدلالة وهي كذا ولأن العلاقة التي ينظمها هي كذا . وهي ثابتة غير متغيرة وأن الحكم الفلاني متغير لأنه فقد من الشروط] ولكننا لم نجد ما كنا نتوقمه .

وقد اشار المقال اشارة موجزة الى الاحكام المستقرة لأنه لا جديد بشأنها يقال أما الاحكام المتغيرة فقد احتفل المقال لها أيما احتفال وهي من وجهة نظر صاحبه أكثر احكام الفقه الإسلامي . وقد عرفنا أن معنى التغير عنده أن يصبح منذنا حكم إسلامي جديد يطلب إلينا العمل به وحكم آخر قديم يطلب إلينا تركه باعتباره غير صالح لتأدية السير مع قافلة الحياة وبعد مدة يصبح هذا الجديد بدوره قديما يتوقف العمل به وينضم الى سابقه ليبتلا بمرحلتين من مراحل التشريع الإسلامي وطورين من أطوار تاريخه وهكذا دواليك نظل نستقبل جديدا من الاحكام ونستدير قديما . ولكن فكرة التغير هذه تتغير في المقال ولا تثبت على حال واحدة ، استمع اليه يقول (وكتب الفقه الإسلامي بحر زاهر بهذا النوع من الاحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار وليس المتغير هينئذ تغييرا في الحكم الشرعي الأصلي وإنما هو تغيير بالنسبة لتغير الرأي الاجتهادي بعد اعادة النظر وتبين ما هو اقرب الى الحق والصواب) .

والاشارة في قوله [هذا النوع من الاحكام القابلة للترجيح وحسن الاختيار] راجعة الى ما سبق له قبل هذا الكلام مباشرة من قوله [وهي الاحكام التي اخذت من نصوص ظنية في ثبوتها عن الشارع أو ظنية في دلالتها على معانيها وكذلك الاحكام المستفادة من القياس مما تصدقت فيه آراء

المفهاء تعددا يتناول في بعض الأحوال جميع الاحتمالات المعقّلة التي يمكن القول بها والتي عدل عنها أصحابها أو لم يتابعهم فيها تلاميذهم في حالات كثيرة بعد أن تبين لهم رجحان غيرها [.

فهل الأحكام القديمة للواقعة الواحدة القابلة للتفريع وحسن الاختيار تدخل في نطاق ما أسماه القائل حكما قديما بهجر ويصبح مرحلة من مراحل الماضي وحكما جديدا يظهر ويحل محل الحكم القديم ؟ أم هذه الأحكام المتعددة التي يجد كل واحد منها وجهة نظر تؤيده وترجعه على غيره يبقى بمضمونها قائما إلى جوار بعض يأخذ منها القاضى والمفتى ما يترجح لديه ، وقد يترجح لدى شخص ما لا يترجح لدى غيره ، وقد يترجح عند الشخص الواحد في حال ما لا يترجح عنده في حال أخرى وهو في كل حال ينبغي له أن يأخذ بما يترجح له فيها كما قال سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري في رسائله المشهورة (ولا يمنعنك قضاء بالأمس فراجعت فيه نفسك فبدا لك غيره أن تأخذ بما بدا لك [. وتزداد فكرة التغير قلقا واضطرابا حين يقول : [وليس التغير حينئذ تغييرا في الحكم الأصلي وإنما هو تغيير بالنسبة لتغير الراى الاجتهادى بعد إعادة النظر وتبين ما هو أقرب إلى الحق] . وفى هذا المقام ابن هو الحكم المشرعى الأصلى الذى يطلب المحافظة عليه من التغيير ؟ أن الذى معنا نرى احتيل أكثر من رأى [مما تعددت فيه آراء المفهاء تعددا يتناول في بعض الحالات جميع الاحتمالات المعقّلة التي يمكن القول بها] .

وكما اضطربت فكرة التغير وهى بيت القصيد في المقال اضطربت الأمثلة التي أوردها تطبيقا لفكرة التغير وتفرعا عنها نذكرها واحدا اثر واحد وتبين انه لم يستقم له واحد منها يقول : أولا : [الأحكام المستفادة من نصوص ظنية في ثبوتها من الشارع أو ظنية في دلالتها على معانيها ، وكذلك الأحكام المستفادة من القياس] وتحت هذا العنوان ذكر مسألتين (١) عمر وميراث الجد (٢) عمر وشارك الأخوة الشقاء في نصيب الأخوة من الأم .

أما عن المسألة الأولى فيقول : [ومن ذلك أن بعض الروايات تذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يرى في أول الأمر أن الجد أب الأب يأخذ حكم الأب فيجب الأخوة الشقاء أو الأخوة من الأب عن الميراث في أخيهما وإن حفيد من ابنه عاصم توفى عنه وعن أخوين فاستشار على بن أبى طالب وزيد بن ثابت رضى الله عنهما — فلم يوافقاه وكان مما قاله زيد في توضيح رأيه لو أن شجرة تشعب منها فغنم ثم تشعب من ذلك الفصن خوطان ، ذلك الفصن يجمع الخوطان دون الأصل ويفودها . ألا ترى يا أمير المؤمنين أن أحد الخوطان أقرب إلى أخيه من الأصل ؟ فرجع عمر عن رأيه الأول وكان مما قاله لولا أن الراى اجتمع على هذا ما رأيت أن يكون ابنى ولا اكسون أباه ثم خطب الناس وأمضى الراى الأخير] .

وهذه المسألة لا تلتزم مع الأصل الذى سيقى معه لأن الأصل المذكور هنا هو نصوص ظنية في ثبوتها من الشارع أو ظنية في دلالتها على معانيها أو حكم يقاس عليه ، فإين من هذا قوله [أن بعض الروايات تذكر] أن هذه الروايات إذا أمر صاحب المقال على أن هذه المسألة مندرجة تحت الأصل الذى ذكرت تحته يجب أن توضح لنا النص أو القياس الذى أسند إليه الراى الأول ثم كيفية تطويع هذا النص أو ذلك القياس حتى صار راجعا في أفادة الراى الثانى وبدون هذا البيان تصبح المسألة مقبوضة الفصلة بالأصل الذى ذكرت تحته لعل الذى اغراه بفكرها في هذا المقام هو مجرد اشتغالها على رأيين رأى كان يأخذ به سيدنا عمر أولا ثم رأى أخذ به ثانيا ونحن نبين له أن ذلك لا يفيد فسى تحقيق غرضه من أن أحد الحكمين صار قديما مهجورا والاخر صار ضرورة لا معنى لنا عنه . لأن سيدنا عمر ربما لم يصر على الراى الأول خشية أن ينهم لأن الراى الأول يعطيه الحق في الميراث والاخر يمنعه منه نعم أن سيدنا عمر فوق الاتهام ولكن سيد البشر على الإطلاق صلى الله عليه وسلم قيل له (اعدل يا محمد فأنك لم تعدل) .

ولأن قول سيدنا عمر [لولا أن الراى اجتمع على هذا .. الخ] يشعر بأنه إنما عدل من رأى الأول نزولا عند رأى الأغلبية لا اقتناعا بالثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت .

ولأن المثال الذى ذكره سيدنا زيد بن ثابت لا يحقق أرجحية الراى الثانى عن الأول لأن قرب أحد الخوطان من الآخر قرب مكانى صرف وليس بأحدهما حاجة إلى الآخر بل في زوال أحدهما وقطعه

مصلحة للأخر حيث يتوفر له وحده الغذاء الذي كان يشتم عليهما أما صلة كل واحد منهما بالفصل والاصل فهي صلة قوية لأنه لا غنى لهما عن الاصل الذي يدهما بالغذاء ولا عن الفرع الذي ينتقل اليهما هذا الغذاء فصلة كل واحد من الخوطين بالأخر اذا تقيست بصلتهما بالاصل وبالفصلن ظهرت واهية ضميقة .

وعلى فرض أن سيدنا عمر اقتنع بأرجحية الرأي الثاني على الأول فإن هذا ليس يعنى الفناء الرأى الأول ومحوه من الوجود فما هي ذى كتب الفقه تذكر الرايين معا لأن عدول المجتهد عن رأيه ليس يلزم غيره من المجتهدين بالمعول منه .

وأما عن المسألة الثانية فيقول [ومنها أن سيدنا عمر كان يرى عدم توريث الأخوة الأشقاء وتوريث الأخوة من الأم دونهم فقال له الأخوة الأشقاء يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حجرا ملقى في النيم البيست أمنا واحده ؟ فإذا لم نفعنا الأب فلا ينبغي أن يضرنا وما زادنا الأب الا قريبا فقال سيدنا عمر صدقتم ثم قضى بإشراك الأخوة الأشقاء مع الأخوة لأم في الثلث باعتبارهم جميعا أخوة لأم] .

وهذه المسألة كسابقها لم يبين المقال الصلة التي تربطها بالاصل الذي وضعت تحتها فان قوله : [أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان يرى عدم توريث الأخوة الأشقاء] ينقصه بيان مستند هذا الرأى ، وإنى أقول له أن الرأى الأول ما زال هو الراجح وإن عدل عنه سيدنا عمر لأن الأخوة الأشقاء عصبية ولسان العصبية انهم نارة يربون ونارة لا يربون وحين يربون فتارة يربون أقل من أصحاب الفروع ونارة يربون أكثر منهم وهكذا فليس لهم أن يلقوا إذا حرموا وليس لهم أن يحتالوا على الميراث بنقل أنفسهم من وضع الى وضع ليضيفوا على غيرهم آرايت لو ترك الميت أخا لأم وأخا شقيقا وعمما وطالب المم بان يعتبر الأخ الشقيق أخا لأم ليشترك الأخوان في الثلث ويتركوا الثلثين للمم وعارض الأخ الشقيق وقال — أنا أرى بالعصوبة خمسة أسداس التركة ولو صرت أخا لأم ورثت السدس فقط فلا شك أننا سنفرضى رأى المم لأنه تحاليل لا مبرر له فعلى قراره يجب أن نرفض رأى الأخوة الأشقاء المحرومين من الميراث إذا طلبوا أن يعتبروا أخوة لأم لأن الأب إذا كان في بعض الأحيان سببا للميراث الكثير فإنه يكون في بعضها سببا للمحرومين منه فيجب الاعتراف به في كلتا الحالين إما أن نعترف به حين يكون سببا للميراث ولا نعترف به حين يكون سببا للمحرومين منه فإن ذلك احتيال لا يسوغ الأخذ به ومراعاة لجانب طرف من الورثة على حساب طرف آخر .

والآن فالرأى الأول أن بدأ في رأى سيدنا عمر مرجوها فهو في رأى غيره راجح وكلا الرايين فقه إسلامي معاصي ليس من حق أحد أن يحكم على أحدهما بالموت وعلى الآخر بالحياة .

ينتقل بنا المقال بعد ذلك الى موضوع آخر فيقول : —

ثانيا : الأحكام المأخوذة من نصوي تقصد الى تحقيق مصلحة دقيقة وفيها يقول [المثال الأول : اشتراط النسب القرشى في رئيس الدولة كما يؤخذ من قوله عليه الصلاة والسلام (الأمة من قريش)] .

وأرى أن نغفّر رئيس الدولة — كما يدل عليه المرف السياسي يعنى الملك أو رئيس الجمهورية وكل منهما يحكم قوما مخصوصين أما الإمام الوارد في الحديث فهو من يحكم جميع المسلمين على اختلاف قوتياتهم واجناسهم نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا غير ذلك ولا يلزم أن ما هو شرط في ذلك يكون شرطا في هذا أما أن الإمام يكون من قريش أو لا يكون وإما أن الحديث محمول على الوجه الذى حمله عليه ابن خلدون أو محمول على غيره فنلك مسائل يجب التعرض لهما حين يفكر المسلمون عن فكرة أبيهم في العودة الى رهاب الإمامة العظمى . أما الآن فالأحداث الحاضرة تشغلهم عنها والنقاش فيها مضيقه للوقت الذى تتطلبه مشاكل ملحة .

المثال الثانى :

فإنما الحرب ، وفيها يقول [ومن ذلك أيضا أخذ المحارب لما يجده من سلب قتيله استغفار من قوله عليه الصلاة والسلام « ومن قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه »] فإن منح السلب للقاتل من قبيل

التحريض على القتال في ظروف دعت: اليه وللحاكم أن يفعله والا يفعله وحسب ما يرى من مصلحة فهو ليس من قبيل الشرع العام الثابت الذي لا تجوز مخالفته [.
 وواضح من تعليق صاحب المقال على الحديث النبوي الشريف أنه ليس عليه بطعن لا من ناحية ثبوته ولا من ناحية دلالاته ومع ذلك فهو يتركه دون ما سبب فكره .
 فنراه يقول (فان منح السلب للمقاتل من قبيل التحريض على المقتال ، في ظروف دعت اليه) فهل هناك قتال بين المسلمين واعدائهم تدعو الى التحريض عليه ظروف ، وقتال لا تدعو الى التحريض عليه ظروف ؟

وتراه يقول (وللحاكم ان يفعله والا يفعله فهو ليس من قبيل الشرع العام الذي لا تجوز مخالفته) فمن أين له هذا الا انه لو قال : ان المقاتلين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يجهزون أنفسهم ، فناسب أن تقابل تضعيتهم بالنفس والمال بما هو في الوقت ذاته تشجيع على القتال من أخذ سلب القتل أما في العصور المتأخرة فالدولة تجهز المحارب ، وتعطيه اجرا ، وتعطى وورثته عطاء يعولهم لو مات . او لو قال : ان القتال سابقا كان قتال مبارزة بنائي معه معرفة القتل وقتاله . والقتال في العصور المتأخرة قتال جبايات تستعمل آلات تصيب من مسافات بعيدة ولا يتيسر مع هذا معرفة الاصابة المقاتلة ولا من سددها . لو أنه قال شيئا كهذا لكان بالتحقيق العلمى اشبه ، اما رفض الحديث دون ما سبب يذكر ، فهو ما لا نوافقه عليه .

ومع كل ذلك فاني أقول لصاحب المقال : ان المثال لم يحقق الغرض الذي من أجله سبق ، وهو إلغاء حكم واستحداث حكم لأن صاحب المقال نفسه يقول (وللحاكم ان يفعله والا يفعله) اي للحاكم ان يعطي سلب القتل لقاتله ، وهذا يعني ان الحكم قائم لم يلغ ، غاية الأمر انه رخص في تركه أحيانا .

المثال الثالث :

قوله : [تلك الأرض الميتة بمجرد أحيائها المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام (من أحيى أرضا ميتة فهي له)] ويقف من هذا الحديث النبوي الشريف نفس موقفه من الحديث السابق الخاص بحيازة المقاتل سلب قتيله ، فهو يرفضه من غير ما سبب يفكره سوى قوله : ان أبا حنيفة اشترط اذن الحاكم المبنى على المصلحة . ويكفي ردا على هذا الموقف أنه يذكر هذا الحكم مثلا للحكم الذي تعطل العمل به وأصبح يمثل مرحلة من مراحل تاريخ التشريع القديم ، ثم هو في الوقت ذاته يجيز للحاكم ان يعمل به .

ولقد خطرت لي فكرة بخصوص (١) تلك الأرض الميتة بأحيائها وبخصوص (٢) أخذ المقاتل سلب قتيله . نلتم هي :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم بأكثر من مهمة ، وكان يبشّر أكثر من وظيفة : فهو صلى الله عليه وسلم حين يبلغ عن ربه يكون قائما بمهمة الرسول وحين ينظم ثلوث الرعية يكون قائما بمهمة الحاكم ، وحين يجلس للفصل في خصومات المتنازعين ، يكون قائما بمهمة القاضي ، وهكذا .

فلعله صلى الله عليه وسلم حين قال (من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه) كان يبشّر مهمة الرسول ومهمة قائد الجيش معا ، بمعنى أن يكون الله قد أوحى اليه الحكم الشرعي الخاص بهذه الموضوع وهذه الصورة (لقائد جيش المسلمين أن يأذن للمقاتلين بالاستيلاء على سلب قتلاهم) فاستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقّه حيث رأى المصلحة في استعماله فقال لأصحابه (من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله سلبه) وهذا ليس يعني أن على كل حاكم غيره صلى الله عليه وسلم أن يأذن . بل له أن يأذن ، وله ألا يأذن ، كما أنه صلى الله عليه وسلم له في مقام آخر ألا يأذن .
 كذلك يكون قوله صلى الله عليه وسلم (من أحيى أرضا ميتة فهي له) من قبيل مباثرتة صلى

الله عليه وسلم لهمة الرسول والحاكم معا ، بمعنى أن الله اوهى اليه الحكم على هذه الصورة (للحاكم الحق في أن يملك الأرض الميتة إن يحييها) وكانت المصلحة في عهده صلى الله عليه وسلم تستدعي هذا التملك فقال صلى الله عليه وسلم (من أحيا أرضا ميتة فهي له) استعملا لحقه كحاكم - ولغيره صلى الله عليه وسلم من الحكام أن يستعملوا الحق الذي خوله الله لهم منعاً وأعطاه حسبما تقتضى المصلحة .

وخالصة هذا الرأي أن اذن الحاكم لا بد منه ، لأنه معتبر في أصل التشريع ، وقد جاء قوله صلى الله عليه وسلم (من قتل قتيلاً له عليه بيعة فله بسله) وقوله صلى الله عليه وسلم (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) اذن منه صلى الله عليه وسلم إن خاطبهم بهذا القول وهدم ويحتاج غيرهم اذن آخر من حكامهم . ولعل هذا القهم هو ما لاحظته أبو حنيفة حين اشترط اذن الحاكم ، لكن رأى أبي حنيفة لم ينقل اليها على هذه الصورة التي أوضحناها بل نقلوه كأنها هو استدراك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن فهم الحديثين على هذا الوجه لا يخدم قضية صاحب المقال ، لأنه زعم أنه كان هناك حكم عام من رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمليك القاتل سلب قتيليه وتمليك الأرض الميتة إن يحييها ، فجاء الناس بعده من أمثال أبي حنيفة وعطلوا هذا الحكم العام ، وأحدثوا حكماً آخر خاصاً ، هو التملك باذن من الحاكم ليتوفر له وجود حكيم :

حكم قديم قد أضحى ، وهم جديد حل محله كما هي قضية تغيير الأحكام الشرعية التي يدعسوها إليها .

نعم أن هذا التفريغ لا يخدم قضيته ! لأن مفاده أنه ليس عندنا إلا حكم واحد منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التملك باذن من الإمام ، ولم يكن لأبي حنيفة سوى أنه فهم الحكم الذي جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أتى بجديد من عنده عطل به ما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

المثال الرابع :

التسعير الجبري وفيه يقول :

ومن ذلك منع التسعير الجبري فإنه مأخوذ من أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : سهره لنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : بل ادعوا الله ، ثم جاء رجلاً آخر وقال مقالة الأول فقال الرسول عليه الصلاة والسلام [« بل الله يرفع ويخفض وإني لأرجو أن ألقى الله عز وجل وليس لأحد عندي مظلمة »] ويبدو من وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم عند دعاء الله سبحانه وتعالى وتواضعه في رفع الأسعار وخفضها وإمناحه عن التسعير أن الغلاء المشكو منه كان غلاء ناتجاً عن ظروف اقتصادية طبيعية لا استغلال فيها ولا احتكار ، ولم يكن غلاء مصطنعاً ، ولهذا امتنع عن التسعير في وقته . ثم ذهب سعيد بن المسيب وربيعة بن عبد الرحمن ويحيى بن سعيد الأنصاري من أئمة فقهاء التابعين إلى جوازهم بعد تغير الظروف الأولى ووجود غلاء مصطنع [.

والذي يفهم من هذا الكلام أن هناك غلاء طبيعياً وهذا لا يقتضى التسعير ، وغلاء مصطنعاً وهذا يقتضى التسعير ، فحينما وجد الغلاء المصطنع وجد التسعير ، حتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينما وجد الغلاء غير المصطنع لم يوجد التسعير حتى في عهد سعيد بن المسيب ، وربيعة بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، فأين من هذا دعوى تغيير الأحكام الشرعية بحيث نأمرى التراب حكماً ، ونستحدث حكماً غيره ؟

المثال الخامس :

النقاط الإبل المصالة ، وفيه يقول : [ومن ذلك منع إمساك الإبل المصالة المأخوذ من قوله عليه

الصلاة والسلام ؟ حينما جاء رجل يسأله عن ذلك « مالك ولها ؟ معها سقايها وهذاها ، ترد الماء وتاكل الشجر حتى يلقاها ربا » وقد استمر تطبيق هذا الحكم مدة الخليفتين أبي بكر وعمر ، ثم جاء الخليفة عثمان غامر بالقطاها بعد أن خيف عليها وأمر بحصر أوصافها وبيعها ، حتى إذا جاء صاحبها أعطى ثمنها . ثم رأى الإمام على فيها بعد أن بنى دار تحفظ فيها هذه الإبل ، إذ رأى أن يبيعها وأعطاه صاحبها ثمنها ، قد لا يفنى غناها] .

والذي أقمه من هذه الوقائع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع أفراد الشعب من أن تتعرض للإبل الضالة ، واختص نفسه بهذا الحق باعتباره حاكما للمسلمين يستعمله إذا دعت إليه الحاجة فلها جاء عهد عثمان وعلى ، استعمالا هذا الحق المخول لهما باعتبارهما خليفين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ وجدوا الداعية تدعو إلى استعماله .

وخلاصة هذا الرأي أن أفراد الشعب ممنوعون من اللقاط الإبل الضالة والحاكم مخول بهذا الحق . فإين من هذا ما ذهب إليه صاحب المقال من أن هناك حكما ألفى ، وهكنا استحدث حل محل الملقى ؟

وفى الوسع تخريج هذه الوقائع على رأى آخر هو أن منع الرسول صلى الله عليه وسلم إمساك الإبل الضالة مقيد بالآمن عليها ، وإن إمساكها مقيد بالخوف عليها . فحينما توفر الأمن أطلقت وهينما خيف عليها أمسكت . وعلى هذا الفهم أيضا ليس هناك حكم ملغى وحكم مستحدث . وينتقل بنا المقال إلى موضوع آخر فيقول :

ثالثا : الأحكام الجنية على المصلحة وفيها يقول [كما يدخل فى الأحكام التخيرية أيضا تلك الأحكام التى لم يرد عن الشارع فيها نص بذاتها ولا غيبا يماثلها ، أو كان نص الشارع فيها مجعلا غير مفصل ، قد فوض أمر تفصيله إلى أهل الذكر] وهذه الأحكام قد قال فيها السابقون ما قالوا ويقول فيها السامعون ما يقولون ، وتقوم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء مما إلى جانب بعضها فقها إسلاميا للقاضى والمفتى أن يأخذ منها ما يراه مناسبيا للأحداث المروضة عليه ، وقد اختار منها فى موقف لاحق غير ما اختاره فى موقف سابق ، فليس فيها إذن ما يجب أن نحكم بموته ، وما يجب أن نحكم له بالحياة وهذه .

وينتقل بنا المقال إلى موضوع آخر فيقول : —

رابعا : الأحكام الجنية على العرف ، وفيها يقول (ومن ذلك ما أفتى به بعض الفقهاء من حل أخذ الأجر على تعليم القرآن وعلى الإذعان والإمامة فى الصلاة ، بعد أن تغيرت الظروف وأصبحت هذه الاموال فى حاجة إلى من ينفق لها ويلتزم بها . بينما كان المتقدمون يرون عدم جواز الأجر لوجود من يقوم بها من غير أجر طاعة وعبادة] .

وهذا لا يفيد أن هناك أحكاما اندثرت ، وأحكاما قايت مقابلها . بل أحكام الاولين وأحكام الآخرين كلها قائمة ، فلو وجد الآن من يقوم بهذه الاعمال حسبة لله ، لما دفعنا عليها أجرا ، ولو لم يوجد فى الماضى من يقوم بها حسبة ، لدفعنا عليها أجرا .

فالأحكام كلها قائمة يطبق كل منها على الحال التى تقتضيه فليس بينها ما هو ميت وما هو حى ، مثلها فى ذلك مثل الحكم بالخصاص والحكم بدفع الدية ، لم يبلغ واحد منهما الإضر ، ولكن هذا له حال يطبق فيها ، وذلك له حال يطبق فيها .

كذلك الحكم بان المروءة شرط فى شهادة الشاهد ، باق لم يتغير ولكن العلامات التى تدل على المروءة التى تغيرت ، فمثلا كان أهل المروءة يلتزمون ما يدل على وقارهم وحيشيتهم بما يفعله نظراؤهم ، وكان غيرهم لا يلتزمون ذلك ، فلبسة الرأس لما كانت علامة أهل الوقار والخصمة ، وعربيا كان علامة على غير ذلك ، امتنع القضاة عن قبول شهادة من رضوا لأنفسهم أن ينسلفوا عن عبادة أهل الوقار والخصمة . فلما تغير العرف وأصبح بعض عليه القوم يكتشفون رؤوسهم لم يصبح عرى الرأس علامة على النجدة من المروءة .

كذلك لو حلف رجل لا ياكل اللحم . وكان قومه يعتبرون السمك لحما . فأنه يجنث لو أكل السمك . ولو حلف رجل غيره لا ياكل اللحم ، وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما ، فأنه لا يجنث لو

اكل السمك . فاختلاف الحكم هنا ليس بسببه الاختلاف العرف ، وإنما سبب اختلاف الحكم ان السمك كان مخلوقا على عدم اكله فى المال الاول ، وكان غير مخلوف على عدم اكله فى المال الثانى . وهذا المبنى هو الذى عناه شهاب الدين العراقى بقوله (اياك أن تقول : أننا لا نفهم منه الا المطلق الثلاث لأن مالكا رحمه الله قد قاله ، أو لأنه مسطور فى كتب الفقه ، لأن ذلك غلط بل لا بد أن يكون ذلك منهم حاصل لك من جهة الاستعمال) ويقول (يجب علينا أن نعتقد أن مالكا أو غيره من العلماء إنما اتفقوا فى هذه الألفاظ بهذه الأحكام لأن زعمائهم كان فيه عوائد اقتضت نقل هذه الألفاظ للمعاني التى افترقوا بها) .

فإن هذا الكلام يعنى أنه لو قال مالك : من حلف لا يأكل اللحم فأكمل السمك حنث ، فيجب أن يفهم من ذلك أن العرف فى عهد مالك كان يعتبر السمك لحما ، ويجب أن لا نأخذ قول مالك قضية عامة فنقول رأى مالك أن من حلف لا يأكل اللحم فأكمل السمك حنث ، ونطبق هذا الم رأى على من حلف لا يأكل اللحم وكان قومه لا يعتبرون السمك لحما .

هذا ما حذر منه العلامة شهاب الدين العراقى إلا أن الأديان ما جاءت — منذ جاءت — إلا لتقود الإمرافق والأعادات وتوجهها الوجهة الصالحة ، لا لتفقد لها وهما هوذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخط خطا ثم يخط عن يمينه خطوطا وعن يساره خطوطا ، ثم يشير إلى الخط الأول فيقول : هذا طريق الله ، ثم يقول عن الخطوط الأخرى أن على رأس كل واحد منها شيطان يدعو إليه ثم يقرأ قوله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فتعاليم الإسلام هى العرف الذى يجب أن نسير عليه ، وما عداها من الإمرافق والتقاليد إنما هى سبل الشيطان .

وينقل بنا المقال إلى موضوع آخر فيقول :

خامسا : أحكام الضرورة والحاجة ، ونها يقول [ومن ذلك جواز النطق بكلمة الكفر مع الاطمئنان القلبي فى حالة الإكراه وتناول الطعام والشراب المحرم دفعا للهلاك ، وجواز الانصراف فى رمضان للمسافر] .

والذا كان الشرع الشريف قد أباح للمسافر أن يبطر فى رمضان ، وأوجب على المقيم الصحيح أن يصوم .

وإذا كان قد أباح للمفسر أن ياكل الميتة ، وحرم ذلك على غيره . وإذا كان قد أباح للمكره أن ينطق بكلمة الكفر نفية وحرم ذلك على غيره فهل هذه الأحكام متواردة على موضوع واحد الذى فربق بينها فربقا ؟ أم هى أحكام متواردة على موضوعات مختلفة لا يسد حكم بلها بسد غيره . ولا يسد للجماعة منها ، جميعا ، إذ لا تخلو الجماعة عن مضطر ومسافر ومكره ، ومفتار ومقيم وواجد .

فأين من هذه الأحكام ما أسماء نفسيرا يقضى بالفاء بعض الأحكام وإيداعها باطن الأرض لا تخرج منه أبدا ، واستحداث أحكام أخرى تحمل محلها ؟

التعليق :

١ — فى عصرنا الحاضر أصدرت بعض الدول لتشريعات غيرت بعض أحكام الوارث ، فسوت بين الذكر والأنثى ، وهرمت تعدد الزوجات والطلاق — فى الأحوال المشروعة ، وعاقبت عليها ، ونحو ذلك من التشريعات التى تصادم الإسلام بمصادمة صريحة ، فى نصوص شرعية قطعية فى ثبوتها عن السارح الحكيم وقطعية فى دلالتها على معانيها . ثم هى فى الوقت نفسه تحكم علاقات ثابتة وغير متطورة ، ولا يمكن مطلقا أن يقوم ما يدعو إلى تغييرها .

٢ — وقد استغلت فى ذلك القاعدة الفقهية الذهبية ، وهى تغير الأحكام بتغير الأزمان ، كتبرير وسند لهذه التشريعات ، تلك القاعدة المشهورة التى أشتبكت عليها كتب القواعد الفقهية ، والتتى نصت عليها مجلة الأحكام العدلية التى أصدرتها الدولة العثمانية أخذاً من المذهب الحنفى فى مآدنها التاسعة والثلاثين والتى لا يزال معمول بها فى بعض البلاد الإسلامية ، وقد كتبت فيها فصول فى كتب الفقه والأصول قديما وحديثا ، وكانت موضوعا دارت وتدور حوله مؤلفات ورسائل ملجية

فى الجامع الأزهر الشريف وغيره من الجامعات الإسلامية فى الملقى والحاضر ، تبين حدود القاعدة وحكمتها وأحكامها وأساليبها وأمنيتها وساحتها .

٢ - ودار بينى وبين بعض رجال النشريع نقاش حول هذه التشريعات المصادمة للإسلام ، فاستشهد ليلىمنى ببعض الأحكام الإسلامية التى غيرتها تشريعات معاصرة فى بلاد إسلامية أخرى ، فى قوانين الأحوال الشخصية والمواريت والوقف والوصية وغيرها ، نحو أحكام ميراث الإخوة مع الجد ، وميراث الإخوة الأشقاء مع الإخوة من الأم ، وأيقاع الطلاق الثلاث واحدا ، وعدم أيقاع الطلاق الملقى فى بعض الحالات وأحكام المفقود ونحو ذلك .

وانتقل الحديث الى بعض الأحكام المثائرة فى كتب الفقه الإسلامى وفى بعض فصوله ، وشرىها أمثلة لمدم المصاحبة للتطبيق الآن ، فبيئت له أن هذه الأحكام لا تستند فقهيا إلا الى مصالح أو أعراف تغيرت كما أشار الى تطور الحياة المعاصرة ومقدار ما بلغت من أساليب متقدمة فى النظم الدستورية والإدارية والمالية ونحوها ، وأثار قاعدة الضرورات التى طرات ونظرا أحيانا ، وأنهى حديثه بما كان من احدى الدول التى تركت تطبيق الفقه الإسلامى جملة وتفصيلا .

٣ - وقد دعانى ذلك ، قياما بواجب دينى وعلمى ، وقد شرفنى الله سبحانه فجعل الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامى دينى ودنياى - الى أن أكتب بحشى المنشور فى مجلة العربى ، موضحا به الفرق الواسع بين هذه التشريعات الأخيرة التى تنحل فى إطار الإسلام ، ولا تقات على نصوصه ويتسع لها تعدد الآراء بين فقهاءه ، وتلك الأخرى التى تخرج عن ساحتها الرعية ، وتفتات على نصوصه ، وتصادم أسسه وأهدافه . ولهذا هرست فى تمحلى على بعض هذه الأمثلة التى أيسرت والى يبين منها الفرق واضحا بين هذه التشريعات وتلك .

٥ - وكان لا بد لى من أن أجمل القول واضحا فيما يمكن أن يرمى أو يعد تغييرا فى الأحكام الإسلامية التطبيقية التى عمل أو يعمل بها ، تلك الأحكام الثابتة بأدلة ظنية ، ومن البهديات عند أهل العلم أنها أكثر أحكام الفقه الإسلامى سواء أكان هذا التغير راجعا الى تغير الإجهاد والترجيح وحسن الاختيار من آراء الأئمة السابقين ، وهذا هو النوع الأول ، أو كان سبب التغيير ما عرف أخيرا عند بعض العلماء باسم (السياسة الشرعية) فى أحكام تستند الى نصوص قصدت الى تحقيق مصلحة وقتية بتغيرة ، وهذا هو النوع الثانى . أو أحكام تستند الى المصلحة ، والمصلحة وهذا ، وهذا هو النوع الثالث ، أو أحكام تستند الى العرف المصحيح وحده ، وهذا هو النوع الرابع . والسياسة الشرعية مادة تدرس فى الجامع الأزهر وبعض الجامعات ، وهناك ديلوم (للسياسة الشرعية) فى كلية الشريعة بجامعة الأزهر تدرس فيه أصول هذه الأحكام المتغيرة ، كما اشتملت خطة الدراسة بكلية الحقوق والشريعة بجامعة الكويت على هذا الديلوم .

يقول الأستاذ الأكبر الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الأسبق : « أن بعض من لم ينتفقوا الثقافة الإسلامية الصحيحة يصرحون فى غير مبالاة أن المسلمين مضطرون أن يلجأوا الى أحكام سياسية غير شرعية بجانب معلم بأحكام الفقه الشرعى الذى وصل اليه الفقهاء فى العصور الأولى من الإسلام وذلك أنه كلما اتسع العمران وارتقت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة ، تجددت حوادث ونبتت مشاكل ، وعرضت شئون لم يكن للناس عهد بها من قبل فكان لازما أن يواجهوا ذلك بما يناسبه من أحكام سياسية غير شرعية ، هكذا يقولون .. وأنى أثبت أن السياسة الشرعية فيها الغنية والكفاية ، وأنها من دين الله وشريعته ، وأن السياسة والفقه صنوفان من فصل واحد وأن الإسلام - بفقهه وسياسته - كفيل بتحقيق مصالح الناس فى كل حال وزمان .. فبهذا تطورت العلوم والصناعات ، وتشعبت مذاهب الحياة .. فان المسلمين لا يعوزهم أن يجدوا فى دينهم وشريعتهم لكل حادثة حكما ينطق به فى دليل من الكتاب أو السنة ، أو ينفذون اليه من طريق التامل فى روح الشريعة ، وتدبر ما تقضى به أغراضها وأسرارها ، أو يهتدون بأصول الإسلام العامة

وقواعده الكلية المحكبة .. وبذلك كان المسلمون في أول أمرهم ، ويكونون حين يستقيمون على جادة دينهم ولشريعهم في غنى أن يلجأوا الى سياسات أخرى وضعية ، أو يستعبروا قانونا من القوانين الأجنبية (١) » .

٦ - ثم ألحقت بذلك الأحكام التي غيرها التشريع أو اثن في تغييرها عند تحقق الضرورة والحاجة فحقيقا حكما بين حال السمة وحال الضرورة ، بين الظروف المادية والظروف الاجتماعية ، وهذا هو النوع الخامس .

٧ - وبينت في الهامش بعض مراجعي العملية الأمنية المشهورة من تراثنا الفقهي العظيم الخالد ، وأهبت بالدول الإسلامية وعلماؤها أن ينهضوا بهذا الفقه نهضة كبرى تجعله قانون المسلمين في جميع العلاقات الخاصة والعامة وبينت أن الجهود الفردية عاجزة وهذا من أن تحقق ما يرجى للفقه من خير وازدهار .

وكان مما قلته : « من الواضح أن تغير الأحكام بتغير الزمان لا يعنى التكرار لتراثنا الفقهي العظيم ، الذي حوى من الأصول والنظريات والقواعد والأحكام ، مع حسن التفاصيل والتحليل والتعليل مما يجعله ثروة كبرى ، نستثمرها ونلمحها ونكملها باجتهادات جديدة لما جد في حياتنا من عادات ومعاملات وتطورات في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وبدون الجهود الإيجابية المؤمنة المتصونة التي ترعاها الحكومات والشعوب الإسلامية ، وتدمجها ماديا وأدبيا وقانونيا ، بدون هذا سندور في حلقة مفرغة وستظل أحكامنا أنوابا مرقمة ، نسم أنسجنتها قطعا وشويطا قديمة ، وأخرى جديدة ، وثالثة أجنبية غريبة ، دون ترابط ولا انسجام بل أن هذه الجهود ستقع أمام طوفان التغيرات الشرقية والغربية ، مع أن فقهنا الإسلامي شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية ، يفهمها نوران نور على نور - نور الشرع ، ونور العقل ، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٢) .

٨ - وحرصت كما قلت في نهاية بهتى - على أن أكتبه بأسلوب يوضح المصطلحات الفنية التي لا يعرفها إلا المتخصصون وهم قلة ، حتى يسهل فهمه لأي مثقف ثقافة عامة ، فيكون نصيرا للفقه الإسلامي ، وحتى يستغنى به المسلمون عن أي قانون أجنبي لا يرتبط بمصادرها الطاهرة .

٩ - وعنديا تكريت رئاسة تحرير مجلة « الوعي الإسلامي » الفقراء طلبة رأيي فيما ذكرته صاحب التعليق وهو زميل يعرفني وأعرفه استاذًا للفلسفة والعقيدة في جامعة الأزهر ، رجوتها التفصيل بنشر مقال أو ملخصه الواضح أن نشرت رده ، حتى يجتمع للقارئ الوعي عناصر الحكم كالمسلة وحتى يبين هدى ، ويقارن بينه وبين ما نقله صاحب التعليق منه ، وتوليياته وتعليقاته عليه التي تفيد الدعوة إلى أيداع الفقه باطن الأرض لا يفرج منه أبدا .. وهنى ينظر القارئ إلى ما صدر به الكاتب كالمه وتقبل أن يدخل في الموضوع من قولي « أن الأحكام الجديدة التي تقول بها الأمة الإسلامية - ممثلة في اصحاب الاختصاص تكون هي الفقه الإسلامي المعاصر ، أما الأحكام السابقة فانها تمثل مرحلة من مراحلها ، وجزءا من تاريخه » دون أن يربطها بسابقتها ولاحقها وهي العبارة التي جاءت عند النوع الثالث ، مثل تفصيلات أنظمة الدولة الدستورية ، والإدارية والمالية والقضائية وأحكام التعزيرات .

١٠ - ولم أشأ أن أدخل في جدل اكفاء بهذا التعقيب والتوضيح للقارئ ، فالعرف الصحيع مصدر من مصادر الفقه الإسلامي يرجع إليه الفقه والقاضي والمفتي ، وليست كل الإعراف والتقاليد سبيل الشيطان كما قيل ، وراى سيدنا عمر رضى الله عنه في المسئلة الميراثية الخاصة بالأخوة

(١) السياسة الشرعية والفقه الإسلامي ص ٣ - ٥ .

(٢) مجلة العربي مايو ١٩٧٠ .

الاشقاء والأخوة لا يسمي احتيالا كما قيل ، وليست تفسيرات الأئمة لبعض الأحاديث رفضا لها كما قرر الكتائب ، ومن العجيب انه يوافقني في التفريق بين ما صدر عن الرسول — صلى الله عليه وسلم بوصفه رسولا وما صدر عنه بوصفه حاكما ، ومع ذلك يخالفني ثم يغتر أن هذا التفريق فكرة جديدة خضرت لي مع أن هذا مقرر قديما في كتب الأصول والفقه .

١١ — فإذا لم يتيسر للمجلة نشر مقالتي ولا ملخصه ، فأرجو القارئ المخلص أن يطلع على المقالين المنشورين بمجلة العربي في شهري فبراير ومايو ١٩٧٠ ، وعلى ما نشرته لي بمجلة الوحي الإسلامي في أعدادها ٤٠ و ٤١ و ٤٢ ، ربيع الثاني ، وجمادى الثانية ، وشعبان ١٣٨٨ هـ عن الفقه الإسلامي في ماضيه وحاضره ومستقبله .

١٢ — وسيرى القارئ القارئ أن كاتب المقالة — مع حرصه الشديد البالغ على مخالفتي في كل ما ذكرته من أمثلة كما قرر في مقالته لم ينقض كلمة واحدة مما قلته بل على العكس جرى عليه ، يؤيد جميع ما ذكرته من أمثلة فيما عدا مثال اشتراط القرشية في رئيس الدولة الإسلامية الأعلى (الإمام) فقد تركه حتى (يفكر المسلمون عن فكرة أبيهم في العودة إلى رحاب الإمامه العظمى) وهينذا يفكر في أمر اشتراطها أو عدمه فإن رأى أن هذا الشرط أبدي يبحث المسلمون عن فكرة أبيهم عن هذا القرشي ، مع أن هذا المثال قد ينتظر منه القارئ رأيا فيه ، لأنه دون غيره يتصل بدراسات صاحب المقالة دارسا ومدرسا ، فإن موضوع الإمامة والخلافة الحق ببحوث المعقيدة لأسباب تاريخية .

ومن حسن الحظ أن عندي نسبا قرشيا مكتوبا ومتوارثا ، مع إيماني بأن أكرمنا عند الله اتقاننا وإننا سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .

ثم أنه لا يجب كلمة التفسير في الأحكام الإسلامية الاجتهادية مع أنها ليست من عندي ، بل هي تمبير جرى على السنة العلماء قديما وحديثا ، مفرقين تفريقا وأعيا بين الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي ، تفريقا يعرفه علماء اللغة العربية ، بين كلمة (الشريعة) وكلمة (الفقه) ويعرفه علماء الإسلام ، أخذاً من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ...) وقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ...) فالشريعة سبوعية أضيفت إلى الله العظيم الحكيم ، والفقه فهم لها من العلماء الفقهاء .

يقول الأستاذ الشيخ محمد علي السائيس عميد كلية أصول الدين وعميد كلية الشريعة الأسبق وعضو جماعة كبار علماء الأزهر ، ثم مجمع بعوثه ، في بحث نشرته الأمانة العامة للمجمع سنة ١٩٦٧ ص ٣ (من الناس من يغلط ويخلط بين الشريعة والفقه ويظن خطأ أن ما ينقل عن الأئمة المجتهدين من اجتهادات هو نفس الشريعة ، ويتبع هذا الخلط أنهم طعنوها مرة بالجمود ، وأخرى بالنقص ، والشريعة بحمد الله لا جمود فيها ولا نقائص ، وذلك لأن التشريع الإسلامي تشريع سبوعي سنه للناس رب العالمين) .

ويقول ص ١٨ (ترى كثيراً من الفقهاء يعملون عن فتاوى وأحكام كانت لهم في بعض المساطن ليفتوا على خالفها ، فتلجأ المشافعي كثير من المسائل مذهب قديم ومذهب جديد ، فإن تغير الرأي وعدول الفقيه عن اجتهاده ليس سببه في جميع الأحوال رجوعاً إلى تبين وجه الصواب بعد الخطأ .. ولكنه كثيراً ما يكون سببه ثقل الاجتهاد في الاقطار ووقوفه على فتاوى المرف والمعادة عند الاسم المختلفة) .

ويقول ص ٢٤ (والأحكام الاجتهادية التي نقلت عن الأئمة وأتباعهم قابلة للتغيير والتعديل كلما جدت الحاجة إلى ذلك ، واقتضت المصلحة العامة التي لم تصادم نصاً شرعياً وأن الأحكام الجنبية على المصالح لم توضع لتكون أغلالاً ترسف في قيودها إلى يوم الدين ، بل أن الوقوف عندها لا يتفق وروح الإسلام ومخالف لطريقة السلف الميامين .

١٣ - وأرجو القارئ بعد ذلك أن يسأل من يخاف من التغيير عالم يخاف ؟ أن كان على الأحكام الإسلامية المقتضية الموجودة في الكتب غليظتنا تاما ، لأنه بعيد عن أن يناله تغيير أو تعديل لأنه مطبوع ومنشور وراث موروث ، وقد دعوت الى زيادة العناية بنشره واخراجه وجميعه ونهروسته ، واشتركت في ذلك بجهدى التواضع وان كان على الفقه الاسلامى المطبق قانونا فالحمد لله ولا يجهد على مكروه سواء - قد تقلص ظله ، وانحسر مده في أكثر البلاد الإسلامية الى احكام الاسرة فقط دون غيرها من فروع القوانين الاخرى وهى الكثرة الكثيرة لأسباب يرجع بعضها الى جهل أعدائه ، والناس أعداء ما جهلوا وبعضها الى من اتحموا أنفسهم قديما في ميدانه من غير علم ولا هدى ولا كتاب مشير .

١٤ - وحسبى مما كتبت اننى قصدت ربط المسلمين بأحكام الاسلام حياة وقضاء ، ظاهرا وباطنا في كل صغيرة وكبيرة ولو كانت أحكام تعيينات الموظفين وترقياتهم وتاديبهم أو كانت أحكام قواعد المرور وحمل البطاقات الشخصية ، وهو امر يحقق اصلاحا كبيرا في المجتمع الاسلامى ، حين يعرف المسلمون أن هذه الأحكام أحكام الاسلام ، يتولى الحكم الحساب عليها في الدنيا ، ثم يتولى الله سبحانه الثواب والعقاب عليها في الآخرة .

أعان الله الفقهاء على حمل أمانة الفقه الاسلامى التى ننوء بالعصبة أولى القوة ، حتى يرتبط المسلمون به ، ويستغنوا عن القوانين الأجنبية التى لا تأخذ عن مصادره الظاهرة ولا تلزم بأحكامها . وادعوا الله للقارئ ولأخى بالمعاصرة في الدين والدنيا .

اقرأ في العدد القادم

- الدولة والدين في إسرائيل
- عامل الوقت مع العرب على إسرائيل
- الحقوق المزعومة لليهود في فلسطين
- التنادي بالجهاد المقدس
- تجار الحروب • الاسراء والمعراج • اجنادين
- ابن باديس • العقيدة الإسلامية



هنا البيت الذي سَاموت فيه ..
وهنا مونسى كى پابندى ..

اِقْبَالَكَ اِنَّا

للسّاعره: اَنُور العطار

شاعر
الاسلام



هنا البيت الذي ساعيش فيه ..
 بھان چہنے کی پابندی ..

يَأْتِسِجَ الشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ
 جِي وَفِي زَحْمَةِ الْخُطُوبِ الْكِبَارِ
 قَدْ وَيَا طَيْفَهُ الْحَبِيبِ السَّارِ
 مِلَّ عِبْءِ الْمُؤَمِّمِ وَالْأَكْدَارِ
 وَفِي الْقَلْبِ أَيْ حُزْنٍ وَآدِ
 لِسَوَاهَا فِي غَبْطَةٍ وَأَفْرِارِ

إِلَيْهِ إِقْبَالَ يَارِفِيفَ الدَّرَارِ
 يَأْمَنَارَ الْإِسْلَامِ فِي كَيْلِهِ الدَّارِ
 يَارُؤَى الشَّرْقِ مَا أَطْلَتْ رُؤَى الشَّرِّ
 يَأْصَدَى الْأَنْفُسِ الْآلِيفَةِ يَا
 تَنْقُلُ الْبُرَّةَ لِلْأَلَى نَشْدُوا الْبُرَّ
 هَكَذَا الْأَنْفُسُ الْكَبِيرَةُ تَحِيَا

فَإِذَا رُمْتَ أَنْ تَكُونَ سَعِيداً فَتَقْهَدْ مَصَائِبَ الْأَحْزَارِ
بَسَمَاتِ الْحَنَاتِ أَفْعَلُ فِي الْأَنْفُسِ مِنْ طَلِّ نَائِلٍ يَمْدَرُ
تَمَحِّيَ الْكَثَائِتِ وَالْفَضْلُ يَبْقَى وَهُوَ إِرْثُ الْأَعْصَارِ لِلْأَعْصَارِ



كَانَ مِلءُ الْقُلُوبِ مِلءُ الْأَمَانِي مِلءُ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ أَوْطَارِ
صَاغَ مَا لَمْ يَصْغُهُ حُلْمٌ جَمِيلُ فَاتَنُ الْوَشْيِ عَبَقَرُ الْإِطَارِ
وَسَدَا لِلْجَمَالِ وَالْوَتَرِ الْمَطْرَابِ وَالزَّهْرِ وَالْغَدِيرِ الْجَارِي
طَافَتِ الْأَرْضُ فِي رُؤَاهُ تَصَاوِيرَ نَدَايَا بَجْدَةٍ وَابْتِكَارِ
قِيلَ لِي صِفْهُ قُلْتُ دُنْيَا مِنَ الْفَنَنِ وَكَوْنُ مِنْ حِكْمَةٍ وَاعْتِبَارِ
صَاغَهُ اللَّهُ مِنْ حَنَانٍ وَرَفَقٍ وَذُمُوعٍ وَصَبُوعٍ وَادِّكَارِ
يُشْرِقُ الْبَشَرُ مِنْ نُحْيَاهُ نَضْرًا وَمِنْ الْبَشَرِ أَنْفُسُ الْأَبْرَارِ
صَوَّرَ الطَّبِيعَ مِثْلَمَا خُلِقَ الطَّبِيعُ وَغَنَى كَمَا تُغْنِي الْقَمَارِي
وَبَرَفَ الْمَغْنَى النَّبِيلُ عَلَى اللَّفْظِ رَفِيفَ النَّدَى عَلَى الشَّوَارِ
يَالَهُ شَاعِرًا تَمَرَّسَ بِالسَّخَرِ وَأَعْظَمَ بِالشَّاعِرِ السَّحَارِ



إِلَيْهِ إِقْبَالَ يَأْتِشِيدَ الْأَنَاشِيدِ وَنَجْوَى ذَاوَدَ لِلْمِزْمَارِ
يَأْخُذَاهُ الرُّعَاةُ فِي شَعَبِ الشَّرِّ قَدْ وَيَاسِرُ أَرْضِهِ الْمِبْكَارِ
يَا صَلَاةَ الْغَابَاتِ فِي خَشَعَةِ اللَّيْلِ وَتَجْوَى الْأَرْوَاحِ فِي الْأَسْحَارِ
لَكَ كَحْنُ جَمِّ الْمَتَاعِ فِيهِ رَاحَةُ النَّفْسِ وَالْقُلُوبِ الْحِرَارِ
لَا يَغْنَى سِوَى الْجَمَالِ وَلَا يَغْرِفُ غَيْرَ الْحَقِّ الْجَلِيلِ الْعَارِ
هُوَ فَيْضُ الْعُقُولِ وَالْفِطْرَةِ السَّمْحَةِ وَابْنُ الطَّبِيعَةِ الْمُنْشَارِ
لَمْ يَزَلْ يَنْشُدُ الْوُضُوحَ وَيَبْغِي الشُّعْرَ خُلُوعاً مِنْ زُخْرَفِ مُسْتَعَارِ
أَيَّ مَعْنَى سَكَبَتْ فِي أُذُنِ الدَّهْرِ فَظَلَّتْ تَعِجُ كَالزَّخَارِ

وَتُثِيرُ الدَّفِينِ فِي مَهَجِ الْغَيْثِ وَتَرْمِي السَّيَّارَ بِالسَّيَّارِ
إِنَّهُ الْفِكْرُ جَذْوَةٌ أَنْطَلَقَ وَشَرَارُ مُسْتَرْسَلٍ مِنْ شَرَارِ



أَيُّهَا الْعَبْقَرِيُّ يَا رَوْعَةَ الشَّرِّ قِ وَوَشَى الْغُدُوَّ وَالْإِبْكَارَ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي نَصَرَ الشُّعْرَ وَأَضْفَى عَلَيْهِ ظِلَّازِدِهَارَ
عَالَمٍ قَلْبُكَ الْكَبِيرُ وَذُنُوبَا حَقَلَتْ سَاحِبَا بِأَيِّ فَخَارَ
مَثَلُ الْعَصْرِ خَيْرَ مَنْ مَثَلُ الْعَصْرِ وَأَفْضَى بِجَهْرِهِ وَالسَّرَارِ
بِبَيَانٍ كَأَنَّهُ عَبَقُ الْخُلْدِ حَبِيبٍ فِي بَيْتِهِ وَالْحِوَارِ
هَاتِ حَدَّثِ وَصِفْ نِضَالَكَ فِي الْأَرْضِ وَبَرْحَ النَّوَى وَعِبَاءَ السَّفَارِ
صُورَ الْغُرْبَةِ الَّتِي مَا تَقْضَى وَتَشْوَقُ إِلَى الْحِمَى وَالِدِيَارِ
مَا أَذَابَ الْحَنِينَ مِنْكَ فَوَادَا مُسْتَطَارًا بِرَغَمِ شَحْطِ الْمَزَارِ
يَا لَقَلْبٍ مُدْبِبٍ شَفَهُ الْوَجْدُ فَذَاوَى أَوَارُهُ بِأَوَارِ
يَتَنَزَّى أَسَى وَيَهْمِي وَفَاءَ وَيُذِيبُ الْإِعْلَافَ بِالْإِسْرَارِ
كَيْفَ أَنْسَى فَرَانِدَا لَكَ صِيغَتُ مِنْ مَضَا وَجُرَاقَةٍ وَأَصْطِيَارِ
لَسْتُ مِثْلَ الْفَرَاشِ يَصْلِي بِنَارِ النَّفَاسِ لَكُنْتُ صَلِيَتْ بِنَارِي
فَإِذَا أَحْلَوْتَ لَكَ الدُّجَى مِثْلَ عَيْنِ الطَّبَّاسِي وَأَعْتَادَهُ كَلَوْنِ الْقَارِ
كَشَفْتَ نَفْسِي الْخَنَاسَ كَشَفَا وَمَلَأْتُ الْأَكْوَانَ بِالْأَنْوَارِ
لَا أَرَى مِنْهُ عَلَيَّ لِأَنَسَا نِ لَأَنِي كَرُمْتُ صُنْعَ الْبَارِي
أَنَا مِنْ نَشْوَةِ عَلَى الدَّهْرِ تَبَقَى أَنَا مِنْ وَمَضَةٍ وَفَيْضِ أَنْبَهَارِ
نَفَحَاتِ الْهَيْامِ تَنْسِيمُ فِي الرَّوِّ ضِ وَيُنْمِي الْهَيْامُ زَهْرَ الْبَرَارِ
وَشِعَاعُ الْهَيْامِ يَنْفِذُ فِي الْبَحْرِ رِ فَيَهْدِي الْحَيَاتَانِ طَبِيَّ الْبَحَارِ
تَقْشُرُ رَبِّي يَجِدُ بِي كُلَّ حِينِ وَتَرَاهِي الْحَيَاةَ فِي أَطْوَارِ
فَإِذَا مَرَّ بِي نَهَارِي كَأَمْسِي فَكَيْفَانِي مِنَ التَّجْدُدِ عَارِ
إِنَّ هَذَا الْعَقْلَ الْقَوِيمَ أَسِيرَ لَمْ يَزِدْهُ التَّخْلِيقُ غَيْرَ لِإِسَارِ

مَلَأَ الكَلَنَاتِ هَمًّا وَغَمًّا وَأَسَالَ الدَّمَاءَ كَالْأَنْهَارِ
أَيْنَ مِنْهُ الْخُبُّ الَّذِي يُسْعِدُ الرُّوحَ وَيُنْشِئُ الْوُجُودَ بِالْأَعْطَارِ
وَيُعِيدُ الْحَيَاةَ جَذْوَةَ نَارٍ لَمْ يَزَلْ وَهْجَهَا سَنَا الْأَبْصَارِ
يَأْشَعُ الْهَوَى لَأَنْتَ مَنَارِي الْحَقِّ إِنْ أَطْفَأَ الْحِمَامُ مَنَارِي
وَلَكُمْ تَامَهُ الْحِجَازُ فَغَنًّا هُ لَحُونًا سِحْرِيَّةَ الْأَوْتَارِ
وَصَبَاً لِلْحَظِيمِ وَالرُّكْنِ وَالْأَسْـتَارِ فِي خَشَعِيَّةٍ وَفِي إِكْبَارِ
فِي « هَدَايَا الْحِجَازِ » مِنْهُ حَيْنٌ كَحَيْنِ « الرِّضَى » أَوْ « مِهْيَارِ »
سَكَبَ النَّفْسَ فِي الْحِجَازِ شَعُورًا كَانَسِكَابِ الْأَنْوَارِ فِي الْأَزْهَارِ
وَتَشَبَّهَ لَوْ زَارَ « طَيْبَةَ » فِي الْحُلَمِ وَأَغْفَى عَلَى ثَرَى الْمُخْتَارِ
وَلَكُمْ آثَرُ الْكَرَى فِي حِمَاهَا وَلَكُمْ كَانَ صَادِقَ الْإِثَارِ
وَدَّ لَوْ أَنَّهُ أَنْطَوَى فِي ثَرَاهَا وَتَوَى فِي ثَرَابِهَا الْمِيعَطَارِ
فَارِسِي لِسَانُهُ ، عَرَبِيُّ قَلْبُهُ وَالْهَوَى الْمُوَافِي الْمُجَارِي
شَفَقَتْ قَلْبُهُ الْعُرُوبَةَ وَجَدَا وَتَغَنَّى بِطَيْفِهَا الزَّوَارِ
وَتَمَتَّى لَهَا الْمَجَادَّةُ وَالسَّعْدُ لَتَبَقَى تَاجًا عَلَى الْأَدْهَارِ
وَدَعَا الْمُسْلِمِينَ لِلْوَحْدَةِ الْكُبْرَى وَقَهَرَ أَعْدَا وَغَسَلَ الْعَارِ
مَا أَطْلَأَ الْإِيمَانُ يَوْمًا عَلَى الضَّعْفِ وَلَا بَاءَ مُؤْمِنٌ بِخَسَارِ
أَصَحِّحُ أَنَّ الْأَلَى مَلَكُوا الْأَرْضَ ضَغْدُوا نُهْبَةَ الذَّنَابِ الضَّوَارِي
لَا وَرَبِّ الْأَنَامِ مَا ضَعُفَ الْقَوُّ مُ وَإِنْ طَافَ حَظُّهُمْ بِعَنَارِ
تِلْكَ أَفْكَارُهُ الْبَوَاقِي عَلَى الدَّهْرِ وَسِرُّ الْخُلُودِ فِي الْأَفْسَارِ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الَّذِي عَاشَ لَحْنًا وَسَرَى كَالْعَبِيرِ فِي الْأَقْطَارِ
ذَابَ مِثْلَ النَّدى عَلَى مُقْلَدِ الزَّهْرِ وَشَبَّهَ الْأَسَى عَلَى الْقِيَارِ
أَنْتَ حُبٌّ وَرَقَّةٌ وَحَنَانٌ وَمِنْ الْحُبِّ أَرْوَعُ الْأَنْشَارِ
وَلَكُمْ يَبْعُثُ الشَّجُونَ وَيُضْنِي أَنْ يُرَى الْعَبْقَرِيُّ رَهْنُ تَبَارِ
وَيَجِيفُ التَّهَرُّ الَّذِي سَالَ بِالشَّدِّ وَوَحْيًا بِالسَّاكِبِ الْمِذْرَارِ

وَيَغِيبَ الطَّيْرُ الَّذِي هَدَاهُ الْكَوْنُ
وَيَبِيتَ الرُّوحُ النَّصِيرُ كَثِيبًا
الْحُطُوطُ الْبَيْضُ الَّتِي شَبَّعَتْهُ
وَالْأَمَانِيُّ الزَّهْرُ الَّتِي وَدَّعَتْهُ
أَيُّهَا الطَّيْفُ الَّذِي أَتَشَجَّ الْخُلْدُ
قِفْ عَلَى رُبُوعِ الْخُلُودِ تَسَائِلُكَ هَلْ ارْتَحَتْ مِنْ جَوَى وَاسْتَعَارَ
هَلْ نَزَعْتَ الْحَيَاةَ فِي الضَّفَّةِ الْأَوْلى وَفَارَقْتَهَا فِرَاقَ الزَّارِي
وَلَمَسْتَ الرُّوحَ الَّذِي يَسْعُ الْخَيْرَ كَمَا يَلْمَسُ الصَّبَاحُ السَّارِي
إِنْ تَكُنْ جُزْئَهَا فَطُوبَى لَكَ الْيَوْمَ
كُلُّ دَارٍ رَهْنُ الْأَذَى وَالرِّزَايَا
هِيَ كَهْفُ السَّلَامِ لَا أَمْسَرَ فِيهَا
هِيَ يَوْمٌ بَاقٍ وَخُلْدٌ طَوِيلٌ

♦♦♦♦♦
وَقَوَافٍ لَوْ أَنَّهُنَّ عُيُونُ
لَا يُوقَى الْقَرِيرِضُ مَهْمَا تَغْنَى
فَاحِىَ بِالذِّكْرِ لَا تَرُوعُكَ الْمَنَائِي
تَتَلَقَى الدَّمُوعُ فِي غَمْرَةِ الْحَزَنِ
الْأَصَابِيحُ ذُبُرُ عَافِيَاتِ
وَكُوُوسُ النَّعِيمِ يَمْتَصُّهَا الْحَزَنُ
وَالْحَيَاةُ الَّتِي صَحِبْتَ اغْتِرَارُ
أَنْتَ فِي الْفِكْرِ صَوْرَةٌ لَيْسَ تُمُخِي
أَنْتَ فِي الذِّكْرِ خَالِدٌ لَيْسَ تَفْنِي

♦♦♦♦♦
كَرَّمَتْكَ الْأَجْيَالُ يَا شُعْلَةَ الْفِكْرِ وَأَضْفَتْ عَلَيْكَ لِكَلِيلَ غَارِ
فَلَيْنُ صَاغَتْ الْقَرِيرِضُ عُقُودًا فَبِمَا صُغْتُ يَا مِهْجَةَ النَّهَارِ

أنا مدين بهذه التصيدة التي أكثرها من جو (أقبال) وبعض كثيرها مترجم عنه ، للوزير العالم الدكتور (محمود حسن) وزير الباكستان المفوض في دمشق ، وتلميذ الشاعر وصديقه فلقد اختارني عضواً في (حلقة أقبال) التي أسست في دمشق فقدر لنا بمؤازرته قراءة الشاعر العظيم أقبال وفهم مراميه ، والإحاطة بأخباره ، ونشر كتوزه وخبراته ، ونشر هذه التصيدة احتفاء بالذكرى الحادية والثلاثين لوفاة شاعر الإسلام محمد أقبال الشاعر الذي اتخذ من مبادئ الإسلام العظيمة الخالدة فلسفة لا تمحوها الأيام ، والعالم الذي كان يعتقد أن تجدد الإسلام لا يمكن أن يتم ما لم يعزز المسلمون قواهم الفكرية والخلقية ، ويرتفعوا بنفوسهم إلى مستوى أسبى .

ولد محمد أقبال بمدينة (سيالكوت) بولاية البنجاب عام ١٨٧٣ م .
وتوفي بمدينة لاهور في ٢١ نيسان ١٩٣٨ م الموافق عشرين صفر
الخير ١٣٥٧ هـ .

أتم علومه بأكثرا وألمانيا ، فحصل على إجازة في الفلسفة من جامعة كمبراج وكان موضوع بحثه (تطور ما بعد الطبيعة عند الفرس) وقد منحته جامعة ميونخ شهادة الدكتوراة في الفلسفة كما حصل على إجازة في القانون .

كان على صلة وثيقة بالمستشرق البريطاني السير توماس أرنولد مؤلف كتاب دعوة الإسلام ، وكان أرنولد أستاذ العربية في جامعة لندن ، ثم أستاذ الفلسفة في جامعة (عليكره) الحكومية في لاهور ، وكان واسع العلم محبا للحضارة الإسلامية .

وفي عام ١٩١٨ دعى إلى (مدراس) لالقاء سلسلة من المحاضرات ، وقد جمعت تلك المحاضرات وسهيت (إصلاح الفكر الديني في الإسلام) وهي أعظم ما كتب أقبال في الفلسفة .

كان عضواً في المجلس التشريعي بالبنجاب ، وشارك في سياسة بلاده بأقواله وأفعاله ، كما ترأس مجامع سياسية عديدة ، واشترك في مؤتمر المائدة المستديرة ، بلندن .

كان عمادا قويا لحزب الرابطة الإسلامية ، وحسبه أن يقول فيه القائد الأعظم (محمد علي جناح) .

: كان لي صديقا صدوقا وإماما هاديا ، وكان في أحلك الخطوب التي مرت بي ونحن بالرابطة الإسلامية راسخا كالصخر لم تزلزله الزلازل ولم تعصف به العواصف .

ضمن شعره نظرتة الواسعة إلى الأخوة الإسلامية ، وكان يكره

العنصرية ، وينادى بالوحدة والأخذ بأسباب القوة ، وقد اتخذ الصقر له شعرا . ولقد وفق أديب العرب الراحل الأستاذ أحمد حسن الزيات فلخص الشاعر اتبالا في كلمه الطيب على نحو ما تلخص حديقه من الزهر في زجاجة من العطر .

« وما كان أقبال الابضعة من طبيعة الهند المؤمنة نفخ فيها الاسلام من روحه ، فخلصت خلوص الحق ، وسطعت سطوع الهدى ، وصفت صفاء الفطرة ، وكانت فلسفة شعرية فريدة لا هي عدمية مترددة شككية كفلسفة ابي العلاء ولا هي وجودية ملحدة قاسية كفلسفة نيتشه ، وانما هي الاسلامية الموحدة المؤلفة السحرة كما اوحاها الله بروحيتها النابعة من القلب الشاعر بالام الارض وماديتها الصادرة من العقل المتصل بالهام السماء » .

آثار محمد اقبال

لشاعر الاسلام محمد اقبال مؤلفات وآثار وأعمال بعضها مكتوب باللغة الأردية ، وبعضها باللغة الفارسية ، وبعضها باللغة الفرنسية ويسود هذه الآثار الشعر ثم النثر ، واليك ثبنا بهذه الدولتين والآثار :

١ - باللغة الأردية شعرا :

عام الطباعة	
١٩٢٤	بانك درا (صلصلة الجرس)
١٩٢٥	بال جبريل (جناس جبريل)
١٩٢٧	ضرب كلیم (ضرب الكلیم)
نشر بعد وفاته ،	أرمغان حجاز (هدية الحجاز)

٢ - باللغة الفارسية شعرا :

١٩١٥	اسرار خودی (أسرار ذاتيه)
١٩١٨	رموز بنفودی (رموز نفی الذاتية)
١٩٢٣	بیام مشرق (رسالة المشرق)
وكتب الشاعر فوق عنوان الديوان (جواب ديوان الشاعر الألماني « جوتييه »)	
١٩٣٢ وفي العنوان تورية بجاويد ابن الشاعر	جاويد نامه (الكتاب الخالد)
وهذا الكتاب على غرار « الكوميديا الالهية » التي كتبها الشاعر الايطالي دانتي .	

بِسْ جِه بایندکردای اقوام شرق
(ما ینبغی آن نعمل یا اقوام الشرق) ۱۹۳۶
مسافر ۱۹۲۴
زبور عجم (زبور المعجم) ۱۹۲۹

۳ — بالاردیة نشرأ :

اقبال نامه (مجموعه رسائل)

۴ — الانكليزية نشرأ :

- 1—Six Leatures on The Reconstration of Religious Thought In Islam . . . 1944.
- 2—Iqbal Letters to Jinnal . . . 1944. .
- 3--The Developement of Metepheycis in Persia. .
- 4—Speechs and Statmants of Iqbal . . . 1908.

ذكرى شاعر باكستان وفيلسوفها الكبير الدكتور محمد اقبال من منشورات السفارة الباكستانية بدمشق — نيسان ١٩٦٩ بتصرف .

هدية مجلة التوحيد الإسلامي

قصة غزوة فلسطين
من قبل بني اسرائيل واليهود قديماً وحديثاً

للدكتور محمد عزة دروزة

هذا هو عنوان الملتقى الذي يوزع مجاناً مع عدد شهر رجب
القادم ، فاحرص على طلبه من الباعة

رُكْنُ الموسوعة الفقهية

تحرره : إدارة الموسوعة

(١) الحاجة الى موسوعة الفقه الاسلامى على النطاق الدولى :

عرضنا فى العديدين السابقين لدراسات القانون المقارن فى الجامعات والمعاهد ولمؤلفات التى تتخذ مرجعا لهذه الدراسات ، كما عرضنا لجمعيةات ومراكز القانون المقارن وما تصدره من مجلات وبحوث .
ونعرض بالبحث الآن مجالا ثالثا من مجالات القانون المقارن هو المؤتمرات الدولية القانونية وما تبحثه من مسائل وما تتخذ من توصيات .

ان العديد من المنظمات الدولية او الوطنية الهامة ، او معاهد البحوث التى تناولناها بالبحث فى العدد السابق ، تقوم بتنظيم مؤتمرات دولية لبحث موضوعات قانونية خاصة على اساس مقارنة بغية التوصل الى قرارات او توصيات او مشروعات قوانين نموذجية او مجرد تبادل وجهات النظر وتعميق البحث فى العديد من المشكلات القانونية التى يشترك فى الاهتمام بها كثير من بلاد العالم .

وتدعى الدول الاسلامية — ضمن من يدعى من الدول — لحضور هذه المؤتمرات ويمكن ان تلخص زدود الفعل للدول الاسلامية على النحو الآتى :
— يحدث فى كثير من الحالات عدم اهتمام من حيث مبدأ المشاركة فى المؤتمر ، فلا ترسل الدولة الاسلامية وفدا او مندوبا يمثلها .
— فى الاحوال التى تقرر الدولة الاشتراك فى المؤتمر ، يحدث عادة ان يتم تقرير الاشتراك واختيار الوفد فى آخر لحظة ، فلا يكون هناك فرصة للاعداد للمؤتمر .

— قلما توجد فى الدول الاسلامية أجهزة متابعة النشاطات الدولية ، بحيث تكون هناك دراسات مسبقة متعددة فى الموضوعات التى ستناقش فى المؤتمر ، ويترك ذلك للجهد الشخصى لاعضاء الوفد الذى سيحضر المؤتمر .

— كثيرا ما يكون اختيار اعضاء الوفد على اساس اتاحة فرصة للمفسر والراحة والاستمتاع لذوى الحظوة من اصديقاء المسئولين والمقربين اليهم ، لا على اساس اختيار الشخص المتخصص فى الموضوع الذى يعقد المؤتمر لمناقشة أمثاله .

— والنتيجة لما تقدم حتمية لا تتخلف ، وهي السلبية الثامنة فى موقف الوفد الذى يحضر المؤتمر ، فيقتصر دوره على الاستماع والتصويت ، فلا دراسات تقدم ولا مناقشات توجه ، ويخرج المؤتمر بالقرارات التى أرادها منظمو المؤتمر ، اللهم إلا اذا كان هناك ناحية ذات حساسية معينة تمس سياسة الدول العربية أو الإسلامية ، فحينئذ تنشط الوفود الإسلامية للاعتراض ، وغالبا ما ينتهى الأمر بمجاملتهم واستبعاد ما يقضيههم ، فتمسك الثورة وبهذا الجو من جديد .

هذا ما يحدث كثيرا فى المؤتمرات العلمية فى المسائل التى تتصل بالقانون وهو صورة قريبة مما يحدث فى الأنواع الأخرى من المؤتمرات ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نقدم هذا بين يدي البحث ، لنوضح مدى البعد بين واقعنا وبين ما يجب علينا من الاهتمام بالمؤتمرات الدولية ، ولنبين أن الإيجابية — التى نفتقدها فى المجال الدولى — شرط أولى لما نحن بصدد بحثه من أهمية الاستفادة من هذه المؤتمرات الدولية لعرض وجهة النظر الإسلامية ، والدور الذى يمكن أن تؤديه موسوعة الفقه الإسلامى فى هذا المجال .

ولنضرب أمثلة لبعض مؤتمرات الأعوام السابقة :

١ — عقد فى مونتريال بكندا فى آذار (مارس) ١٩٦٨ مؤتمر دولى غير حكومى لبحث حقوق الإنسان تهيئاً للمؤتمر الدولى الحكومى الذى عقد فى طهران فى شهرى نيسان وإيار (مايو) ١٩٦٨ ، وقد تناول البحث فى كلا المؤتمرين المزيد من حقوق الإنسان وحياته ، والضمانات العملية لممارسة هذه الحقوق والحريات .

٢ — عقد فى لاهى فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ الدورة الحادية عشرة لمؤتمر لاهى للقانون الدولى الخاص . وقد تناول البحث أعداد معاهدة الاعتراف بالطلاق والتفريق القانونى ، ومعاهدة القانون الواجب التطبيق على حوادث المرور ، ومعاهدة الحصول على الأدلة فى الخارج فى المسائل المدنية والتجارية ، ومراجعة معاهدة الاعتراف بالأحكام الأجنبية وتنفيذها .

٣ — وفى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ عقد فى بانجكوك مؤتمران (أحدهما) المؤتمر العالمى لمركز السلام العالمى عن طريق القانون ، (والثانى) مؤتمر الجمعية العالمية للقضاة . وقد تناول البحث فى مؤتمر القضاء مسائل الاجراءات القضائية ، وتكوين القضاة واختيارهم ، والتنظيم والادارة القضائية ، والازدواج القضائى فى البلاد النامية .

٤ — وفى بيروت عقد المؤتمر السنوى للجمعية الدولية للمحاميين الشبان فى أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩ وتناول بالبحث مسائل : نقل أعضاء الجسم الحي أو الميت حديثاً الى جسم آخر ، والقانون الواجب التطبيق على عقد البيع الدولى . ومن المؤسف حقاً أن صوت الشريعة الإسلامية لم يسمع فى أى من هذه المسائل التى طرحت ، بسبب السلبية التى يبدونها المسلمون فى هذه المجالات من ناحية ، وبسبب عدم توافر المرجع الميسر لمعرفة رأى الشريعة الإسلامية من ناحية أخرى .

ولا يفوتنا قبل أن نختم هذا المقال ان نشير الى ان هذه المؤتمرات فرص دولية مستمرة ، وأن ما غاتنا فى الماضى بإمكاننا أن نعوضه فى المستقبل ، ونذكر فيما يلى أمثلة للمؤتمرات التى ستعقد فى الشهور الستة القادمة :

١ - فنى / ١٥ - ١٩ / من تموز (يوليو) ١٩٧٠ تعقد الجمعية الدولية للقانونيين الديمقراطيين مؤتمرها التاسع فى مدينة هلسنكى من بلاد فنلندا حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

- (١) المظاهر القانونية لمشكلات الاستقلال الوطنى ، والسلام والأمن الدولى والصراع ضد الاستعمار فى عالم اليوم .
- (٢) المشكلات القانونية للدول النامية .
- (٣) المظاهر القانونية لصيانة الحقوق الاساسية للانسان فى العالم المعاصر .

(٤) التقدم العلمى وحقوق الانسان .

٢ - وفى لاهاي يعقد المؤتمر الرابع والخمسون للجمعية الدولية للقانون فى المدة من ٢٣ / ٢٩ - آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث يجرى بحث الموضوعات الآتية :

القوانين ضد الاحتكار - القانون الطبى الدولى - القانون النقدى الدولى - حقوق الانسان - العلاقات العائلية - الأمن والتعاون الدوليين - الاستثمارات الخارجية فى الدول النامية - حق اللجوء - التحكيم - تعاقب الدول - قانون الفضاء - ثروات أعماق البحار - القانون الجوى والقرصنة الجوية .

٣ - وفى طوكيو يعقد اتحاد المحامين الدولى مؤتمره الثالث عشر فى المدة من ٢٤ / ٢٨ - آب (أغسطس) ١٩٧٠ حيث تبحث المسائل الآتية :
دور المحامى فى السنوات العشرين القادمة - مسئولية المحامى عن اهماله - الزواج بين مختلفى الجنسية - القانون والادبغة الالكترونية - دور المحاكم غير القضائية فى حل المنازعات .
٤ - أما المؤتمر السنوى الثامن للجمعية الدولية للمحامين الشبان فيعقد فى روما فى المدة من ٢٢ / ٢٦ - ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ حيث تظهر المسائل الآتية على جدول الاعمال :

حرية الاعلام - البيع الدولى للبضائع - حقوق الاطفال غير الشرعيين - النحاق المحامى الشاب بمؤسسة مهنية .

لقد ارتفع صوت الشريعة الاسلامية فى عدد قليل من المؤتمرات الدولية فى الماضى ، وكان لذلك اثره البالغ فى تعريف الاوساط القانونية الدولية بزايا الشريعة ودفع الشبهات عنها وقدرتها فقها الفزير على امداد هذه المؤتمرات بالمفيد القيم من البحوث والنظريات القانونية ، كما كان لاعتراف هذه الاوساط بفضل الشريعة ومزاياها اثر فى تثبيت قلوب كثير من المسلمين الذين يحتاجون الى مثل هذه الشهادات ليثقوا بقيمة تراثهم العظيم الخالد ، ويطمئنون الى شريعتهم (والفضل ما شهدت به الاعداء) .

وأقرب الأمثلة على ذلك قرارات مؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد فى كلية الحقوق بجامعة باريس سنة ١٩٥١ ، وهو الذى كان من جملة قراراته وتوصياته ضرورة ايجاد موسوعة للفقه الاسلامى .

ونأمل ان يتجدد نشاط المسلمين ويستمر فى هذه الاوساط الدولية وان يكون لموسوعة الفقه الاسلامى دور فعال فى تيسير معرفة الاحكام الاسلامية وعرضها فى هذه الجالات .

ب) من يريد الموسوعة :

وردت الى ادارة الموسوعة عدة ملاحظات من بعض الاساتذة تقتصر على هذا العدد على مناقشة جانب منها وهو ما يختص بالمذاهب التي ينبى للموسوعة عرض آرائها ، وكذا ما يختص بالآراء المختلفة فى داخل المذهب الواحد ، ما يذكر منها وما يترك :

١ - فقد كتب الينا بعض الاساتذة يرى الاقتصار على مذاهب السنة الاربعة المعروفة وعدم الإشارة الى ما سواها .

٢ - كما اقترح البعض ان تختار الموسوعة ما دل عليه الكتاب والسنة ولا تتعرض للخلافات بالمرّة . (اى ان تقوم الموسوعة باجتهد جديد) أو ان تذكر الخلاف فى آخر الكلام على سبيل التضعيف . واقترح البعض أن يتم اختيار الراى من قبل لجنة تشكل خصيصا لهذا الغرض .

٣ - ويرى البعض نكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية .

٤ - كما يرى البعض - مع موافقته على عرض الخلافات - اهمال الاقوال الضعيفة والشاذة .

وفىما يلى نجيب على هذه الملاحظات :

١ - أما عن المذاهب التى تتناولها الموسوعة بالدراسة المقارنة ، فقد اتجهت موسوعة جامعة دمشق من قبل وموسوعتا المجلس الاعلى الاسلامى وجبعية الدراسات بالقاهرة الآن الى الاتجاه نفسه من شمول العرض الفقهى للمذاهب الشيعية الموجودة حاليا فى مختلف أجزاء العالم الاسلامى ، ولا ضرر من ذلك ، اذ الأمر مقتصر على بحث النواحي الفقهيّة دون النواحي العقائدية والسياسية ، ولا شك أن شمول البحث لأوسع دائرة من المذاهب مع بيان دليل كل راى يحقق المقصود من الموسوعة ، وهو عرض الثروة الفقهيّة الضخمة التى تزخر بها كتب الفقه على اختلاف مذاهبه عرضا مقارنا . وبهنا فى هذا المجال ان نشير الى ان بعض المذاهب التى لم يقتل فيها باب الاجتهاد ، استمر الانتاج الفقهي فيها متطورا مع حاجة كل عصر ومتطلباته مما يفيد بحثه فى معرض الدراسة المقارنة .

كما ان هذه الدراسة المقارنة يتضح منها اثر الخلافات العقيدية والسياسية فى بعض الآراء الفرعية دون البعض الآخر مما يهم الباحث معرفته فى ضوء الدراسة المقارنة .

وان عرض المذهب المخالف أيا كان لا يعنى تفضيلا أو تأييدا له من جانب الموسوعة ، أو انتقاصا من غيره - رغم الخلافات الجذرية أحيانا - كما بين الشيعة والاباضية - اذ ان منهج الموسوعة موضوعى بحث يعرض للراى مع دليله دون ترجيح أو ترجيح ، ولا مجال بالتالى لما يخشاه البعض من إثارة فرقة أو نشر بدعة كما جاء فى بعض ما ورد الى الموسوعة من رسائل .

٢ - أما اقتراح اختيار ما دل عليه الكتاب والسنة دون عرض الخلافات بالمرّة ، فهذا خلاف الخطة الموسوعية كذلك ، اذ ان الاختيار أو الترجيح انما يكون عند اصدار قانون أو فتوى ، أما مجال البحث العلمى وعرض الثروة الفقهيّة التى تمتاز بهذا التنوع فى النظر المؤدى الى الخلاف فى الراى ، فلا مناص فيه من عرض الخلافات وأدلتها ، ولا سيما أن الخلاف قد يكون فى دلالة النص من كتاب أو سنة على الحكم فى المسألة ولا مجال اذن للقول بأن راىا

معينا دل عليه الكتاب والسنة . فكل رأى له وجهه فى الفهم والاستدلال المبني على أصول الاجتهاد ، كما ان مناقشته للرأى المخالف مبني كذلك على هذه الأصول نفسها .

وللقارئ — ان كان من اهل النظر والترجيح — ان يختار لنفسه الرأى الذى يطمئن اليه بعد معرفة الآراء كافة وأدلتها ، ولا يمنع ذلك من ان يبدى كاتب الموضوع أو ادارة الموسوعة رأيه الشخصى فى الحاشية — غير مختلط بالفقه المنقول الذى تتولى الموسوعة عرضه بأمانة — اذا اقتضى الأمر تعليقاً أو مناقشة لبعض الآراء .

كما ان بعض الموضوعات ذات الصبغة القانونية تقوم ادارة الموسوعة باختيار آراء معينة فى مسائلها وأحكامها تمثل المبادئ والقواعد الأساسية المفهومة فى موضوعها ، وتصوغها فى صورة مواد مختزنة ملحقة بالموضوع الاسلى تمهيدا لفكرة تقنين كامل من النقطة الاسللى وسيظهر موضوع الحوالة — الذى هو تحت التمهية والطبع الآن — بهذه الصورة ان شاء الله .

٣ — أما اقتراح ذكر ما لا خلاف عليه فى متن البحث ، وترك الخلافات الى الحاشية ، ففيه تجزئة للبحث فقد يكون القدر المتفق عليه أقل كثيرا من المختلف فيه ، وهو الأغلب وتقسيم الرأى حتى فى المسألة الواحدة بين المتن والحاشية يشعب البحث ويتعب القارئ ، فإذا أنزلت الخلافات مع أدلتها ومناقشتها الى الحاشية صارت الحاشية أكبر بكثير من المتن ، مع ما فى ذلك من تشويه تعرض الموسوعة على اجتنابه .

هذا ، وقد خصصت الموسوعة الحاشية للآراء الشخصية للكاتب عند الضرورة ، كيلا تختلط بالفقه القديم الذى يعرض كاملا فى المتن ، سواء منه ما كان محل اتفاق أو ما كان مختلفا فيه .

{ — وأخيرا نأتى الى مناقشة الاقتراح الخاص باهبال الاتوال الضعيفة والاساذة .

لقد انتهجت ادارة الموسوعة كما هو موضح فى بيانات خطة الكتابة التى ترسل الى الاساذة الكتاب لراعاتها فى كتابة الموضوعات — نهجا مقتضاه ذكر الخلافات الجوهرية دون غيرها ، والمراد بالخلاف الجوهرى كل ما فى ذكره قيمة علمية ، ولا سيما الخلافات التى تعتد على أصول أو نصوص معارضة لما يتبناه المذهب الحنفى (الذى يجعل بساطا لعرض الموضوع) ، ومن الخلافات الجوهرية ما يبدو أدنى الى روح الشريعة وأكثر تحقيقا لمقاصدها العامة ، ولو كان مرجوحا فى المذهب المنقول منه فلا حاجة الى ذكر الخلاف الذى يكون نظريا محضا غير ذي ثمرة ، أو فرعيا تافها غير ذي بال .

وهكذا يبين ان المعيار الذى وضعته ادارة الموسوعة هو التفرقة بين الخلاف الجوهرى وغير الجوهرى ، وليس التفرقة بين الرأى الراجح والرأى الضعيف أو الشاذ ، ذلك ان الرأى قد يكون ضعيفا أو شاذاً فى عصر ، ثم يبدو فيها بعد أن المصلحة كل المصلحة فى الأخذ به وأن قائله كان أبعد نظرا من عصره وأكثر ادراكا للنتائج لا سيما اذا تنبأه وفى الأمر بما له من سلطة الترجيح فيصبح بذلك راجحا بعد أن كان مرجوحا ، كما وقع فى تقنينات الاحوال الشخصية فى طلاق الثلاث بلفظ واحد . فالمفروض فى الموسوعة أن تعرض الآراء جميعا طالما أن موطن الخلاف أمر جوهرى ، لأن المقصود من الموسوعة هو العرض العلمى المحايد الأمين للآراء كافة ، وليس من مهمتها الترجيح . ولن شاء ترجيح رأى على رأى أن يفعل ذلك خارج نطاق الموسوعة .

دليل نجاسة الخمر من السنة المطهرة

اتفق جمهور العلماء ومنهم أئمة
المذاهب الأربعة على الحكم بنجاسة
الخمر ، وقد استدلوا لنجاستها في
كتب التفسير والفقه بقوله تعالى :
(إنما الخمر والميسر والأصنام
والأزلام رجس من عمل الشيطان
فما اجتنبوه لعلمكم تغفلون) .

ولما كان القرآن الكريم حملا وجوه
من المعاني ، لم تكن الآية قاطعة
الدلالة على النجاسة ، ولذا رايت
التماس دليل نجاستها من السنة
المطهرة ، فانها شارحة للقرآن ومبينة
لوجوده ومعانيه . فبحثت عنه
طويلا ، وسألت عنه كثيرا كبار
العلماء فلم أصل اليه . ثم منحتني
الله السؤوف عليه ، فرايت الآن
نشره ، لما قد جرى في بعض الحالات
العلمية من سؤال عنه وانكسار
لوجوده .

فأقول : جاء في الحديث الذي
رواه الصباحي الجليل أبو ثعلبة
الخشني رضي الله عنه ، ورواه عنه
أصحاب الكتب الستة وغيرهم :
« ما يدل على نجاسة الخمر » .

فروى البخاري في مواضع من
« صحيحه » والألفاظ شبه واحدة ،
فأدخلت من بعضها في بعض ، في
كتاب الصيد والذبايح في (باب صيد
القوس) ٥٢٣٠٩ ، و (باب ما جاء

لأستاذ
عبد الفتاح أبو غدة

— أى الترمذى — : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه أيضا فى أبواب السير فى (باب ما جاء فى الانتفاع بآنية المشركين) ٥٠:٧ . قال أنيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ! ما بارض قوم اهل كتاب ، ناكل فسى آنيتهم ؟ قال ان وجدتم غير آميهم ملا تاكلوا منها ، فان لم تجدوا فاغسلوها واكلوا فيها .

ورواه أيضا فى أبواب الأطعمة فى (باب ما جاء فى الأكل فى آنية الكفار) ٢٩٧:٧ . قال أبو ثعلبة : يا رسول الله ! ما بارض اهل الكتاب ، مطبخ فى قدورهم ؟ ونشرب فى آنيهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لم تجدوا غيرها فارحضوها - أى اغسلوها - بالماء . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ورواه ابن ماجه فى « سننه » فى أبواب الجهاد فى (باب الأكل فى قدور المشركين) ٩٥:٢ . قال : أنيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته فقلت يا رسول الله : قدور المشركين نطبخ فيها ؟ قال : لا تطبخوا فيها . قلت فان احتجنا إليها فلم نجد منها بدا ؟ قال : فارحضوها رحضا حسنا . ثم اطبخوا واكلوا .

ورواه أيضا فى أبواب الصيد فى (باب صيد القوس) ١٠٧١:٢ . مقتصر فيه على ما يتعلق بالصيد . ورواه الإمام أحمد فى « مسنده » فى (مسند أمى ثعلبة) ١٩٣:٤-١٩٥ . من خمس طرق إلى أمى ثعلبة ، وبلفاظ متقاربة أنها قوله ١٩٤:٤ : « قلت يا نبي الله : ان أرضنا أرض اهل كتاب . وانهم ياكلون لحوم الحنزير . ويشربون الخمر . فكيف اصنع بآنيهم وقدورهم ؟ قال : ان

فى الصيد) ٥٢٨:٩ ، و (باب آنية الجوس والميتة) ٥٣٧:٩ . قال أبو ثعلبة : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ! ما بارض قوم اهل كتاب ، افناكل فى آنيهم ؟ وبارض صيد ، اصيد بقوسى . وبكلى الذى لرسى معلم ، وبكلى المعلم ، فما يصلح لى ؟ قال : اما ما ذكرت من انك بارض اهل الكتاب فلا تاكلوا فى آنيهم ، الا ان لا تجدوا بدا ماغسلوها واكلوا فيها . واما ما ذكرت من انك بارض صيد فما صدت بقوسك فذكرت الله فكل . وما صدت بكلك المعلم فذكرت الله فكل . وما صدت بكلك الذى ليس بمعلم فادركت ذكاته فكل . »

ورواه مسلم فى « صحيحه » فى كتاب الصيد والذبائح ٧٩:١٣ . والنسائى فى « سننه » فى كتاب الصيد والذبايح أيضا ١٨١:٧ مقتصر فيه على ما يتعلق بالصيد .

ورواه أبو داود فى « سننه » فى كتاب الأطعمة فى (باب الأكل فى آنية اهل الكتاب) ٣٦٣:٢ . مقتصر فيه على ما يتعلق بالخمر وهذا لفظه « قال يا رسول الله : ما نجس اهل الكتاب ، وهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آنيهم الخمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان وجدتم غيرها فاكلوا فيها واشربوا ، وان لم تجدوا غيرها فارحضوها - أى اغسلوها - بالماء . واكلوا واشربوا . »

ورواه الترمذى فى « سننه » أول أبواب الصيد فى (باب ما جاء ما يؤكل من صيد الكلب وما لا يؤكل) ٢٥١:٦ . وفيه ما اهل سفر نمر باليهود والنصارى والجوس . فلا نجد غير آنيهم ؟ قال : ما لم تجدوا غيرها فاغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا . » قال أبو عيسى

لم تجسّدوا غيرها فأرحضوها ، وأطبخوا فيها واشربوا » .

ورواه الحاكم فى « المستدرک على الصحيحين » فى كتاب الطهارة ١٤٣٠ : « قال : قلت يا رسول الله انا بأرض أرضنا أهل كتاب يشربون الخمر ، ويأكلون الخنازير ، فما ترى فى آثيتهم وقدورهم ؟ فقال دعوها ما وجدتم عنها بدا ، ماذا لم تجدوا عنها بدا فأغسلوها بالماء ، أو قال : انضحوها بالماء ، ثم قال : اطبخوا فيها واكلوا » .

ثم رواه الحاكم من طريقين آخرين الى أبى قلابة الراوى عن أبى ثعلبة بنحو هذا اللفظ ، وقال عقبها : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، لم يفرجه » . وأقره الحافظ الذهبى فى « تلخيص المستدرک » .

ففى أمره صلى الله عليه وسلم بغسل الأواني التى تشرب فيها الخمر دليل على نجاسة الخمر ، لا سيما وقد منعهم من استعمالها ان وجدوا غيرها : « ان وجدتم غير آثيتهم فلا تاكلوا فيها » . وما أذن لهم باستعمالها الا بشرط غسلها وإن لا يجدوا غيرها : « فإن لم تجدوا غيرها فأغسلوها بالماء ، ثم كلوا فيها واشربوا » .

وقد استدل بهذا الحديث غير واحد من العلماء على نجاسة الخمر ، قال الخطابى فى « معالم السنن » ٢٥٧ : « شارحا حديث أبى داود السابق ذكره : « والأصل فى هذا انه اذا كان معلوما من حال المشركين انهم يطبخون فى قدورهم الخنزير ، ويشربون فى آثيتهم الخمر ، فانه لا يجوز استعمالها الا بعد الغسل والتنظيف . وأما مياههم وثيابهم فانها على الطهارة كماء المسلمين وثيابهم ، الا أن يكونوا من قوم لا

يتحاشون النجاسات ، أو كان من عادتهم استعمال الإبروال فى ظهورهم ، فان استعمال ثيابهم غير جائز ، الا أن يعلم انه لم يصيبها شيء من النجاسات ، والله أعلم » .

واستدل به على نجاسة الخمر ايضا الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد فى كتابه « الامام » ، كما نقله عنه الحافظ الزيلعى فى « نصب الراية » ٩٥٠ : « والامام ابن الهمام فى « فتح القدير » ٥١٠ : «

وأوردته الامام مجد الدين ابن تيمية مستدلا به على نجاستها فى « منتقى الأخبار » فى كتاب الطهارة فى (باب تعين الماء لازالة النجاسة) ٣٦٠ : « بشرح الشوكانى : « نيل الأوطار » . وقال الشوكانى فيه فى (باب طهارة الماء المتوضأ به) ١٩٠ : فى سياق الرد على من قال بنجاسة عين الكافر مستدلا بحديث أبى ثعلبة : « والأمر بفصل الآنية فى حديث أبى ثعلبة ليس لتلوثها برطوباتهم ، بل لطبختهم الخنزير وشربهم الخمر فيها ، يدل على ذلك ما عند أحمد وأبى داود من حديث أبى ثعلبة ايضا بلفظ : ان أرضنا أرض أهل كتاب ، وإنهم يأكلون لحم الخنزير ، ويشربون الخمر ، فكيف نصنع بآثيتهم وقدورهم ؟ » .

وروى الحاكم فى « المستدرک » فى كتاب الأدب ٢٨٦ : « عن سبيعة الأسلمية قالت : دخل على عائشة نسوة من أهل الشام ، فقالت عائشة : ممن أنتن ؟ فقلن : من أهل حمص ، فقالت : صواب الحماسات ؟ فقلن : نعم . قالت عائشة رضى الله عنها : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الحمام حرام على نساء أمتى . فقالت امرأة منهن : فلى بنات أمشطن بهذا الشراب ، قالت بأى الشراب ؟ فقالت : الخمر . فقالت

إياتكم الله عليه ، فانتهى إلى ذلك .
 وفتوى الصحابي حجة فيما لم يرد
 فيه نص عن الرسول صلى الله عليه
 وسلم ، فكيف إذا طابقت فتواه
 حديث رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، فكانت معززة لدلالته ومبينة
 لعنايه ومؤيدة لفهمه .

والفاروق وعائشة رضى الله
 عنهما من كبار فقهاء الصحابة
 الذين شاهدوا مواضع التنزيل ،
 وخالطوا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فمعرفوا من أقواله وأفعاله
 وأحواله وسيرته وأمره ونهيه ؛ ما
 مكنهم أن يفهموا كلام الله وكلام
 رسول الله حق الفهم ، وقد صرحا
 بأن الخمر نجسة كعدم الخنزير ،
 وظاهرها وباطنها حرام .

وصريح فتواهما هذه إلى جانب
 الحديث الشريف الدال على نجاسة
 الخمر يكونان بياناً وتفسيراً لدلول
 (الرجس) على قوله تعالى : (إنما
 الخمر والميسر والانصاب والأزلام
 رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
 لعلكم تفلحون) . وتكون النجاسة
 حقيقة في الخمر ، ومجازاً فيما ذكر
 معها من باب عموم المجاز ، كنجاسة
 المشركين المصرح بها في قوله
 تعالى : (إنما المشركون نجس) .
 لاشتراك جميع المذكورات في آية
 الخبر ففى حيث الأثر ، وإضاعة
 العقل وإهداره ، وتولية الشيطان
 وإضلاله ، والله أعلم .

عائشة رضى الله عنها : أفكنت طيبة
 النفس أن تمتشطى بسدم خنزير ؟
 قالت : لا ، قالت : فانه مثله . قال
 الحاكم : « هذا حديث صحيح
 الإسناد ولم يخرجاه » . انتهى .
 ووافقه الذهبي على صحته ففى
 « تلخيص المستدرک » فقال :
 « صحيح » .

وجاء فى تاريخ الامام ابن جرير
 الطبرى : « تاريخ الامم والملوك »
 ٢٠٤ : ٤ فى حوادث سنة ١٧ من
 الهجرة ما صورته : « كتب إلى
 السرى عن شعيب ، عن سيف ، عن
 أبى عثمان وأبى حارثة ، قالوا : فما
 زال خالد — يعنى ابن الوليد — على
 قنسرين ، حتى غزا غزوة التى
 أصاب فيها ، وقسم فيها ما أصاب
 لنفسه . كتب إلى السرى عن
 شعيب ، عن سيف ، عن أبى الجالد
 مثله . قالوا :

وبلغ عمر أن خالد دخل الحمام
 فتدلك بعد النورة بثخين عصفر
 معجون بخمر ، فكتب إليه : بلغنى
 أنك تدلك بخمر ، وأن الله قد حرم
 ظاهر الخمر وباطنه ، كما حرم ظاهر
 الأثم وباطنه . وقد حرم مس الخمر
 إلا أن تغسل ، كما حرم شربها ، فلا
 تمسوها أجسادكم ، فإنها نجس ،
 وأن فعلتم فلا تعودوا . فكتب إليه
 خالد : إنما قلناها معادلت غسولا غير
 خمر ، فكتب إليه عمر : انى أظن آل
 المغيرة قد ابتلسوا بالجفاء ، فلا



مَنْ أَفْصَحُ الْإِسْلَامِي



خلوة

بقلم : حسين الطوخي

هاجت البغضاء في قلوب يهود المدينة وامترجت بها رجفة سرت من اوصالهم حين علموا بنصرة محمد صلوات الله وسلامه عليه ومن معه من المسلمين في وقعة بدر ، الكبرى على كفار قريش وطغفوا يناقشون وقائع هذه الغزوة ويحدث بعضهم بعضا :

« ان محمدا لم يلق في رجال قريش من يحسن القتال ولو لقينا لاقى عندنا قتالا لا يشبهه قتال أحد . »

وحرى الرسول انك ما يقولون . ووضح له ان يهود بني قينقاع قد نقضوا العهد وانهم تزعموا حملة التشكيك في قوة المسلمين على قهر اعداء دينهم الجديد .

يومئذ نادر النبي جمعهم في سوق بني قينقاع . وحرارة معركة بدر لم تبرد بعد . وواجههم صلوات الله عليه بكل ما يهلك من جسارة المحارب قتالا :

« يا معشر اليهود .. احذروا من الله عز وجل مثلما نزل بقريش من النقمة واسلموا فانكم قد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله اليكم . »

كان حديث النبي انذارا ووعيدا لليهود المدينة عامة ، ولبيهود بني قينقاع خاصة . لكنهم صغروا خدعهم وقللوا يمشون في الارض مرحا وينفثون سموم احقادهم في محافلهم ونواديبهم وفي امسيات لياليهم يشككون الناس في مقام هذا الدين . وينثرون المشائعات بان قريشا لن تسكت على هزيمتها وعن محمد وعن انضوى تحت لوائه . وانها ستطلع جراحها ثم تنجز للقاء محمد لنقضى عليه وعلى دعوته قصا لا قيامه له بعده ..

واستشاط النبي غصبا وعبرة على دسه ودعونه . وان هي الا ليلة او ضحاها ثم ينزل عليه جبريل عليه السلام بالآية الكريمة :

« وما تخافن من قوم خيانه فانذ اليهم على سواء » .

ويحزم النبي امره ويخرج مع اصحابه ومحاربيه من المسلمين ويحاصر يهود بني قينقاع خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد ثم ينزلون على حكمه ، ويريد

قتلهم ، ثم يكلم في شأنهم فلا يرضى بغير اجلائهم من المدينة ومصادرة ما يملكون من اموال ودور ومتاع ، فكان ان غادروا المدينة الى خيبر .
احتزت الجزيرة العربية من ادناها الى اقصاها بعد ان حطمت الرياح على اجنحتها نيا طرد بنى قينقاع من المدينة ، وبات معشر اليهود في كل مكان في هم مقيم وبلاء عظيم .

ترى هل يستسلمون لهذا المصير الفاجع الذي يتهددهم ويتربص بهم كلما أوغل النبي في غزواته ، وكلما عاد موكبہ الظافر الى يثرب ؟

لقد زاد احساسهم بخطر محمد ودعوته ، ما اقدم عليه من طرده لبنى النضير بعد مصادرة اموالهم وسلاحهم واغلب ما يملكون ، ليزهوا الى الشام غير مأسوف عليهم لما بدا من غدرهم يوم ان عزموا على قتله بالقاء صخرة عليه من خلف جدار كان يجلس اليه ومعه نفر من الصحابة .

ثم تضاعف احساسهم بما يحيط بهم ويساقون اليه من تشريد قريب ، حين بلغهم قتل الرسول لبنى قريظة بعد وقعة الخندق — وقد كانوا مناصرين ومظاهرين لكفار قريش . يومئذ ناح اليهود على قتلاهم الستائسة الذين امر الرسول بضرب اعناقهم واقتسموا من خلال دموعهم ان ينازلوا محمدا في وقعة كبرى ولو فنوا من آخرهم !



اجتمعت اخبار اليهود في خيبر وتدارسوا موقفهم المؤلم بعد تلك الضربات القاصمة ، وايقنوا في قلوبهم ان الاستسلام لمحمد وجيشه الحاربة ستزيد من قوته بقدر ما يسلبه من عزيمته على مناواته والتصدى لدعوته التي تحمل في طياتها القضاء على امنهم واخلاقهم وما يملكون .

وتتوالى اجتماعاتهم كل ليلة في خيبر ، تلك الواحة الكبيرة الظليلة ، وقد حفت بها الحدائق وزراعات النخيل ، وتوفر فيها ماء العيون والآبار ، كما توفر لها البعد عن المدينة شمالا قرابة مائة من الاميال ، كما اتخذ يهودها بيوتا محصنة بين تلافيف النخيل والزرع ، وبين تلال من الصخور المنيعه ، وفي بطون وديان تناثرت هنا وهناك لا تراها العين الا بامعان وتدقيق نظر .

ثم يطوف الاحبار ورؤساء القبائل على تلك البيوت المحصنة ، ويفرقون السلاح على اهلها ويمنونهم بيوم النصر القريب على محمد وعلى من معه من المسلمين والذين آمنوا بدينه الجديد .

وينعقد مجلسهم الكبير ذات ليلة تحت زعامة كبيرهم « **سلام بن مشكم** » الذي أعلن فيهم بان هناك خطرا عظيما بات يتهدد الكيان اليهودي في شبه الجزيرة العربية ، وان واجب اليهود ازاء هذا الخطر ، ان يبادروا الى تاليف كتلة واحدة متماسكة تضم يهود « **خيبر** » ويهود « **وادي القرى** » ويهود « **تيماء** » ثم كل يهودي يرى في نفسه قدرة وكفاءة يشارك بهما في وقف هذا الخطر الداهم .

وكانت خطة « **سلام** » ان يزحفوا على « **الدينة** » بجموعهم وسلاحهم من غير اعتماد على القبائل العربية الذين القوا ان ينضموا اليهم من قبل في مناواة

النبي ، حتى ينفردوا بفخر مقاتلة المسلمين وهزيمتهم ، ثم ذهب وفد منهم إلى « بنى غطفان » فتحالفوا معهم على أن يحاربوا محمداً ومن ينضوي تحت لوائه .

وبلغ الرسول وهو في المدينة ما انتوى عليه يهود خيبر ، وما اعتزموه من التحرك والخروج إلى المدينة بجيشهم لمحاربتهم ، وأذن فقد بدل اليهود أسلوب تفكيرهم وخططهم ، وابتأوا يناصبونهم العداء جهرة بعد أن كانوا يتخفون ويستترون بخيبتهم ودناءاتهم المسقورة .

وكذلك بلغ الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، أن كفار قريش قد جمعوا عزمهم من جديد على محاربتهم والتجهز للملاقاة وكسر شوكتهم ، وأنهم ينسقون خططهم مع يهود خيبر من وراء حصونهم ، وأنهم يزودونهم بكل ما يقدرون من مئونة ورجال مخربين على القتال وحمل السلاح .

إنها إذن معركة فاصلة والتحام مصيري سيبتحن به الإسلام والمسلمون وأذان الدنيا يومئذ وعيونها تترقب ما سفتأتي به الأيام المقبلة .

وقد عزم النبي ، بمشاورة صحابته ، أن يبادر بحرب اليهود في عقر دارهم حرباً لا هوادة فيها أو تراجع .

وفي يوم باهر من شهر المحرم للسنة السابعة للهجرة ، خرج محمد وأصحابه بجيش عزم رجاله أسود والخيول من أمام الجيش ترسل عيونها بريفاً من لهب ، وأسنة الرماح تلعب في وهج الشمس أو في ضياء القمر البارغ نذيراً بالموث والفتاء لأعداء الله وأعداء دينه القويم .

خرج النبي من المدينة قاصداً خيبر ليحيط ما تأمر عليه اليهود وبمن يناصرونهم ، وينصر دين الله خاتم الأديان الذي أنزله الله ليخرج الناس من ظلمات الجهالة وعبث الكهانة إلى نور الحق والخير ، وليرد للإنسان كرامته ويخلصه من استعباد الإنسان لأخيه الإنسان .

وان هي إلا مسيرة أربعة أيام ، وينزل الرسول بجيشه في وادي « الرجيع » بين يهود خيبر وقبائل « غطفان » ليحول بينهم وبين أن يمتدوا أهل خيبر بها تعاقدوا عليه .

فوجدت « غطفان » ذات صباح باكر بجيش النبي وما هو عليه من وفرة في السلاح ، وغضب يبرق في العيون ، وصديق عزم على قتال لا رحمة فيه ولا هوادة ، فأخذوا يولون الأذبار نجاة بأعناقهم تاركين يهود خيبر إلى مصيرهم الأسود المحتوم .

ساعتئذ بدأ الرسول بأموال خيبر يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصناً حصناً فكان أول ما افتتح حصن « ناعم » ثم حصن « القموص » ثم حصن « الصمب بن معاذ » وقد كان هذا الأخير أعظم حصون اليهود وأكثرها طعاماً وأوفرها ذخيرة وسلاحاً .

ولما افتتح الرسول من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال والسبایا ما حاز ، انتهى ومعه المسلمون إلى آخر حصونهم « الوطيح والسلام » بمسد أن حاصر من فيهما بضع عشرة ليلة .

يومئذ أيقن يهود خيبر بطول الهزيمة بهم ، فبعثوا إلى الرسول أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له كل ما يملكون من مال وزرع وسلاح ، فكانت خيبر برمتها فينا للمسلمين .

ويقبل النبي صلوات الله وسلامه عليه عرضهم الذليل بعد أن حاصرتهم

المنهزمة التي لا تباية لهم بعدها ، ويأذن عليه السلام لرجاله أن يخلدوا للراحة من عناء الحرب ومشقة القتال ، ويضرب الحصار على كل أطراف خيبر ، وتقرض عليها الحراسة المشددة ريثما يتجهز المسلمون للعودة إلى المدينة تسبقهم أهازيج النصر على أعداء الله وأعداء دينه الحنيف .

وهناك خارج أطراف خيبر ، تتجمع الفلول المنهزمة من اليهود يلتمسون جراحهم ، ويخرفون الدموع السخينة على ما أصابهم ، ويدنون الندم على ما تورطوا فيه ولكن هل ينفع الآن ندم ؟

وفي مزارع خيبر ، وتحت ظلال نخيلها الباسق ، يتجمع المسلمون المنتصرون يسبرون ويسترجعون ذكريات وقعاتهم مع اليهود في المدينة ، ويتدارسون خطط النبي وصحابته كلها خرج للفزو والقتال في سبيل الله ، وكيف أن الله ينصر من ينصره ويؤيد برحمته كل من يعبده بقلب سليم .

استرجع المحاربون خطط النبي وكيف كان عليه السلام حصيها غاية الحصافة بعد أن دخل المدينة مهاجرا من مكة فرارا بدينه من كفار قريش ، حين وأدع اليهود ، حتى يؤمن ظهره حين يخرج لحاربة أعداء الله .

ذكروا غيبا ذكروا أن الرسول لم يهادنهم عن ضعف ، ولم يوادعهم من استسلام لسلطانهم أو نفوذهم ، وإنما كانت دعوته تقتضيه ألا يحارب في أكثر من جبهة ، ولا يشغل جيشه المحارب بأكثر من عدو واحد .. في وقت واحد ..

ونذكروا غيبا ذكروا كذلك ، أن الرسول لم يعلن عليهم الحرب في المدينة إلا بعد أن ضاق بهم بعد أن نقضوا العهد ، وتناصوا الوعود ، وأنهم عادوا إلى ما القوه من خسة في الطبع ودناءة في الضمائر التي انطلعت جوانحها على كراهة البشر عامة والمسلمين خاصة .

وفي ليلة أخرى من ليالي خيبر ، يذكر المسلمون أن النبي الكريم لم يكن عاجيا على يهود المدينة ولا طالبا لهم حين أخرجهم من بلاد المسلمين ، ذلك لأنه عليه السلام أدرك أنه كلما انسح لهم صدره ، ومد في حبال حلمه ، كلما زادوا بغيا وانسادا ، وكلما وسع في موادعتهم ، كلما أمتعوا في شركهم ومناصرة أعداء الاسلام عليه وعلى المسلمين .

لقد صبر عليهم الرسول صبرا جبيليا ثم أدرك بحسبه الصادق في نهاية المطاف ، أنه يعرض الدعوة الإسلامية ويعرض المسلمين معه إلى خطر يستغل أمره ، طالما بقى اليهود في المدينة مع المسلمين الذين فروا بدينهم من أفك قريش وجبروت الظالمين .

عند هذا الحد من الحديث ، ارتفعت أصوات مؤمنة رصينة تقول : لله در محمد ما كان أجمله وأحلمه ! لقد ظن السفهاء حلمه ضعفا وجبنا ، وحسبوا كرمه ونقاء قلبه استسلاما وخورا .

ويعود الحديث الشائق إلى ما كان عليه ، ويذكر القوم المؤمنون والرسول على مقربة منهم في خيمته مع خاصة صحابته ، أنه عليه السلام لم يكن مغابرا حين عزم على قهرهم وأجلاتهم من المدينة ، وإنما كان يقدر لكل خطوة يخطوها توقفتها المناسب ، وكان يزن كل كلمة تخرج من بين شفتيه بميزان إحدى كفتيه تحبل روح رجل محارب من طراز فريد ، وفي الكفة الأخرى عقل رجل سياسي ذي فكاهة شديد .

كذلك لم يكن الرسول الا رجلا مسئولا امام هذا العالم الذى انفتحت آذانه وعيونه لترصد دعوته ، وقرّيب كل ما يصدر عنه من قول او فعل .
لم يكن صلوات الله عليه يقول كلاما يضل به المسلمين ثم لا يقدر على ترجمته الى فعل ايجابى ، انما كان يقول ويفعل ما أمر به الدين الذى أنزله الله لهداية العالمين .

كذلك لم يكن عليه السلام يستأثر برأى صدر عنه دون أن يعرضه على صحابته ، فان أقروه عليه أنفذه ، وان أجبعوا على غير رأيه ، نزل عنه وهو راض غاية الرضاء . كان صلوات الله عليه يستشير ويستشار عملا بما نزل به قرآن الله « وأمرهم شورى بينهم » .

ويذكر الرجال المحاربون فيها يذكرون فى هذا السمر الشائق ، ان الرسول صلوات الله عليه لم يكن يخرج للفرز الا بجيش كامل العدد من مؤونة وسلاح ، ومعه رجال مختارون يحبون الموت حبهم للحياة ، لا يصرفهم من القتال جوع مال او تجارة او تعلق بزخرف الدنيا وعرضها الزائل .

كذلك لم يكن صلوات الله عليه يخرج للقتال قبل أن يؤمن الجبهة الداخلية فى المدينة ، فإذا كان العام عام جذب وقطع ، سئل عن الخروج حتى تتيسر للناس أرزاقها وتفرج أزماتها ، ويكون هناك فائض من أموال يشتري بها سلاح الحرب ومؤونة المحاربين ، فالجواب من قبل ومن بعد ، حرب عقيدة ومصير ، وليست أمر هزل يعقبها شر مستطير .

وتبلغ النبى فى خيمته جل هذه الاحاديث الواعية وتتسم ثناياها ، وينشرح صدره ، ويطمئن فؤاده على الاسلام وعلى دعوته ، ويدعو الله أن ينير للناس البصائر وأن يهديهم الى صراط مستقيم .
وتتسمع فلول اليهود الى ما يدور ويتناقل على السنة المسلمين فى خيبر ، وتفشق قلوبهم غيظا وتكاد عروقهم أن تنزق حسرة وكبدا .

ويمادون التفكير فى مؤامرة جديدة لعلها تصيب من محمد مقتلا ..

كانت هناك امرأة تنوح ليلها ونهارها على مقتل زوجها وأبيها وعيها ، وتدور على بيوت اليهود خارج خيبر تطلم خسودها وتشق ثيابها وقد بلغت الدموع تطلب الى الفلول الباقية أن يفعلوا شيئا يخفف لوعتها ولكلها مكانا يجيئون : وماذا تقدر عليه يا زينب وقد باتت سلاحا مفلولا وأموالنا وقد ذهبت الى المسلمين .. لم تعد نملك شيئا نقدر به على أمر .. الصبر يا بنت الحارث .. الصبر ..

وتزأر زينب بنت الحارث فى وجوه الاحبار وتقول فى النهاية :
عندى حيلة أقتل بها محمدا فأعينونى على إنفاذها .. ويجب عليها الحبار اليهود :

وماذا تبغين منا أن نفعل ؟ وتقول زينب : الى بشاة سمينة فاني أعلم أن محمدا يحب كنفها جيدة الشواء والنضج ، والى بسم زعاف مما تستخدمون فى قتل أعدائكم وسأقدم على فعلسة لا يقدر عليها الرجال .. واهر قلبها .. وازوجاه ..

أقبلت زينب متلعة برداء الليل بعد أن صلى القوم العشاء ، الى خيمة النبى تحبل على رأسها وعاء من فضة أرقدت فيه الشاة السمينة وقد تطايرت

منها رائحة الشَّوَاءِ تَتَقَحَّمُ أَنْوَافَ حِرَاسِ الْخَفِيَّةِ ، فَحَسْبُوهَا أَهْدَى نِسَاءَ الْحَارِبِينَ أَحَبَّتْ أَنْ تَحْيِيَ النَّبِيَّ وَصَحْبَهُ وَمِنْ ثَمِ انْتَوَى لَهَا بِالْخَوَلِ .
تَالَتْ زَيْنَبُ وَهِيَ تَصْلُطَعُ الْحَيَاءَ وَتَضَعُ الشَّامَةَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ :
بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أَنْ تَقْبَلَ هَذِهِ الشَّامَةَ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي أَجَدْتُ انْضَاجَهَا وَنَحْيَهَا . . . إِنَّهَا هَدِيَّةٌ أَهْدَيْتُهَا لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ .

سَاعَتَهُذْ ، تَبَسَّمَ الرَّسُولُ وَهَشَى فِي وَجْهَيْهَا بَعْدَ أَنْ حَسِبَهَا بِدَوْرِهِ أَهْدَى الْمُسْلِمَاتِ الْمَصَاحِبَاتِ لِأَزْوَاجِهِنَّ ، وَأَخَذَ يَتَمَتَّعُ بِعِبَارَاتِ الشُّكْرِ وَالرِّضَاءِ ، وَانْصَرَفَتْ زَيْنَبُ وَهِيَ تَمْنَى النَّفْسَ بِالْأَمَالِ الْكِبَارِ . .

أَذِنَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ لِلصَّاحِبَةِ أَنْ يَدْخُلَ مِنَ الطَّعَامِ وَأَنْ يَبْدَأَهُ قَبْلَهُ تَوَاضِعًا وَتَادِبًا ، فَتَنَاوَلَ « بَشْرَ بْنَ الْبَرَاءِ » قِطْعَةً مِنَ لَحْمِ الشَّامَةِ أَخَذَ بِلَوْكِهَا فَاحْسَ مِنْهَا بِطَعْمٍ غَرِيبٍ لَكِنَّهُ أَزْدَرَدَهَا فِي الْفَهَامَةِ وَلَمْ يَبْدَأْ مِنْهَا امْتِعَاضًا حَيَاءً مِنَ رَسُولِ اللَّهِ .

لَكِنَّ الرَّسُولَ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ قَضَى قِطْعَةً مِنَ فِرَاعِ الشَّامَةِ وَبَدَأَ بِلَوْكِهَا أَحْسَ بِذَاتِ الطَّعْمِ الْغَرِيبِ وَالْمَذَاقِ الْعَجِيبِ فَكَفَّ عَنِ الْأَكْلِ وَلَفَظَ مَا تَنَاوَلَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

أَرْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّ كَفَّ الشَّامَةِ تُخْبِرُنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ .

سَاعَتَهُذْ قَالَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ :

وَالَّذِي أَكْرَمَكَ لَقَدْ وَجَدْتُ ذَلِكَ مِنْ أَكْلَتِي الَّتِي أَكَلْتُ حِينَ التَّقَمْتُهَا فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَلْفَظُهَا إِلَّا أَنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَبْغِضَ إِلَيْكَ طَعَامَكَ .
حَزَنَ الرَّسُولُ غَايَةَ الْحُزَنِ لِمَا تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّامَةَ مَسْمُومَةٌ ، وَأَنْ خُبَّتِ الْيَهُودُ وَإِلَهُهُمْ لَمْ يَقِفْ بِهِمْ عِنْدَ حَدِّ .

وَجَاهَدَ رَسُولُ اللَّهِ وَصَحَابَتَهُ أَنْ يَمِينُوا ؟ « بَشْرًا » عَلَى أَنْ يَلْفَظَ مَا دَخَلَ إِلَى جَوْعِهِ ، لَكِنَّ ارَادَةَ اللَّهِ كَانَتْ أَسْبَقَ مِنْ ارَادَتِهِمْ ، وَسَرَى السَّمُّ فِي بَدَنِ الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ حَتَّى خَالَ لَوْنُهُ وَاتَّاهُ وَجَعُ الْمَوْتِ .

وَدَعَا الرَّسُولُ بِصَاحِبَةِ الشَّامَةِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَى اطْرَافِ خَيْبَرَ ، وَعَلِمَ أَنَّهَا « زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ » زَوْجَ سَلَامٍ بْنِ مَشْكَمٍ فَسَأَلَهَا :

مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟

تَالَتْ زَيْنَبُ :

— أَنْكَ تَلْتَ مِنْ قَوْمِي مَا نَلْتُ ! قَتَلْتَ أَبِي وَعَمِي وَزَوْجِي فَقَتَلْتَ فِي نَفْسِي :
إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَتُخْبِرُهُ الذَّرَاعَ وَإِنْ كَانَ مَلِكًا أَسْتَرْحَنُ مِنْهُ . وَتَدَّ اسْتِجَابَ لِي أَنْتَكَ صَادِقٌ وَأَنَا أَشْهَدُكَ وَمَنْ حَضَرَكَ أَنِّي عَلَى دِينِكَ ، وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مَحَبَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

وَلَمْ يَسْخَرْ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا عَنْهَا وَأَنْ يَغْفِرَ لَهَا لَمَعْلُومَتِهَا بَعْدَ الَّذِي أَصَابَهَا فِي أَبِيهَا وَزَوْجِهَا وَمَعَهَا .

وَعَادَ النَّبِيُّ وَصَحَابَتَهُ وَجِيشَهُ الْمُنْتَصِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَحْمِلُونَ « بَشْرَ بْنَ الْبَرَاءِ » وَظَلَّ عَالِمًا يَشْكُو وَجَعَ السَّمِّ وَالْمَرَضِ حَتَّى وَاثَاءَ الْأَجْلِ شَهِيدَ حَيَاتِهِ وَفَدَّائِهِ لِلرَّسُولِ ، وَدُفِنَ مَعَ الشُّهَدَاءِ وَالْأَبْرَارِ فِي أَكْرَمِ جَوَارِ .

الفتاوى

بسر المحلة ولجنة الفتوى
بالوزارة أن تتلقى أسئلة
القراء وتجييب عنها ..

التلقيح الصناعي

المسأل :

ما حكم الشرع الإسلامى فيما يسمى اليوم بالتلقيح الصناعى ، وهو ادخال نطفة رجل تؤخذ من مستودع خاص تحفظ فيه النطف يسمى (بنك النطف) الى رحم امرأة بواسطة طبيب يقوم بهذه المهمة ، عندما لا يستطيع الزوج تلقيح زوجته بطريق الاتصال الفطرى الطبيعى وهو الجماع حيث قد اختلف علماء الشرع والطب فى جواز ذلك وقام بشأنه نزاع ؟ اورقان ارسوى مفتى هفتلى
احيل هذا السؤال على فضيلة الشيخ مصطفى احمد الزرقا فنفضل بالاجابة التالية :

ان فى حكم هذه المسألة شرعاً تفصيلاً بحسب الاحوال :

١ - فاذا اريد اخذ النطفة من الزوج نفسه وادخالها الى رحم زوجته لتسهيل عملية الحمل التى لا تحصل بالجماع الطبيعى بينهما لسبب من جهته هو او من جهتها هى ، فهذا قد يمكن القول بجوازه شرعاً اذا دعت اليه حاجة ، كما لو لم يكن للزوجين اولاد وهما حريصان على التناسل وانجاب ذرية لان التناسل مصلحة مشروعة لهما ، واصبح متوقفاً على هذه العملية .

والمحذور الوحيد الذى يلحظ شرعاً فى هذه الحال هو لزوم انكشاف عورة المرأة لغير زوجها فاذا احتاج اليه الزوجان ورغباً فيه بها ، او اراده الزوج فقد يمكن القول باغتفار هذا الانكشاف الضرورى الخاص رعاية لهذه المصلحة وان كنت انا افضل الاستغناء منه ، فان رغبة انجاب الاولاد قد نشك فى انها ترتقى الى نطاق الضرورات التى تبيح المحظورات كالحاجة الى التداوى للخلاص من مرض مؤذ لا يمكن التداوى منه ومعالجته الا بكشف العورة .

واذا قلنا بالجواز يجب ان يلحظ عندئذ ان الضرورة تقدر بقدرها ، وانه اذا امكن ان تقوم بهذه العملية امرأة (طبيبة) او متمرنة ، لا يجوز ان يقوم بها رجل (طبيب او متمرن) لان فقهاء الشريعة يقررون ان انكشاف الجنس على جنسه عند الضرورة اخف محظوراً من انكشافه على الجنس الآخر ، ولذا لا يجوز ان يقوم بطبيب المرأة او توليدها رجل اذا كان هناك طبيبة انثى او قابلة عالة تستطيع القيام بهذه المهمة .

ب - وأما إذا كان الزوج عقيم الماء ، وأريد ممارسة عملية التلقيح الصناعي بأخذ نطفة رجل آخر من نطف تحفظ خصيصا لهذا الغرض بوسائل فنية في مستودع النطف (البنك) ووضعها في رحم الزوجة لتحمل ، فهذا حرام تعلق لا يجوز فعله بحال من الأحوال أصلا مهما كانت ظروف الزوجين لأن فيه تغييرا للانساب بما يترتب عليها من حرمان شرعية وحقوق وواجبات . ومن يستبيح ذلك فخير له أن يعتبر نفسه غير مسلم .

حديث باطل

السؤال :

هل هذا الحديث صحيح « من أحب وعفا ومات فهو شهيد » ؟

اجاب على هذا السؤال فضيلة الشيخ محمد سليمان الأشقر :

حديث « من عشق فمف وكنم فمات مات شهيدا » اشعار السيوطي في الجامع الصغير الى ضعفه ، واستنكره يحيى بن معين ناقد الاسانيد المعروف ، وروى في كتب الادب في (مصارع العشاق) لأبي جعفر السراج بلطف « من عشق فظفر فمف فمات مات شهيدا » ورواه الزبير بن بكار مرفوعا بسند قال فيه السخاوي انه صحيح ، وقال : قال العراقي في هذا الحديث : سنده فيه نظر (المقاصد الحسنة للسخاوي) .

وقال ابن القيم (روضة الحبين هي ١٨١) : « هذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعا ، لا يشبهه كلامه ، وقد انكر حفاظ الاسلام هذا الحديث على (سويد) .

وقال البخاري : كان سويد قد عمى فبائن ما ليس من حديثه ، وادخله ابن الجوزي في الاحاديث الموضوعة ، وأما رواية الزبير بن بكار التي قال فيها السخاوي انها صحيحة ، فقد قال عنها ابن التيم : هي من رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف نسبته اهل الحديث الى الكذب

والخلاصة ان هذا الحديث ليس له من جهة الرواية مكانة من الصحة تجعله حجة ، وانما هو مما تنافقه كتب الادب ، ولكن معناه درجيع خاصة باللفظ الذي رواه به ابو جعفر السراج « من عشق فظفر فمف فمات مات شهيدا » لأن من ترك شهوده لله بعد تمام مقررتة عليها ، وعدم الحواجز بينه وبينها الا خوف الله والحياء منه ، فهذه منزلة مدح الله بها نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام . وفي الحديث الصحيح ان رجلا كانت له امفة عم هي احب الناس اليه ، وكانت فقيرة الحال وعفيفة النفس ، وأنه قدر على الوصول الى غرضه منها ، فلما قالت له (اتق الله) شكر الله وعفا عنها ، واستجاب الله دعائه عندما كان في اضيق احواله .

وهذا طبعنا ان لم يكن قادرا على الوصول الى غرضه بالزواج المشروع لماتع من فقره ، او امتناعها ، او امتناع اهله . او لماتع شرعى او غير ذلك ، اما ان كان قادرا على الزواج وتركه ، واخذ يتكوى من الالم فحسبه ذلك .

حول تحضير الأرواح

تحت هذا العنوان نشرنا في العدد الماضي اجابة للدكتور عثمان خليل على سؤال وجه اليه حول تجربته في الروحية .
وقد ورد لهذا الباب رسائل كثيرة من القراء تعليقا على ما نشر ، ونكتفي هنا بالرسالة التي وردت الينا من السيد مبد الفناح عزت سالم من (ج.ع.م)
- الزقاق ، وقد ملوaha على ثلاثة آراء لعلماء متخصصين في علم النفس والفلسفة والتصوف .

اما راي علم النفس فيتحدث عنه الدكتور احمد فؤاد الاهواني فيقول :

ان الروح شيء في طي الغيب لا يدركها العقل ، ولا يمكن معرفة حقيقتها سواء من الناحية الفلسفية او الناحية الدينية ، اللهم الا اذا قلت المعاني الروحية ، اي المعتقدات المجردة ، ولكن هل للروح وجود مستقل ؟ هذه هي المسألة ، فنحن اذا قلنا روح الامة ، فهل معنى هذا ان الامة روحا ؟ واذا قلنا الفنان يخلق امالا غنية فيها روح ، او يرسم لوحات زيتية ذات روح او يؤلف قطعاً موسيقية ذات روح ، واذا قلنا ان الشاعر ينظم قصيدة تنبض بالروح ... فهل معنى ذلك ان لكل هذه الاشياء ارواحا ؟ الواقع وحقيقة الامر ان معنى (روح) هنا تعبير مجازي ، هذا من الناحية الفلسفية ، اما من الناحية الدينية فانها تخبرنا ان هناك ارواحا ، ولكنها عند هذا الحد تقف ولا ترغب في المناقشة ، فالدين يعترف بالارواح والجن وباشياء من هذا القبيل ، ولكنه يسلم بذلك تسليماً .

والقرآن الكريم بين في آياته الحكمة انه ليست هناك ضرورة للخوض في مثل هذه الموضوعات ، اذ قال الله تعالى في كتابه العزيز « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي » فلا سبيل الى الانسان لمعرفة الارواح ، وليس من مصلحته البحث في ذلك ، وعلى ذلك فاني ارى ان الخوض في مسائل الارواح عبث لا طائل تحته ، اذ ان الحصن يختص بالحصن ، والاشياء الطبيعية .. اما ما دون ذلك فلا يجوز له ان يخوض فيه . وعلى ذلك فان تحضير الارواح لون من الشعوذة التي تحل وراءها اشياء ليس من شأن العلم ان يخوض فيها .

واما راي الفلسفة فيتحدث عنه الدكتور عثمان امين فيقول :

ان تحضير الارواح موضوع ظهر منذ اوائل هذا القرن ، وقد تسلّم به جماعة بقصد التسليّة حيناً ، وللفت الانتظار حيناً آخر ، وهو نوع من التهرب ، وليس معنى هذا ان الروح غير معروفة في الفلسفة ، اذ ان الروح بمعناها

الفلسفي هي الفكرة التي لا نعيشها ولا نحضرها ، ولا يمكن أن تنال بالحواس الظاهرة . ولكن الإنسان يمكن أن يصل إليها بالجهد (الجواني) أي الجهد غير المادي الذي يبذله الإنسان في نفسه . والفكرة إذا آمن الإنسان بها ، واقتنع بصحتها ، فإنه قد يغير بها مجرى التاريخ ، غالبا ما يصنع التاريخ .

وأساس الفلسفة كلها الروح .. والإيمان بالروح هو وجود قوة تحدد جانب الحياة ، ومحمد عبده كان من الأشخاص الذين آمنوا بالفلسفة الروحية ، كما أن فلسفة أفلاطون قائمة على الاعتقاد بالروح وخلودها فالجزء الروحاني باق ولو زال الجزء الجسماني بعد موات الجسم وهلاكه ، والروح فكرة ، فإذا كانت حية في قلوب أمة من الأمم فهي التي تبعث فيها الحياة .

هذا هو محلل الروح في الفلسفة وليس من العلم أو الفلسفة أن نعترف بتحضير الأرواح ، فهي مسألة أشبه بمسائل الحوا أو الألساب البهلوانية ، ومن يقوم بتحضير هذه الأرواح يمكن أن يفتي فيها ، أما أنا فمرغم أن المذهب الجواني يؤمن بالروح فأرى أنها مسألة لا أستطيع أن أفتي فيها في ضوء العلم الحديث .

ويكتشف عن رأى الصوفية الدكتور أبو الوفا الغفازاني فيقول :

اننى كمتصوف لا اؤمن بتحضير الأرواح ، ولو اننى من الصوفيين الذين يؤمنون بعالم روحي ، ولكن عالمهم الذي يؤمنون به يختلف كل الاختلاف عن ذلك ، فالصوفيون يؤمنون بأن الروح في البرزخ أو في الحياة البرزخية مصداقا لقوله تعالى « ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ومعنى ذلك استحالة انتقال الأرواح من عالم البرزخ الى عالمنا هذا على أى وجه ، أما مسألة تحضير الأرواح فقد تكون عن طريق قوى خفية مثل الجن ، أو تكون لونا من الأوهام ، فالذي يحضر الروح يكون تحت تأثير وهم يؤثر فيه من الناحية السيكلوجية ، والصوفيون حاولوا محاولات مختلفة للاتصال بالعالم الروحاني ، أو العالم العلوي أو الأسلاك العلوية .

وكانوا يعتقدون أن علوما لهذا الغرض تعرف عندهم بعلوم الأسماء والحروف ، أى أنهم يعتقدون أن كل حرف من حروف الأبجدية له خاصية معينة ، فالأفلاك لها تأثير على عقول الأفراد ، ومن هنا ظهر علم حساب النجم وحساب الطالع ، والبعض يؤمن بأن الحروف التي في أوائل السور لها خواص روحية معينة ، ومن هؤلاء ابن سينا في الرسالة النيروزية أذ اعتقد أن هناك أسراراً خاصة للحروف الموجودة في أول السور ، وحاول أن يستخرج المعالم الباطنة ، وهذا العلم معروف في الغرب بعلم الأسرار الباطنة

ولكن تحضير الأرواح على الوجه السذى نسبع به ، لم يعرف عند فلاسفة المسلمين .. علمائهم وصوفيتهم رغم أن الصوفيين يعتقدون أن الروح اذا تخلصت من عوائق البدن بالرياضة والمجاهدة ، استطاعت أن تصل الى معرفة الله . وينسب إليها بعض الصوفيين القدرة على آتيان الخوارق ، وهي المعروفة عندهم بالكرامات ، وهي خوارق للمادة ، تظهر على يد الولي أو الصوفي المتعب في مقابل المعجزة التي هي خارقة للمادة وتظهر على يد النبي !

بأقلام القراء

العربية لغة عالمية

كتب الأستاذ محمد بلي الفتوى المشرف على الثسئون الإسلامية فى جمهورية
التوجو تحت هذا العنوان يقول :

يبدو لزاما على المسلمين وغيرهم على السواء — والانارقة خاصة — تعلم
العربية وتبينها لغة ثانية فى المدارس العمومية والخصوصية معا :

(١) ان اللغة العربية من أعرق اللغات العالمية منتبا ، وأعزها جانبا ،
وأقواها جلادة ، وأبلغها عبارة ، وأعزرها مادة ، وأدقها تصويرا لما يقع تحت
الحس ، وتمعبيرا عما يجول فى النفس ، وذلك لرونتها على الاشتقاق وبسمة
صدرها للتعريب ، وهى لغة شاعرية حساسة ذات منطق وفصاحة وبسلاغة
وأداب .

فليس هناك معنى من المعانى ، ولا كلمة من الكلمات ، ولا فكرة من الأفكار
ولا عاطفة من العواطف ، ولا نظرية من النظريات ، تعجز اللغة العربية عن
تصويرها بالأحرف والكلمات تصويرا صحيحا واضحا .

(٢) لقد استطاعت اللغة العربية أن تقهر اليونانية فى الشرق ، واللغات
الشمسية التى كانت منتشرة فى المغرب العربى ، وغلبت كذلك اللغة القبطية فى
مصر . كما وجدت مكانتها مرموقة بين اللغات العالمية .

(٣) أنها هى الصلة الوثيقة بين حضارات الماضى ، وحضارات اليوم ،
ويذلك أدت خدية جليلة للإنسانية جمعاء .

(٤) أن الكثير من مصطلحات الفنون الحديثة تستمد عناصرها من اللغة
العربية ، مثل الجبر والاكسير ، والكحول ، وكذلك مصطلحات العلوم الطبيعية ،
كالقطن والياسمين والزعفران .

(٥) وهى من اللغات الرئيسية فى العالم التى أصبحت لغة حية قوية للأمم
وشعوب مختلفة سبانية فى أجناسها وفى أصل نشأتها وطبيعتها .

(٦) لقد اندثرت أخوتها السامية من أرامية ، وكلدانية وكنعانية ، وسريانية
وعبرانية قديمة ، وأشورية وغيرها حين بقيت هى على رغم ما مر بها من عصور
الركود ، وما زالت تحيا حياة طيبة ، وتتمتع وتتسع فى جميع الآفاق وتستظل
كذلك — ان شاء الله تعالى — الى قيام الساعة .

- (٧) وهى معتمدة حاليا لغة هامة وعظيمة تدرس فى جميع جامعات العالم .
 (٨) معظم اذاعات العالم تستعمل اللغة العربية فى برامجها اليومية .
 (٩) الثقافة العربية تجعل الانسان مثالا ممتازا لدى الدول العربية
 والاسلامية معا .

وبالنسبة الى الافريقين :

- (١٠) ان العربية لغة افريقية واسيوية معا ،
 (١١) وهى اكثر اللغات انتشارا فى افريقيا ، وينطق بها خمسا سكان
 افريقيا .
 (١٢) تتحدث بها سبع دول افريقية باعتبارها لغة رسمية وشعبية لها معا .
 وهى - الجمهورية العربية المتحدة ، الجمهورية الليبية ، والجمهورية التونسية
 والجمهورية الجزائرية ، والمملكة المغربية ، والجمهورية الاسلامية الموريتانية
 والجمهورية السودانية .
 وهذه الدول تغطى مساحة ٨٥٩.٥٤٠ كيلومتر مربع ويسكنها اكثر من
 تسعين مليون نسمة .
 (١٣) ان اللغة العربية هى الرباط الوحيد الذى يشد افريقيا بآسيا والتي
 تعتبر اكبر قارة فى العالم ولذا غنى جذيرة بان تعتبر اللغة الوحيدة التى توحد
 افريقيا بآسيا .
 (١٤) تستعمل ثلاث لغات فقط فى مؤتمرات (منظمة الوحدة الافريقية)
 وهى اللغة العربية اللغة الافريقية الوحيدة ، والانكليزية ، والفرنسية ، وهما
 لغتان استعماريان .
 (١٥) ان اللغة العربية جذيرة بمنح الاحساس بالشخصية القومية فى
 البلاد الافريقية على العموم عوضا عن اللغات الاوروبية التى هى من بقايا
 الامبريالية الاستعمارية .
 (١٦) يرجع كل الفضل لمعرفة تاريخ افريقيا الى العربية .

وبالنسبة الى المسلمين :

- (١٧) ان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم ولسان النبى العظيم محمد
 صلى الله عليه وسلم ، وبدون معرفتها لا يفهم المسلمون دينهم فهما سليما .
 (١٨) ان المسلمين اليوم يشكلون ربع سكان العالم كله ، وثلاثى مجموع
 سكان القارة الافريقية وأكثرهم يستعملون العربية كلغة ثانية للتفاهم بينهم .
 (١٩) وأخيرا ، ان العربية هى اللغة الوحيدة التى يستعملها المسلمون فى
 صلواتهم ومناجاتهم وفى دعواتهم وابتهالاتهم ، ولهذا تعتبر اللغة الاسلامية
 الوحيدة .

التلمود دستور الصهيونية

**وكتب الأستاذ محمد العبد المصرى بمنظمة فلسطين العربية تحت هذا
العنوان يقول :**

ولم يكتب اليهود بما ادخلوه على التوراة من تحريف طمس الكثير من حقائقها بل قاموا بوضع كتاب آخر عظموه أكثر من تعظيمهم لتسوراة موسى ، وجعلوه أكثر قدسية لأنه وضع حسبما شاءوا وجاء ليرضى عقد نفوسهم وأحقادهم ذلك الكتاب هو « التلمود » الذى يعتبر بحق دستور الصهيونية الأول ، وموعد جذوتها ، ورغم ما لهذا الكتاب من عظيم التأثير على الفكر الصهيونى فما زالت كبريات جامعاتنا ومعاهدنا خلوا منه ، وما زال كبار مثقفينا لا يعرفون عنه الا شذرات يقرعونها فى ثنايا الكتب ، وقد زعم اليهود انه انزل على موسى شريعتان احدهما الشريعة المكتوبة التى تحتويها الاسفار الخمسة ، واخرى شفوية يتلقاها الخلف عن السلف ، وان تلك الشريعة الشفوية اعظم قدرا من الشريعة المكتوبة ، وكان احبار اليهود يستظهرون تلك الشريعة ويحفظونها عن ظهر قلب ، ويضيفون اليها فى كل عصر شروحا ومتونا جديدة ، ولما كثرت شروح الاحبار وتفسيرهم أصبحت مهمة استظهارها مهمة شاقة لذلك حاول الاحبار «هل ومائير وعقيبا» تصنيف هذه الاحكام ، ولكن عملهم لم يلق استحسانا من جبهة اليهود .

وفى سنة ١٨٩م قام الحبر يهودا هنسيا — الذى كان يقيم فى قرية صبورى على بحيرة طبرية والتى آلت اليها الزعامة الدينية ليهود فلسطين بعد خراب الهيكل — قام بترتيب وتدوين الشريعة الشفوية كاملة ، وزاد عليها اضافات من عنده ، فكانت هى (مشنا الحبر يهودا) التى انتشرت بين اليهود حتى أصبحت الصورة المعتمدة للشريعة الشفوية ، ثم قام احبار الاموراث (الشراح) بشرح هذه المشنا والتعليق عليها ، وتحليل نصوصها وتفسيرها بصورة مفصلة ، ولكن كان تفسير يهود فلسطين لهذه الاحكام يختلف عن تفسير يهود بابل الذين كانت لهم جامعتهم الدينية فى مدينة سورا ، وما أن قارب القرن الرابع على الانتهاء حتى نسق احبار فلسطين تفاسيرهم وصاغوها بالصورة المعروفة « بالجسارا الفلسطينية » وباضافتها الى (المشنا) نشأ التلمود الاورشليمى ، وبعد ذلك بحوالى مائة عام نسق احبار بابل تفاسيرهم حتى أصبحت (الجسار البابلية) أطول من المشنا باحدى عشرة مرة وقد كتبت المشنا اصلا بالعبرية ، بينما كتبت الجسار بالآرامية ، وهناك تلمودان الاورشليمى الذى يضم المشنا والجسار الفلسطينية ، والتلمود البابلى الذى يضم المشنا والجسار البابلية وهو أطول من التلمود الاورشليمى ويتكون من ٢٦ مجلدا بينما يقتصر الاورشليمى على ٢٢ مجلدا .

وما كاد يتم التلمود حتى أصدر الإمبراطور جستنيان سنة ٥٢٩م قرارا بتحريمه لما يحتوى من حقد على البشرية واستهانة بالقيم الانسانية الا ان اليهود ازدادوا تمسكا بالتلمود وتعاليمه مما جعل له أكبر الأثر فى تشكيل النفسية اليهودية ، ونظرة اليهود الى الآخرين .

قالت صحف العالم

نشرت مجلة هدى الاسلام الاردنية تحت هذا العنوان تقول :

ان اعظم ثروة تملكها أمة من الأمم هي ثروتها الفكرية ، لأن هذه الثروة هي التي تنمي طائفة الأمة على الحركة ، وقدرتها على النهوض والابداع ، وتعين لها أهدافها وترسم غاياتها وتضيء لها سبيلها في مسيرتها نحو تلك الأهداف والغايات ، كما تمنحها القدرة على حل المشكلات العارضة وإزالة المضائل التي تقف في وجهها .

وفكر امتنا الأصيل في ماضيها وحاضرها هو الإسلام ، الإسلام ليس غير بمعتقدته وفلسفته ومنهجه وثقافته يعرف ذلك كل من له الملم بقضايا الفكر ، وكل فكر غيره وصل إلينا إنما هو فكر دخيل طارئ لا يلبث أن يقف تياره إذا ما تنبّهت الشعوب الإسلامية إلى قيمة الثروة الفكرية التي تملكها .

وقد ابتليت الشعوب الإسلامية بتحديات عقائدية ، وضغوط فكرية وغزوات ثقافية متلاحقة أوجدت في حياتها حيرة ، وفي صلبها ارتباكاً ، ولولا أصالة الفكر الإسلامي وخصائصه الفريدة لاندثر بفعل تلك الضغوط الجارفة . وما زالت هذه التحديات والضغوط تتوالى وتشتد يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة ولم ينقطع تيارها الجارف منذ أمد بعيد .

وقد أخذ الذين اتواها هم وتلاميذهم يروضون هذا الجيل على تقبل الأفكار والفلسفة والأخلاق الغربية كحضارة حديثة لا مفر من العيش في كنفها أو الركوع أمام هيكلها .

ونتيجة عن هذه التحديات والضغوط مظاهر أخلاقية في حياة المسلمين لا تتناسب والأخلاقية الإسلامية ، فأصيب هذا الجيل بأفات عارضة أشبه بأمراض الجلد يعيقها هبوط في الجسم كله .

ولم تكن هذه التحديات وليدة المصادفة ، ولا نتيجة ما يسببونه بالتطور التاريخي الحتمي بل جاءت وليدة أبحاث مستفيضة ودراسات عميقة ، وأحصاءات دقيقة وتقديرات ومخططات بعيدة المدى .

والتعمق في دراسة هذه التحديات والضغوط يجدها ترمي إلى ثلاثة أمور :

الأول : زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس هذا الجيل ، باعتبارها مرتكز الوجود الإسلامي كله .

الثاني : تحطيم كل قيمة حية تجدد في المسلمين الوعى واليقظة والحركة .

الثالث : سلب الخيرات واستغلال منابع الثروات الضخمة الدينية في بلاد المسلمين .

فليس أمام المسلمين من مفر سوى أن يقفوا صفا واحدا مترامسا من هذه الضغوط ، موقف المناهضة المستنيرة الحازمة ، ولا مفر من أن يتقدموا بانكار ومفاهيم يظهر فيها الاسلام قوة دافعة في الحياة العامة .

في مرقاة الله

وقعت هذا لئلا وان نشرت مجلة حضارة الاسلام الدمشقية تقول :

لا يسأم المؤمن الذي توفرت له يقظة القلب واشراقة النفس من العمل الدائب ابتغاء مرضاة الله تعالى داعيا — على الرغب والرهب — من يجيب المضطر اذا دعاه ، أن يكتب له القبول ، وأن يجعله قسي عداد من تنقل موازينهم يوم القيامة ، وذلك هو الفوز الكبير ، وانطلاقا من هذه النقطة يبصر المؤمن كل واحدة مما يلاقيه من مصاعب أو متاعب في قضايا أمته ولها وجهان : أما أحدهما — فهو ما تفرضه مواجهة تلك القضية من جهد جاهد ودأب مخلص ، ليعمل لها العدة ويواجهها بما تحتاج اليه . والثاني — أنها واحدة من موائد الحق سبحانه ، يقبل عليها من يقبل ، ليكون له من انجاز ما يفرغه الاسلام بشأنها ، يريد خير ، وطريق سعادة يتألفها من أحبه الله وأحبه ورعى الله منهم ورضوا عنه .

وفي هذا لن يكون ثقل التبعات وصعوبة افتتاح العقبات ، باعثا على الهروب من الساحة أو القاء الحبل على الغارب ، خصوصا فيما يخبره العقل الباطن ويخرج على فلتات اللسان ، أو يظهر على التصرفات وكأنه قضية مدروسة اتخذ لها بعد البحث والتحصيل قرار . بل على العكس . أن شعاره دائما (وسارعوا الى مغفرة ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) .

والحق أن هذه اللبسة الايمانية التي تحرك المسلم من الاعماق ، هي التي تجعله أكثر حركية وقدرة على التأثير ، بما يسبق خطوته من الاخلاص والتقوى ، وهي التي تطبع عليه بطابع الاستمرار ، والصبر على كل المعوقات عند ارادة التغيير والانتصار على عوامل اليأس واستبطاء النتائج وثمرات العمل .

والمؤمن — في ذلك كله — يرافقه على المدى وضوح في الرؤية ، ووعي للواقع الذي تظله أحداثه ، وإدراك لطبيعة الأرض التي يتحرك عليها في مواجهة أعداء أمته هنا وهناك ، وقدرة على تقويم كل صغيرة وكبيرة مما تلده الليالي ويطلع الفجر به على دنيا الناس كل صباح .

لذا تراه — وهناية الله معه — لا يتخلف عن واجب ، ولا يضيق ذرعا بالمسؤولية ، ولا يترجم بالتكليف ولا يطيش أمام تلك الصور المعادية التي تفجؤه بألوانها وأشكالها طولا وعرضا وعمقا وانحرافا قد لا يخطر لك ببسأل .

الكويت :

- بأمر صاحب السمو أمير البلاد المعظم سيبنى على نفقته الخاصة مساكن لأسر شهداء الجيش الذين استشهدوا في معارك القناة .
- عكفت الدوائر المسئولة على دراسة البيان السياسى الخطير الذى القاه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .
- صدر بيان رسمى عقب زيارة وزير خارجية ايران للبلاد أكدت فيه الكويت وايران أهمية استعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين في وطنه .
- صرح معالى وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بأن الوزارة بالاشتراك مع بعض الوزارات تقوم بتوعية المواطنين بمناسبة ذكرى حريق المسجد الأقصى التى توافق ٢١ أغسطس الحالى .
- صرح معالى وزير الارشاد والانباء بالنيابة بأن الكويت تستنكر التصريحات الأمريكية التى تظهر العداء للعرب .
- أصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكتاب الرابع من سلسلة احياء التراث الإسلامى وهو كتاب « المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية » مؤلفه الحافظ ابن حجر العسقلانى تحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمى الهندى .
- قررت رئاسة هيئة أركان القوات المسلحة تزويد ادارة التوجيه المعنوى بجماعة من الوعاظ .
- تضمن تقرير اللجنة المشكلة لتعزيز التربية الدينية فتح تخصص للشرعية الاسلامية في كلية الآداب وكلية البنات .

القاهرة :

- قام الرئيس عبد الناصر على رأس وفد مصرى بزيارة الاتحاد السوفياتى وقد أجرى هناك محادثات حول النزاع العربى الاسرائيلى كلت بالنجاح التام .
- تحطبت أسطورة الغانثوم على ضفاف القناة ، وصرح مصدر مسئول بأن جهاز الدفاع الجوى المصرى جعل مهمة الطيران الصهيونى صعبة .
- قام وفد يمثل الأزهر برئاسة الدكتور عبد الحليم محمود بزيارة للبلاد الاسلامية في آسيا للدعوة لتحرير الارض المقدسة .
- عين الدكتور محمد بيسار أميناً عاماً لجميع البحوث الاسلامية خلفاً للدكتور عبد الحليم محمود الذى عين وكيلاً للأزهر .
- تلقت جامعة الأزهر ٢٠ منحة دراسية من ألمانيا الديموقراطية .

السعودية :

- عاد جلالة الملك فيصل الى البلاد بعد أن قام بجولة شملت عددا من الدول الاسلامية .
- صدر بيان تركى سعودى عقب زيارة وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية لتركيا أكد سياسة البلدين الموحدة تجاه النزاع العربى الاسرائيلى .

بغداد :

- أصدرت الحكومة امرا بحظر النشاط البهائي الهدام فيها .
- تقرر تشكيل فوجين من قوات (البيش مركه) الكردية للعمل كحراس للحدود العراقية .

عمان :

- تم توقيع اتفاقية سلام بين الحكومة وبين المنظمات الفدائية تكفل سيادة النظام في البلاد وحرية العمل الفدائي .
- تصاعد العمل الفدائي في بيسان ومستعمرات الحدود وتصاعدت معه خسائر العدو .
- تفيد الأنباء الواردة من المناطق المحتلة ان آلاف الاسرائيليين غادروا اسرائيل عائدين الى بلادهم بعد تزايد العمليات الحربية .

دمشق :

- كان للمواقف البطولية التي قام بها الجيش السوري في معاركه الاخيرة مع اسرائيل اثر بارز في رفع الروح المعنوية والثقة بفعالية الجبهة الشرقية .

بيروت :

- يلاحظ المراقبون تحركات مشبوهة للعدو على الحدود الجنوبية وتبذل الجهود الحربية لمواجهة الموقف .

الخرطوم :

- وصف وزير الدفاع السوداني المقترحات الاميركية الاخيرة لتسوية النزاع بين العرب واسرائيل بأنها إلغاء لقرار مجلس الأمن ومحاولة لتفكيك الامة العربية .

الجزائر :

- صدر بيان مشترك عقب زيارة جلالة المعاهل السعودي للبلاد أكد الجانبان فيه أن الكفاح المسلح الطريق الوحيد لاسترداد الاراضي العربية المغتصبة .

الرباط :

- يقوم جلالة المعاهل المغربي بدور كبير في اقناع الولايات المتحدة بانتهاج سياسة مؤالية للعرب بدلا من السياسة المعادية .

ليبيا :

- حيا العقيد القذافي دولة الكويت التي تعطي للمعركة كل ما لديها من امكانيات .

باكستان :

- يتوقع المراقبون ان توصي باكستان على عدد من طائرات ميراج - 5 - الحربية التي تبلغ سرعتها ضعف سرعة الصوت .

نيويورك :

- عقد اتحاد الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة مؤتمره السنوي التاسع عشر ومن المشروعات التي تبناها الاتحاد انشاء صندوق لتحرير الارض المقدسة .

اقرأ في هذا العدد

بيان سياسى	لسمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء	٤
حديث الشهر	لمدير ادارة الدعوة والارشاد	٦
الجهاد فى سبيل الله	للككتور محمد البهى	١٥
من هدى السنة (هذا بصائرهم ويكم)	للككتور على عبد النعم عبد الحميد	٢٤
معنى الحضارة	للاستاذ البهى الخولى	٣٥
درس فى بناء الرجال	للواء محمود شيت خطاب	٣٨
مجلة الوعى		٤٤
العقل فى تفسير المنار	للككتور احمد الشريامى	٤٥
فى موكب الشهداء		٥٤
التوازن والتركيب	للاستاذ رمضان لوند	٥٦
المائدة	اعداد - ابنى نزار	٦٤
تمليق وتمقيب		٦٦
شاعر الاسلام	للاستاذ انور العطار	٧٨
ركن الموسوعة	تحرره ادارة الموسوعة	٨٧
ليل نجاسة الخمر	للاستاذ عبد الفتاح ابو غده	٩٢
المؤامرة (قصة)	للاستاذ حسين الطوفى	٩٦
الفتاوى	التحرير	١٠٣
بريد الوعى	التحرير	١٠٥
بأقلام القراء	التحرير	١٠٧
قالت الصحف	التحرير	١١٥
الأخبار	التحرير	١١٢
المفهرس		١١٤

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، و رغبة منا في تسهيل الامر عليهم ، وتناديا لنضايح المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك ان يتعاملوا راسا مع متمدن التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتهمدين :

القاهرة : شركة توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة — سوق الليل — ص ب (٢٢)

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء — السيد محمد زين العابدين ضياء .

الرياض : مكتبة مكة — شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة — باب الريع — ص ب (٢٢)

جدة : الدار السعودية للنشر — ص ب (٢٠٤٣)

بغداد : مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب .

الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — السيد محمد سعيد بابيضان .

البحرين : المكتبة الوطنية وفروعها — النامة — السيد فاروق ابراهيم عبيد

قطر : السيد عبد الله حسين نعمة

عدن : وكالة الاهرام التجارية — السيد محمد قائد محمد .

الكلاب : مكتبة الشعب — ص ب (٢٨) حضرموت .

دبي : ساحل عمان ص ب (٢٦١) — السيد عبد الله حسن الرستماني

مسقط : المكتبة الاهلية — السيد حسين ثمر .

تعز : مكتبة المنار الاسلامية — السيد عاصم ثلث .

عمان والقدس : وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

دمشق : الشركة العامة للمطبوعات ص ب ٢٣٦٦

تونس : الشركة العربية للتوزيع — بيروت .

بيروت : الشركة العربية للتوزيع — بيروت — ص ب (٤٢٢٨) .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ص ب (٢٤٧٣) .

مراكش : الدار البيضاء — مكتبة الوحدة الوطنية — السيد احمد عيسى .

ليبيا : طرابلس الغرب — ص ب (١٣٢) — السيد محمد بشير المرفجاني

بنغازي : مكتبة الوحدة الوطنية — ص ب (٢٨٠) — السيد الشعالي الخراز

الكويت : مكتبة منار للتوزيع (٢١) شارع فهد السالم ص ب (١٥٧١)

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

شخصيات في سطور :

أبو العباس المبرد

((٢١٠ - ٢٨٦ هـ))

- * هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري زعيم نحاة البصرة في زمنه العالم الحجة ..
- * من شيوخه المازني والجرمي وأبو حاتم السجستاني وأبو محم القشيري ثم عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ..
- * كان مولعا بالجدل والمناظرة ، وحفظت لنا كتب النحو والسير ما وقع بينه وبين ثعلب صاحب المجالس وغيره من المفكرين والنحاة والأدباء
- * قال عنه ابن كثير في البداية والنهاية « كان ثقة ثبنا فيما ينقله » ، وقال عنه صاحب تاريخ بغداد « كان عالما فاضلا موثوقا به في الرواية » .
- * من تلاميذه الزجاج . وعلى بن سليمان الاخفش ، وأبو بكر بن السراج وابن كيسان .
- * من مؤلفاته :
 - ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد .
 - وهي رسالة صدرها بقوله : « هذه حروف ألفها من كتاب الله عز وجل مختلفة المعاني متقاربة في القول مختلفة الخبر »
 - التكمال وهو أشهر كتبه على الإطلاق وهو كتاب في الأدب والنحو والبلاغة وقد علق عليه الشيخ سيد بن علي الرصفي في كتاب سماه « رغبة الأمل من كتاب التكمال » ، فاستكمل الأبيات قصائد وشرح وبسط ..
 - شرح لأمية العرب للشنفرى ..
 - المقتضب وهو كتاب في النحو والصرف وفيه ما جزم بعض روايات القراء وكثرت فيه التواهد القرآنية حتى أربت على خمسمائة شاهد .
- * وحرف الراء في المبرد تنطق بالفتح وتنطق بالكسر ، قالوا انه سمي بذلك لانه المبرد (بالكسر) أى المثبت للحق ، او لانه المبرد (بالفتح) أى حسن الوجه رحمه الله واجزل ثوابه) .
- ((الموضي الوكيل))